

مجلة المجمع العلمي العربي

٦ رمضان سنة ١٣٦٨

١ تموز سنة ١٩٤٩

الألفاظ السريانية في المعاجم العربية

- ٦ -

حرف العين

عاشوراء : اليوم العاشر من تشري اليهود (البيروني ٢٣٠) قيل انه عبراني
معناه عاشور ، وفي السريانية لفظ مثله : *Ecuroio* و *Tasooa* *المعكلا*
Tchioio ومعناها : العاشر والتاسع .
عاقور قرّحاً : كلمة مركبة سريانية *Eqorkarho* ومدلولها :
الجذر العريان نبات من فصيلة المركبات يستعمل جذره في الطب (معجم
الشهابي ٥٢٧) وفي دليل الراغبين ٥٦٢ انه نبت بكثرة بأفريقية وقيل عكوب .
عَبّ : حَضن ، عُبّ ، خليج . جاء في التاج ج ١ ق ٣ : ١٨٠ العب بالضم
الردن ، قال شيخنا « ابو عبد الله محمد القاسمي المتوفى سنة ١١٧٠ هـ » هي لغة عامية
لا تعرفها العرب ، قلت : كيف يكون ذلك وقد نقله الصاغاني « ١٠١ » .
تقول أخطأ الصاغاني وغيره من اللغويين وأصاب القاسمي فاللفظة سريانية
Oubo (برون ٢١٧) *حُحُكُ*

عَجَلَةٌ : مركبة : في سفر صموئيل الأول ٦ : ٧ « اعملوا عجلة واحدة جديدة » ،
 وعدّها دوفال في جملة الألفاظ السريانية والعبرية النجار (معجم ابن يهلول
 ٣ : ١٥١) حَجَّكُثْ / Ogallho . ومعجم برون ٤٢٢
 عدّان : أخرج ابن جرير عن ابن عباس انه سأل كعباً عن جنات عدن :
 قال جنات الكروم واعناب بالسريانية ، ومن تفسير جوبير انه بالرومية (الاتقان
 ص ١٤٠ وما بعدها) صوابه : عدن : أرض الفردوس محل النعيم ، وفي سفر
 التكوين ٢ : ١٠ « يخرج من عدن لبقي الجنة » . قال ابن سروشويه الكلمة
 عبرية معناها ، نعيم ، أو خصب بالأشجار الطيبة ، ومثلها السريانية حَمَّ Eden
 موطن النعيم . ولا تعني « جنات اقامة لمكان الخلود » كما توسع فيها بعض
 اصحاب المعاجم (أقرب الموارد ٢ : ٧٥٤ والمصباح ٣ : ٦٠٦) ولا كما زعم
 الراغب في المفردات ص ٣٢٨ بقوله « جنات عدن اي استقرار وثبات وعدّان
 بمكان كذا استقرار » والفعل حَمَّ Adène ومعناه : نعيم ، رفه ، أخصب .
 عدّان : جاء في القاموس وأقرب الموارد : عدّان كسحاب « يتخيف الدال »
 من الزمان سبع سنين ا هـ ، وبالسريانية حَمُّكُثْ Edono : الوقت على الاطلاق .
 قال ابن سيده ٩ : ١٦ « كان ذلك على عدّان فلان اي على عهده » وبالتشديد
 يلفظها بعض عامة بلاد الشام ، واللفظة تتوافق فيها السريانية والعبرية (برون : ٤٢٥)
 عَرَب : عَرَبَةٌ والجمع عَرُوب : رحى ، عربية ، طاحون بديرها الماء ، لفظه
 سريانية حَمُّكُثْ Arbo وقال فيها ابن يهلول : دولاب ، الطاحون المُدار ، وأيضاً
 العَرُوب التي يُطحن بها الدقيق وتكون في الماء (عمود ١٤٥٩ و١٤٦٠) وعن
 ابن السني في الترجمان : عَرَبَةٌ ، اداة طحن ، وأيضاً : العربية من أدوات الطحان .
 ويقال فيها أيضاً حَمُّكُثْ Arbouno وفي شفاء الغليل ص ١٣٧ « عربية
 بلغة أهل الجزيرة ، سفينة يعمل فيها رحى في وسط الماء الجاري مثل دجلة بديرها
 شدة جريه ، وهي مولدة في ما أحسب ، قاله في المعجم وأنا لا أدري هل المركب
 المسحى عربية أخذ من هذا أو هو غير عربي وهو الظاهر » ا هـ ، وفي التاج :

«من معاني العربية النهر الشديد الجري ، والعربيات سفن روادك كانت في دجلة واحداً عربياً» .

عَرَاب : كلمة مسيحية سريانية **ܥܪܐܒܐ** ، **ܥܪܐܒܐ** , Arabo , Oroubo
معناها : كفيل المعتمد بآاء المعمودية ، والفعل **ܥܪܐܒ** Erab ، وعَرَب : كان
عرباً وهي مرادفة كلمة اشبين .

العُرْبَان : والعُرْبُون ، والعَرَبُونَ : وقد تبدل عينهن همزة : هو ما تُعقد به المياومة
من الثمن ، او هو ان يشتري الرجل شيئاً او يستأجره ويعطي بعض الثمن
او الاجرة ، ثم يقول ان تم العقد احتسبنا والا فهو لك ولا آخذه منك ،
(أقرب الموارد ، والتاج ، ويقرب منها المصباح) قال الأصمعي العربون أعجمي
مغرب (أقرب الموارد ٧٥٩) وكذا التاج . وصرح الكمال الدميري في شرح
المنهاج بانه لفظ معرب ليس بعربي . وفي شفاء الغليل ص ١٣٤ « عربون
وعربان : معرب ، والعرب تسيبه مسكان وجمعه ماكين . وصرح الفراء
أيضاً بعجمته كما ورد في الجواليقي ص ٢٣٢ وقال هذا ويجمع العربان على « المرابين »
واللغة العالية : العَرَبُونَ . ونقل عن بعض شروح الفصح أنه مشتق من التعريب
الذي هو البيان لأنه يبان للبيع !

قلنا انه سرياني بحت وفيه ثلاث لغات : **ܥܪܐܒܐ** ، **ܥܪܐܒܐ** ،
ܥܪܐܒܐ Rahbouno , Ourbono , Aarbouno : رهن . وفي سفر
صموئيل ١٧ : ١٨ « وخذ منهم عربوناً » .

عرزال : مظلة ناطور الكرم ، عربش . وهو في الأصل موضع يتخذ
الناطور في أطراف النخل خوفاً من الأسد (الدليل ص ٢٤٤) وفي نبوة اشعيا
٣٠ : ٢٤ « تدلكت كالعرزال » كلمة سريانية **ܥܪܐܒܐ** ، **ܥܪܐܒܐ** , Ourzolo ,
Arzolo . قال أبو الخير فهر بن جابر المشكال بن عمار الطائي المتوفى سنة ٢٣٥ هـ
في كتابه « المروج في درج الكمال والخروج من درك الضلال » المصون في

احدى خزائن كتب القسطنطينية « وقد شاهدت صوامع وعزازيل وكموقاً على الجبل ونواحيه ١٠٠٠ يسكنها أقوام قوام وصلحاء صوام يشهد لهم بالقربات والطاعات » [المجلة البطريركية السريانية مج ٣ ص ٦٨ : مطبعة دير مارمرقس بالقدس سنة ١٩٣٥] عَرَش : مرير ٦ وفي نبوة دانيال ٧ : ١٩ « وعرشه طيب نار » سريانية حَرَشْ Aarso بالسین المهملة ^(١) . وكذا بالعبرية (يرون ٤٦٣ ودوفال ١٥٧) عَرَمَة ، وَعَرَمَة : الكدس من الزرع الذي جمع وديس ليندري : وفي نبوة حجي ٢ : ١٦ « كان أحدكم يأتي الى عرمة » لفظة سريانية حَرَشْ ، حَرَشْ Eramtho , Eromtho والفعل حَرَمَ Eram أرُم ٦ تكوتم و حَرَمَ Arème : كوتم ، جمع .

عَرَبِيَّة : يوم عروبة يوم الجمعة . قال في الجمهرة ١ : ٢٦٧ « يوم عروبة يوم الجمعة ، معرفة لا تدخلها الألف واللام في اللغة الفصيحة . وقد جاء في الشعر الفصحى بالألف واللام أيضاً قال القطامي :

« تقسي الفداء لأقوام هم خلطوا يوم العروبة أوراداً باوراد »

وقال صاحب التاج ١ : ٣٠٠ الجمعة صفة اليوم أول من سماه بها كعب بن لؤي وكان يقال لها العروبة . وقال ابن سيده ٢ : ١١٧ « العروبة الجمعة للاشعار بمكانها والافصاح عن حقها واشادة الشرع بقدرها لان موضوع هذه الكلمة الاظهار » ٥١٦ ، قلنا لامعنى لهذا التعليق والتعليل ، اذ اللفظة سريانية حَرَشْ Eroubtho (عروبتا) ولا تحمل لغوياً هذا المعنى بل عكسه ، لأن فعل حَرَبَ Erab (عرب) معناه غرّب ، غاب ، أقل ، وليس : بان وظهر . وهي اسم احد أيام الأسبوع في الجاهلية . بل ان الحسن بن بهلول ذكر سبب تسميته به قال « كان هذا اليوم يسمى السادس ، ولم تقف في موضع على

(١) عَرَشْنا : حَرَشْنا Artonitho : شجرة مريم : بخور مريم وأصلها آرامية (معجم الشهاب ص ٢٠٩) وقال فيها « جنس نباتات عشبية ممررة من فصيلة الريبية ، لها زهر جميل الخ . »

تسميته بالعروبة حتى عهد السيد المسيح . فأطلق عليه هذا الاسم ، لغروب الشمس والشرع والعبادة (الموسوية) فيه « عمود ١٤٦٣ » وفي مختصر المدول لابن العبري ص ٥ « آدم ابو البشر مخلق يوم العروبة » وجاء في أقرب الموارد ٣ : ٧٥٩ « عروبة والعروبة ويوم العروبة : يوم الجمعة وهو من اسمائهم القديمة وهو تعرب (أربا) النبطية ، او عروبتا السريانية . قال ابو الممالي اللغوي « عروبة يوم الجمعة » وهي معرفة قلما تدخلها الألف واللام . وقال سيبويه « العروبة يوم الجمعة ومن قال « عروبة » أي بدون (ال) فقد أخطأ . وبلغ ذلك يونس بن حبيب فقال أصاب سيبويه » ا ه . وفي المغرب للجواليقي ص ٢٣٤ « قال ابو حاتم ، قال الأصمعي « العروبة » الجمعة وهي بالنبطية « ازينا » كذا . قلنا واللفظة النبطية تصحيف صوابه « أربا » كما مر بك آنفاً . وعلى هذا التصحيف بنى شارح المغرب رأيه منكرًا عجمة الاسم وإهماً .

عكر : جاء في الجهرة ٣ : ٥٠٣ « والعكر فارسي معرب وإنما هو لشكر وهو اتمان في اللتين . قال ابن الأعرابي : العكر الكثير من الشيء يقال عكر من رجال وخيل وكلاب » وقال الجواليقي ص ٢٣٠ « قال ابن قتيبة « والعكر فارسي معرب . قال ابن دريد وإنما هو لشكر بالفارسية وهو مجتمع الجيش » وزاد في شفاء الغليل ص ١٢٤ « ويسمى به الجيش نفسه » . قلنا ورد بالسريانية بلفظه العربي **حَصْرًا** وجمعه **حَصْرَاتُ** **Ascrotho , Ascartho** ومعناه عسكر ، جيش فاما هو سرياني معرب واما توافق بين السريانية والعربية ، ان لم يكن بابلي الأصل **Vsqaru ; Askaru** ومعناته السلاح سمي به الجيش من تسمية الشيء باسم آله ^(١) .
عقر : العقر : ظاهر التراب باسكان الفاء وفتحها (ابن سيده والتاج ٣ : ٤١٠) قال المسعودي في التنبيه ص ٢٣ « فان كانت الرمل حمرًا فوحشها عقر »

(١) البيانات الآثورية البابلية للأب دورم ص ٧٨

وبقال ما على عَنَر الأرض مثله أي وجهها . حرف سرياني ܥܢܪܐ / Afro وفي
نبوة اشعيا ٣٤ : ٩ «وعَنَرُها الى كبريت» و ܥܢܪܐ / Outfro بمعنى . والفعل
ܥܢܪܐ و ܥܢܪܐ : Afar , Efar : عَفَرًا ، تَرَبَّ . حاله ترابا . توافقت فيه اللغات
السامية الثلاث : السريانية والعبرية والعربية في رأي برون ٤٥٤ واستنتج
دوفال الثالثة : ١٥٥

عفص : قال الجوهرى : العَفَصُ الذي يُتخذ منه الخبز مولد وليس في كلام
أهل البادية (المزهر ١ : ١٧٩ وشفاء الغليل ١٣٤) وزاد هذا «وقيل انه عربي
وأورد كلاماً لابن تيمية قال فيه : ومنه طعام عفص ، وعفاص القارورة ما يشد
به فمها» وجاء في التاج : عفص مولد وليس من كلام أهل البادية ، وكذا في
أقرب الموارد . وأردف التاج : «وقال ابن بري وليس من نبات أرض العرب
أو كلام عربي ، قاله ابو حنيفة» . قلنا هو سرياني ܥܦܨܐ / ܥܦܨܐ
• Afso , °Afso

عقار : جاء في الصحاح : «العقاقير أصول الأودية واحدها عقار»
(أقرب الموارد ٢ : ٨٠٩) وحكى ابو زيد : العقار ما يتداوى به من نبات وشجر ،
وفي القاموس ٢ : ٩٤ ما يتداوى به من النبات أو اصولها . كلمة سريانية ܥܩܪܐ /
Eqoro مدلولها : أصل كل شيء ، جرثومة عقار واحد العقاقير . وترأها في
معجم ابن بهلول منسوبة الى زهاء خمسة وعشرين نوعاً من النباتات كهقار آدم ،
والعقار الخصب ، وأصل المازريون وعافر قرحا وغيرها ، ويقرب من هذا العدد
في دليل الراغبين ص ٥٦٢

عقل : في شفاء الغليل ص ١٣٦ «عقل معروف وما يمسك البطن من الاسهال
عقول وماسا كه عقل وقبض بمعناه ليس استعمال العرب : قال القالي : عقل الطعام
بطنه بعقله عقلاً اذا شدة ، ويقال اعطني عقولاً أشربه فيعطيه دواء يمسك بطنه» اهـ .
وفي الفصحى : عُقَال كرمّان . قلنا المادة سريانية : ܥܩܪܐ / Eqal ومعناها

- عقل ، شد ، حبس ، مفص ، أصابه مفص مع التواء وانقباض البطن .
 والمصدر حُمَّلاً Eqolo واسم الفاعل حُمَّلاً Oqoulo .
 عَكُوب : نبات بري يُطبخ ويقلّي تلفظه عامة العراق مقلوباً (كعوب)
 وهو المعروف عند أهل الجزيرة بالحرشف ، وعند أهل الشام به وبالسلبين ، قال
 الشيخ داود الانطاكي في تذكرته ص ١١٧ « الحرشف هو العكوب والسلبين
 وهو نبات ذو أصناف » حرف سرياني حُمَّلاً Aqoubo (١) .
 عَمّ : قوم ، أمة ، جماعة . قال السبوطي ٣ : ٢١٨ جاء من باب المشترك .
 وفي الجمهرة العم : أخو الأب ، والعمّ : الجمع الكثير قال الراجز :
 باعاصر ابن مالك يا عمّا أفنيت عمّا وجبرت عمّا
 فالعم الأول أراد به يا عمّاه ، والعم الثاني أراد به أفنيت قومًا وجبرت آخرين
 . وهي لفظة توافقت فيها السريانية والعبرية وعُربت حَمَّلاً Amo .
 (معجم برون ٤٤٧) .

عمدّ : هذه مادة سريانية تختص بأول أسرار النصرانية ، تقول : عمدّ القسيسُ
 الطفل فهو مُعمدّ ، واعتمد الطفل فهو معتمد أي صبغ بياه المعمودية أو غمس
 فيه ، وفي انجيل متى ١٨ : ١٩ « وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس »

(١) ورد في خطبة نسبت الى الامام علي في نهج البلاغة « وكل خوف محقق الا خوف الله
 فانه معلول » وفي خطبة أخرى « وكل قائم في سواه معلول » فقالوا ان (معلول) مخالفة لقواعد
 اللغة والفصح منها ، ولكن المصباح قال ص ٦٥٢ « واعلّ الله فهو معلول ، وقيل في النوادر التي
 جاءت على غير قياس وليس كذلك فانه من تداخل اللتين ، والأصل أعلّ الله فملّ فهو معلول ،
 أو من (علّ) فيكون على القياس ، وجاء مملّ على القياس لكه قليل الاستعمال » . قلنا
 هو من توافقت السريانية والعربية والعبرية المَلَّ ، المَلَّ ، المَلَّ ، المَلَّ ، المَلَّ ، المَلَّ ، المَلَّ ،
 المَلَّ ، المرض . و حَمَّلاً Alilo : من قد دخل في السن وأصابه المرض . ومن هذا
 التوافق أيضاً « عِلّية » غرفة في الطابق الثاني . حَمَّلاً Elitho وردت في سفر القضاة
 ٣ : ٢٠ « وهو جالس في عِلّية » (برون ٤٤٢ ، و ٣٩٩ ، ودوفال ٣ : ١٥٣) .

أَحْمَدُ Aamedh و حَمْدٌ و أَحْمَدُ Ethemedh , Emadh والمصدر
 حَمْدًا Emodho : عماد و مَحْمُودِيَّةٌ Maamouditho : معمودية ،
 وفي النجيل متى ٢١ : ٢٥ « معمودية يوحنا » وعلق الشارح على هامش القاموس
 ١ : ٣١٧ قال : « قال الصولي في شرح ديوان ابي نؤاس ان لفظ معمودية
 معرب (معموذيت) بالتدال المعجمة ومعناها الطيارة » و حَمْدِمٌ Emidho :
 المتعمد والمعمد . ومنه اسم الفاعل .

المعمدان : بفتح الميم واسكان العين وفتح الميم الثانية لا « المعمدان » كما
 اعربها الشرطوني ٣ : ٨٢٨ مَحْمُودِيَّةٌ Maemdhono لقب القديس يوحنا
 الحصور لتعميده ، وفي النجيل متى ٣ : ١ « وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان »
 وفي الآثار الباقية للبيروني ص ٢٩٤ « وفي الرابع والعشرين (من شباط)
 ذكران وجود رأس المعمدان وهو يحيى بن زكريا » .

العُمر : الدير جمع اعمار . قال اغاييوس المنبجي في كتابه العنوان ص ٢٧٧
 « وبدأ بخوم الراهب المصري يبني الأعمار والديارات بارض مصر » وقال القس
 يعقوب المارديني السرياني في احدي خمرياته :

أوطعن سناها الختم طال بها العمر فما صانها الا لاربابها العُمر

وقال الحسن بن هاني وقيل انه للحسين ابن الضحاك :

آذتك النافوس بالفجر وغرد الراهب بالعُمر

(الديارات للشابستي ١١٣ : ١١٣) ويقال لصاحبه عمارة ، وفي ديوان ابي نؤاس

(باريس رقم ٤٨٣ ص ٤٢٥) :

اذا الندامى أرادوا ما باعهم خمارُ

حمراء فيها اصفرارُ وعندم عمارُ

قال ياقوت في معجم البلدان ٦ : ٢٢١ « أما العمر فهو الدير للنصارى ، وذكر
 ابو حنيفة الدهنوري في كتاب النبات : ان العُمر الذي للنصارى انما سمي بذلك

لان العمر في لغة العرب نوع من النخل وهو المعروف بالسكري خاصة .
 وكان النصارى بالعراق يبنون ديرتهم عنده فسمي الدير به ، وهذا قول لا أرتضيه
 لأن العمر قد يكون في مواضع لا نخل بها البتة كنعحو نصيبين والجزيرة
 وغيرهما ، والذي عندي فيه انه من قولهم : عمرت ربي اي عبدته ، فيجوز ان
 يكون الموضع الذي يتعبد فيه يسمى العمر ، ويجوز ان يكون مأخوذاً من
 الاعتراف والعمره وهي الزيارة ٠٠٠ ويجوز ان يكون العمر الموضع الذي يُخدم
 فيه الرب ٠٠٠ ويجوز ان يكون من العمر الذي هو الحياة ، كما أنهم سموه بما
 يؤول اليه لأن النصراني يُفني عمره فيه « وفي مراصد الاطلاع ١ : ٤٢١ ان
 الدير يسمى عمراً اذا كان مجاوراً للاماكن المعمورة وهو قوله ، « ما كان من
 مواضع المتعبدات التي فيها مساكن الرهبان بقرب العمران فانه يسمى العمر » .
 وقال صاحب التاج ٣ : ٣٢٠ انه سمي بالمصدر لأنه « بعمر » . وفي القاموس
 ٢ : ٩٥ العمر بالضم ، المسجد والبيعة والكعبة .

قلنا لا ينبغي على الفطن ما انطوى عليه هذا التأويل من تعمل فارغ محاولة
 لادخال الكلمة الأعجمية ، العربية قسراً ، ولو قصد اللغويون ومن نصبوا أنفسهم
 لهذا الفن لدراسة أصول الألفاظ سبباً سوبياً ، وعدلوا عن جادة التكلف
 المُحمل ، كان ذلك بهم أولى وباللغة أجمل . فان الكلمة سريانية خالصة وفي
 مهب مسيحي نشأت **عومرو** Ooumro ومعناها : دار ، مسكن ، مقام ، دير .

عمروس : حروف صغير ، حرف سرياني **عومرو** Émrouço .
 عمودي : العمودي يُراد به في العرف المسيحي ، الناسك الذي يتعبد لله
 في صومعة على رأس عمود أخذاً من طريقة مار سيمان الناسك صاحب العمود
 المتوفي سنة ٤٥٩ م وتأير السريانين على طريقته حتى منسلخ المئة الخامسة عشرة .
 وسماوا الاسطوانة صومعة وصاحبها يسمى عندنا **عومرو** Estounoro وهذا
 الحرف يوناني . وأما العمودي الذي هو لفظ عربي أوردناه لادخاله المعاجم العربية .

عنان : جاء في مجلة لغة العرب ٨ - ٧ : ٥٢٢ « العنان : السحاب ويكاد يكون كذلك في اللغات السامية : العبرية والارامية (والصائبية) وما تفرع منها » كذا .
 قلنا مما توافقت فيه السريانية والعبرية والعربية : حُنُّلًا Enono . (برون ٤٥١)
 عَنِين : العنِين بكسر العين وتشديد النون ، العاجز عن الجماع ، لفظة سريانية فيها لفتان : حُنُّلًا و حُنُّلًا Enono , Anono والاسم حُنُّلًا .
 Enonoutho : التعنين والعنينة . وفي القاموس : الاسم العنانة والتعنين والعنينة بالكسر وتشديد . قال الفيومي في المصباح ص ٦٦٣ « رجل عنين لا يقدر على اتيان النساء او لا يشتهي النساء ، وامرأة عنينة لا تشتهي الرجال . والفقهاء يقولون به عنة . وفي كلام الجوهري ما يشبهه ولم أجده لغيره وصرح بعضهم بانه لا يقال عنين به عنة كما يقوله الفقهاء فانه كلام ساقط . قال المشهور في هذا المعنى كما قال ثعلب وغيره رجل عنين بين التعنين والعنينة ، وقال في البارع ، بين العنانة بالفتح « وليس هي من « عن » اي اعترض ، فكأنه يعترض للجماع ولا يقدر عليه ، كما زعم الأزهري . وكما ذهب الحريري في « درة الفواص في أوهام الخاص » ص ٩٤ . وقال الخفاجي في شرح هذه الدرّة ص ١٩٨ « قال ابو حيان التوحيدي في كتاب البصائر « قل فلان عنين بين التعنين ولا تقل بين العنة كما يقوله الفقهاء فانه كلام مردود » وفي المغرب « العنة على زعمهم اسم من العنين وهو الذي لا يقدر على اتيان النساء ، أو من العنة بالضم اسم للحظيرة (من خشب تعمل للابل والخيول) أو من عن اي اعترض لأنه يعترض بيننا وشمالا . ولم اعثر عليها الا في الصحاح أو من العناء نقلت عن الزمخشري » ا هـ . فانظر الى هذا التمحلل والتجيز في تخريج لفظة العجمية يحاولون اِقحامها في العربية .

عيد : العيد ، الموسم ، قال امرؤ القيس :
 فأنستُ سرباً من بعيد كأنه رواهبُ عيد في ملاء مهذبٍ

وفي سفر الخروج ٣٣ : ١٥ « تحفظ عيد الفطير » والجمع اعياد . كلمة سريانية
وعبرية حَلُؤًا Ido . ومنه اشتقوا اسم يبعة بتقديم beth ܒܝܬا عليها .

* *
*

حرف الغين

غَبِيرَاء : في معجم الشهابي ص ٥٨٤ « جنس أشجار من فصيلة الورديات »
وفي الجواليقي ص ٢٣٦ « والغَبِيرَاء هذا الثمر المعروف دخيل في كلام العرب ،
لفظ الواحد والجمع فيه سواء » وفي الجهرة ١ : ٢٦٨ « والغبراء والغبيراء نبت
تأكله الغنم ، فاما هذا الثمر الذي يسمى الغبيراء ، فدخيل في كلامهم » وفي
اللسان « والغبراء والغبيراء نبت سهل . . . واما هذا الثمر الذي يقال له
الغبيراء فدخيل في كلام العرب ، قال ابو حنيفة : شجرة معروفة سميت غبيراء
للون ورقها وثمرتها اذا بدت ثم تحمر حمرة شديدة ، قال وليس هذا الاشتقاق
بمعروف » هو بالسريانية : ܓܘܒܝܪܘܐ و ܓܘܒܝܪܘܐ Gbaïro , Goubaïro .
غَدِير : بركة وفيه لغتان ܓܘܕܝܪܘܐ و ܓܘܕܝܪܘܐ Gdoro , Godiro .
غُرٌّ : طائر مائي ܓܘܪܘܐ Ouro .
غِرَاء : ما طلي به : ܓܘܝܪܘܐ Guïro .
غِرَارَةٌ : جوالق منسوج كالشبكة ، في شفاء الفليل ١٤٢ « غِرَارَةٌ جمه غرائر
وهي معروفة ، قال الجوهري أظنها معربة » ܓܘܪܓܝܘܐ Gourgtho .
غَرَّبٌ : خِلاف ، صفاف ، ووردت اللفظة السريانية في المزمور ١٣٦ : ٢
ولكن الترجمات العربية قالت فيها الصفاف « على الصفاف في وسطها عاقنا »
ܓܘܪܒܘܐ Arbo ويقال ܓܘܪܒܘܐ Arbtho غَرَبَةٌ ، صفافة .
غَنَارَةٌ : وشاح الكهنة في الهيكل ، ويقال أيضاً مِقَنَرٌ : لفتة مسيحية سريانية

أما هو مجاز . وافصح دوفال بنجار الككمة السرياني وتوافقها والبراني ص ١٦٦
 خلافا لمن زعم انه فارسي ، فضلاً عن وجود الككمة في اللغة البابلية Passuru
 (يشورو) بلفظ الثاء شيئاً «الديانة الآتورية البابلية لدورم ص ٢٦٨» .
 فاشرشتين : ܦܫܪܫܬܝܢ Fasharshtine ذكره الحسن بن بهلول في
 معجمه السرياني العربي عمود ١٨١ و ١٨٣ و ٤٢٢ و ٤٢٣ و ٤٦٣ و ١٦٤٦ قال : (١)
 الفاشرشتين وسماه «مسيح» (٢) أيضاً شستبذان ، وقال عبدوس بن يزيد بناء
 وابن سرافيون ، ان الفشر معناه الكرمة البيضاء . وقال الطيبان جبرائيل
 آل بختيشوع وشملي (٣) ، انه الكرمة السوداء التي هي البروانيا البرية Bryonia ،
 وارتأى المطران توما اودو في معجمه «كثر اللغة الآرامية» مج ٢ ص ٣٥٠
 انه كرم أبيض وسماه فاشرستين . وقال الشرطوني ص ٩٥٦ انه الكرمة السوداء
 الثر (٤) ، وهو كما عرفه الأمير الشهابي في معجمه ص ١١٥ و ٦٠٢ «نبت معتش
 ينبت في الحراج له ثمرة عنبية حمراء أو سوداء ، وجذور غلاظ شديدة الاسهال
 تستعمل في الطب» وصرح بسريانيته . ولكن وقع تصحيف في اسمه «فاشرشتين»
 كما أخطأ الشرطوني بتسميته «الفاشرشير» والصواب ما ذكرناه في أعلاه .
 وهو عندنا لفظ سرياني مركب أو لفظ فارسي سرياني معناه : شراب الكرمة
 البرية ، او الشراب الهاضم ، لان «فاشرا» اما أن تعني : الكرمة البرية واما من
 لفظة ܦܫܪܫܬܝܢ Fshar ومدلولها هضم الطعام . وشتين من فعل ܫܬܐ
 السرياني Shto ومعناته : شرب .
 فيجل : قال الجواليقي ص ٢٤٢ «الفِجْلُ والفُجْلُ (بسكون الجيم وضمها)

(١) جاء به المنصوري وهو كتاب لابي بكر بن محمد بن زكريا الرازي

(٢) هو ابو سهل عيسى بن يحيى المسيحي الجرجاني .

(٣) كان شلي طبيباً ازهر في القرن التاسع لليلاد .

(٤) وسمى ابن بهلول الكرم الأبيض بالفارسية (سندابار) والأسود (هزاركفان)
 وقيل (ازهركتان) .

أرومة نبات ، قال ابن دريد وليس بعربي صحيح ، قال وأحسب ان اشتقاقه من
(فَجَل الشيءُ يفَجَلُ فجلاً ، اذا استرخى وناظ) اه ، ومثله في شفاء الغليل
ص ١٤٦ . هو سرياني كُصْلُ Fouglo وصرح بهذا دوفال ص ١٥٨ .
قَبَخ : جاء في شفاء الغليل ص ١٤٩ « فبخ ، الذي يصاد به الطير معرب
وليس بعربي ، واسمه بالعربية (طرق) وهو اسم وادٍ عربي كذا في المعجم »
وقال الخليل في من كلام العجم ج نخاخ ونخوخ ، وتسميه العرب الطرق
(الشرتوني ٢ : ٩٠٦) هو سرياني كُصْلُ Faho .

فَدَن : الفَدَن محرّكة ، صبغ احمر والقصر المشيد (الفيروزبادي ٤ : ٢٥٥
والشرتوني ٢ : ٩٠٨) . وأوردها الزمخشري في الأساس ٢ : ١٩٠ ووقعت في
معلقة عنتره قال :

فوقفتُ فيها نائتي وكأنها فَدَن لا قضي حاجة المتلوم

واللفظة بالسريانية كُصْبُلُ ofadno و كُصْبُلُ afdono ومعناها قصر ،
صرح ، جوسق ، مقصورة (ابن مهلول ١ : ٢٤٨) ووقعت في بعض أشعار
مار يعقوب السروجي المتوفى سنة ٥٢١ م واعتبرها دوفال سريانية التجار (٨٣ : ٣)
فاما ان تكون معربة من السريانية على ما نرى ، واما من توافق اللفتين .

فَدَان : آلة الحرث . قال الجواليقي ص ٢٤٥ « قال ابو بكر (الفَدَان)
نبطي معزّب ، فان شئت فشدّده وان شئت فخففه » وعلق عليه الشارح قال
« هذا الذي ذكر ابن دريد انما هو في الفدان مراداً به « الذي يجمع أداة
الثورين في القران للحرث . وقيل الثور ، وقيل : الفدان واحد الفدادين وهي
البقر التي يُحرث بها ، كما في اللسان . وفيه » قال ابن الأعرابي هو الفَدَان
بتخفيف الدال . وقال ابو حاتم : تقول العامة الفَدَان والصواب الفَدَان بالتخفيف ،
وأما الفدان بمعنى المزرعة أو بمعنى المتدار المعروف من الأرض بمصر ، فلم أجد
نصاً صريحاً فيه . ولكن ذكر في اللسان بمعنى المزرعة وُضبط بالقلم بالثشديد ،

وفُزْزِلَه : قَيْدَه . لفظة سريانية كُتِبَ الِها Farzlo : حديد ، قيد ، مجزر ، مسكين .
وكُتِبَ الِها Farzlonio ، Farzloio ، وفُزْزِلِي : حديد ،
والفعل كُتِبَ الِها farzél : قِيد .

فُزْزُوم : ستر (الثياب) مشزّر وهو السراويل ، نوع من الثياب يقال له
المِرْطُ او المِشزّر . وفي أقرب الموارد : الفُزْزُوم نوع من الثياب يقال له المِرْطُ
أو المِشزّر . وفي الجواليقي ص ٢٦٦ « قال ابو بكر : وتسمي عبد القيس المِرْطُ
والمِشزّر : مُفْزُومًا ، بالفاء وأحسبه معرّبًا » وفي الهامش : قال ابن دُرَيْدٍ أيضًا
٣ : ٣٣٧ فأما الفُزْزُوم بالفاء فإزار تأتزر به المرأة في لغة عبد القيس وأحسبه
معرّبًا » والمادة بهذا المعنى لم تذكر في اللسان ولا في القاموس . قلنا هي
سريانية كُتِبَ الِها frozoumo والفعل كُتِبَ الِها Ethfarzam : تأزر لبس
سراويل . فاللفظ معرب من السريانية (١) .

مُفْرَسَة : وسيلة ، واسطة ، وفي أقرب الموارد والمصباح ، النوبة وفي السريانية
كُتِبَ الِها ، كُتِبَ الِها fourço , fourso والفعل كُتِبَ الِها Ethfarace :
انتهز فرصة . وذهب الاستاذ بندلي انها يونانية الاصل Peros ومن السريانية
أخذها العرب . (مجلة مجمع اللغة العربية ٣ : ٣٤٤) .

فُرْط : فرد ، حبّ الرمان . وفي شفاء الغليل ١٥١ « فرط » العامة تقول
لتبديد حبات العقد والرمان ونحوه ، تفريط ، وهو مجاز قريب مولد . اه ،
وبالسريانية كُتِبَ الِها faréd .

فُوطُوسَة ، وفُوطُوسَة الخنزير : انه وكذلك فِطُوسَة الخنزير : خُطْمُه :

(١) فُرشان : أوود ابن جرير التكريتي هذه اللفظة في كتابه المرشد ، الباب ٤ ، ه قال
« أن يؤخذ من البركة أولا وهي الفُرشان المسموم على المذبح الذي قد بورك » اه ، وهي معرب
كُتِبَ الِها ويقال فيها (برشان) وقد مرت بك .
م (٢) .

فَرْفُوشًا بالسین المعجمة fartousho والفعل فَرفَشَ فَرْفَشًا : فرض ،
مدًّا فرطوته^(١) .

فَرْفُوحٌ : في اقرب الموارد ٣ : ٩٢٠ « الفرفوخ البقلة الخمقاء التي يقال لها الفرفير
وهي الرجلة ، معرب ، وفي معجم الشيباني ١٦٦ = « رجلة ، بقلة حمقاء ، بقلة
مباركة ، فَرْفُوحِين ، وفَرْفُوحِينَة في لبنان . وهما من السريانية ، بقلة عشبية لحمية
تزرع ، وكثيراً ما تنبت في الزروع » فَرفَشَ فَرْفُوحًا farfhiné .

فاروق : جاء في المصباح ص ٢٢٢ « الفاروق الرجل الذي يفرق بين الامور
اي يفصلها » . وزاد الشرتوني : ولقب عمر بن الخطاب . وفي معجم البلدان
٧ : ٢٩٨ « قال علي بن ابي طالب في مسجد الكوفة . . . وهو الفاروق » .
والفاروق في عرفنا المسيحي هو المخلص والمنقذ وهو سيدنا المسيح : جاء في
مصحف الناموس للروم في فصل « حقوق الله » (هكذا يقول سيدنا المسيح
ووسيطنا وفاروقنا) وورد الفاروق أيضاً بمعنى الواقي والمنجي من الهلاك ومنه في
كتاب العنوان للمطران اغنايوس المنجي الرومي ص ١٨ طبعة بيروت قال
« وكان شيخه (شيخ جالينوس) في الطب طيب اسمه اليانوس ، وهو الذي
توجه الى مدينة انطاكية في السنة التي وقع الموت باهلها ومعه ترياق (الفاروق)
فمن شرب منه قبل ان يمرض نجا ، والذين شربوه بعد المرض منهم نجا ومنهم هلك »
وقال البيروني ص ٣١١ و كالفاروقة وتفسيرها : النجاة .

والكلمة سريانية فَرْفُوشًا فوروقو forouqo وهي امم فاعل من فعل فَرْفَشَ fraq
الذي يعني : فرق ، فصل وخلص ونجى . وبهذا المعنى جاء الفاروق في عرفنا .
أما فعل فرق العربي فلا يتناول معنى خلس ونجى ونحوهما . والمصدر من فَرْفَشَ

(١) قال ابن دريد ٣ : ٢٦ « الفِطَّيس المطرقة العظيمة هي اما سريانية واما رومية
الا ان العرب قالت فطيسية الحنزير يزيدون بها أنه (ابن سيده ١٢ : ٢٥٨) وفي الجواليقي
ص ٢٤٥ عن ابن دريد « ليست بعربية محضة اما رومية واما سريانية » .

فرقان : $\text{فرقان} \text{fourqano}$ ومعناه خلاص ، نجاة ، نصر ، فدية ،
 حق ، ملك . وبهذا المعنى وردت في القرآن في سورة الأتقال « ان تتقوا الله
 يجعل لكم فرقاناً » فشرحه ابن سميذ بقوله : الفرقان ، النصر على الأعداء .
 وكذلك شرح ابن دريد قول القرآن « يوم الفرقان » يوم النصر . أخذاً من
 السريانية . هذا ومعناه استعمالوه للقرآن فقالوا دعي القرآن « بالفرقان »
 لأنه يفرق الحق من الباطل ، وفسرود أيضاً في قوله في سورة البقرة « آتينا
 موسى الكتاب والفرقان » بمعنى التوراة ^(١) .

فراسة المرأة : حسن تدبيرها وهي مفراسة والنون زائدة . (أقرب الموارد)
 ولا فعل عربي لهذه اللفظة . وهي سريانية $\text{فراسة} \text{fournoço}$ مصدر فعل
 $\text{فراسة} \text{farnéce}$ ومعناه : ماس ، ودبر ، اعتنى ، رتب .

قريسة : يرشانة التقديس : مسيحية سريانية $\text{قريسة} \text{fristo}$ اقتصر على
 إيرادها ايليا ابن السني في ترجمانه .

فستق : الفستق وتؤوه مضمومة ومفتوحة ، جنس اشجار مثمرة وحرجية من
 فصيلة البطحيات (الشهابي ٥٠١) وفي المصباح بتصريف (ص ٧٢٤) نقل معروف
 وهو معرب والتعريب حمل الاسم الأعجمي على نظائره من الأوزان العريضة ،
 وفي البارع تقول العامة فستق وفستق بالفتح والصواب الضم ، نقله الاصمعي
 وثوب فستقي بالضم ٥١ . وفي شفاء الغليل ص ١٤٨ « فستق معروف معرب »
 والذي عندنا انه ورد في السريانية والعبرية ، ومنه في سفر التكوين ٤٣ : ١١

(١) فرن : قال الجواليقي ص ٢٤٤ وكذلك « الفران الذي يُخبز فيه » ليس بعربي
 محض « ومن اشتقاق اسم (الفرنية) وفي الجوهرة ٢ : ٤٠٢ « والفران شيء يُخبز فيه ولا
 أحبه عربياً محضاً » وفي الجمل : الفران : ليست عربية محضة (أقرب الموارد ٢ : ٩٢٢) وفي
 مجلة مجمع اللغة ١ : ٤٢ (الفران الخبز معرب والفرانة الحيازة) . قلنا هو لفظ لاتيني التجار من
 fornax ومنه أخذت الفرنسية : fourneau « قاموس ميخائيل Thiel ص ٦٤٦ »
 ومن اللاتينية أخذها السريان بلفظة $\text{فرانو} \text{fourno}$.

«ولاذنماً وفتقاً ولوزاً» **ܦܝܫܬܘܗ** Pestho وأثبتته دوفال في عداد الفاظ اللغتين ٣: ١٦٢ واستعملته اللغات اليونانية واللاتينية والظليانية والفرنسية والانكليزية والفارسية (انظر معجم Chambers في اللغة الانكليزية ص ٥٩٦) والتركية (معجم كلكيان ص ٨٩٨) .

فسر الطبيب فسراً وتفسيراً : نظر الى بول المريض ليستدل به على شيء من أمره . والتفسرة مصدر او هي البول يستدل به . . . أو القارورة التي فيها بول المريض ليعرض على الطبيب . وفي القاموس ٣: ١١٠ او هي مولدة . ووردت في جميع الكتب الطبية .

قلنا انها لفظة سريانية الاصل **ܦܫܪܘܗ** و **ܦܫܪܘܗ** Tafshourtho و **ܦܫܪܘܗ** fashro و **ܦܫܪܘܗ** fshartho بمعنى . والفعل **ܦܫܪܘܗ** Tafshar : بال المريض خاصة . وليست كما زعم الراغب في مفرداته بقوله فيها ص ٣٨٩ « الفسّر اظهار المعنى المعقول ومنه قيل لما بُدِي عنهُ لبول : تفسرة » (١) .

فَشَّ : جاء في المصباح ٢: ٧٢٦ فشَّ الرجل الباب فهو فشاش ، اذا فتح الغلق بألة غير مفتاحه حيلةً ومكرًا ، وفي شفاء الغليل ص ١٥٣ «فشَّ القفل اذا فتحه بغير مفتاح» فهي لفظة دخيلة في العربية وأراها معربة من السريانية **ܦܫܘܗ** fash ، ارخى ، حلَّ ، ومشتقاتها بمعنى .

فَشَار : قال صاحب شفاء الغليل ص ١٤٦ « الفشار للهديان ليس من كلام العرب كما في القاموس » وفي التاج « الفشار كغراب ، الذي تستعمله العامة بمعنى الهديان وكذا التفشير ليس من كلام العرب وانما هو من استعمال العامة » قلنا الفعل **ܦܫܪܘܗ** fshar سرياني معناه هذى ، بدى ، فشر ، والمصدر **ܦܫܪܘܗ** (١) فسقية : «مجمع الماء جمه فسقي اشتهر في الاستعمال وعبارات الفقهاء ولا أدري له أصلاً» (عفاء الغليل ص ١٥٢) قلنا اللفظة لاتينية التجار **Piscina** وصرّح به الشرنوبلي ٢: ٩٢٥ ومن اللاتينية أخذتها السريانية **ܦܫܩܝܢܐ** Peskine : قناة ، بركة ، صهريج ، وبوساطها أخذتها العربية . ومن اللاتينية سرت الى الفرنسية **Piscine** والانكليزية **Piscina** .

fshoro و كُصَحُنْنا foushrono والفاعل من كُصَحُنْ المتعدي fashar
كُصَحُنْ fashoro : فُشَار ، هَذَا ، كَذَاب .

فِصْح : لفظة عبرية الأصل (Pésach يساخ) أُخِثت بها الف بحسب الطريقة الآرامية فصارت كُصَحُنْ بِسَخا Pascha بالسین المهملة وعربوها ولا سيما اليهود : فِصْح . وأوردها ابن يهلول في معجمه عمود ١٥٨٩ و ١٥٩٦ كُصَحُنْ ، كُصَحُنْ و كُصَحُنْ : الفِصْح او الفِصْح . وهو عند اليهود عيد تذكّر خروجهم من مصر بعبور البحر الأحمر ودخولهم أرض الميعاد بعد ذبحهم خروف الفِصْح . وعند المسيحيين عيد القربان الإلهي المعروف بالفِصْح الجديد ويكون في الخميس السابق عيد القيامة ويسميه السريان خميس الفِصْح ، ويطلق أيضاً على عيد القيامة نفسه ، ومن العبرية أخذ السريان هذه اللفظة فأبدلوا السين بالصاد وقالوا فيها كُصَحُنْ و Pes - ho فِصْح وبلغتهم هذا تقلباً عنهم العرب ولم ترد عندهم إلا في فِصْح النصارى ، قال الأعشى يمدح هوذة بن علي النصراني الذي أطلق امرئ بني تميم يوم عيد الفِصْح :

يهم تقرب يوم الفِصْح ضاحيةً يرجوا الآمة بما أسدى وما ضما^(١)
واتفقت اللغتان العبرية والسريانية على معنى الفِصْح اللغوي وهو العبور والاجتياز
أما الأولى ففي الفعل الثلاثي Pésach وأما الثانية ففي المزيد كُصَحُنْ Afsah
ودليله في السريانية ما ورد في سفر الخروج بحسب الترجمة السريانية البسيطة
١٣ : ١٣ « ويكون الدم علامة لكم على البيوت التي انتم فيها فأرى الدم واجوز
عنكم » وبالسريانية كُصَحُنْ كُصَحُنْ Efsah claicoun والفعل كُصَحُنْ
بمعنى جاز وعبر ، وأيضاً عيد وأكل الفِصْح « كثر اللغة السريانية ص ٣١٣
ودليل الراغبين ص ٦٠٠^(٢) و كُصَحُنْ Ethfasah للمعنى الثاني فقط . وجمع

(١) النصرانية وآدابها لشيخو ١ : ٢١٦

(٢) ضلّا عن ضل كُصَحُنْ F'saa ومنه عبر ، جاز ، جاوز وكذا في العبرية

الفصح فصوح قال البيروني ص ٣٢٣ « ثم نستخرج من هذه النصوص المصححة فطر الصابئين » والفعل أفصح يقال أفصح النصارى واليهود : حان فصحهم . ودخلت لفظة الفصح أكثر اللغات بوضعها كاليونانية Paska واللاتينية Pascha^(١) والنسبة اليها Pasckalis و Paskalios فصحي ، ومن اليونانية انتقلت الى الحبشية Pésch . Paska والفرنسية Pâque^(٢) والانكليزية Pasch^(٣) وغيرهما من اللغات العربية والأرمنية Passèk والتركية : پاسقاليه^(٤) أخذاً من اليونانية بلفظها المنسوب اليه . ولا يزال الأقباط بلفظونها بحسب الوضع العبري فيقولون جمعة البسخة أفصي : تنفسي : تخلص من خير او شر ، وانفصي من الشيء تخلص وخرج منه . وفي أساس البلاغة ٢ : ٢٠٣ « وقع في ما لا يقدر على التنفسي منه ، وليثني أتفصي من فلان أي أتخلص منه وابابنه » وأورد باقوت في خبر مدينة البصرة ، « قال نافع بن الحارث ان اخته لما أخذت الأرز توقد تحته ، نادت ألا انه (تنفسي) من حبيبة حمراء » معجم البلدان ٢ : ١٩٤ والفصية : المرة واسم بمعنى أتخلص تقول فصي الله لي بالفصية من هذا الأمر . هذه المادة تتفق فيها اللغتان السريانية التي تكثر استعمالها ونظن اصل الكلمة منها ، والعربية التي يندر فيها استعمالها . في السريانية فُص / fso و فُصم / faci : فصي ، فصي ، خاص ، استنقذ و فُصم / Ethfaci : تنفسي و فُصم / fsoito : نجاة ، فصية . وتوافقها العبرية في الثلاثي Pso بمعنى (المعجم السرياني اللاتيني للاب يرون ص ٥٠٤) .

(يتبع) مار اغناطيوس افرام الاول برصوم

بطريرك انطاكية وسائر المشرق للسريان الارثوذكس

✠✠✠✠✠

- (١) قاموس Thiel ص ١١٢٣ (٢) فيه
 (٣) معجم اللغة الانكليزية تأليف Chambers ص ٥٧٤
 (٤) قاموس كلبيان ص ٣١٣

كنوز الأجداد

- ١٣ -

أبو الفرج الاصفهاني

علي بن الحسين

(٣٥٦)

قيل انه من ولد هشام بن عبد الملك وساق ياقوت نسبة هكذا: علي بن الحسين ابن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الله بن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف، ولد في اصفهان وأخذ العلم في بغداد عن ابن دريد وابن الأنباري والجمحي والأخفش ونفطويه وكتب عليه أن يتنقل في البلاد وانتهى الى أن أصبح من ندماء الوزير المهلبى ووصل الى سيف الدولة ابن حمدان . وصفه ياقوت بالعلامة النسابة الاخباري الحفظة الجامع بين سعة الرواية والحذق في الدراسة لا أعلم لأحد أحسن من تصانيفه في فنها وحسن استيعاب ما يتصدى لجمعه وكان مع ذلك شاعراً مجيداً .

وقال التنوخي كان يحفظ من الشعر والأغاني والأخبار والآثار والأحاديث المسندة والنسب ما لم يحفظ مثله أحد ويحفظ دون ذلك من علوم آخر منها اللغة والنحو والخرافات والسير والمغازي ، ومن آلة المنادمة شيئاً كثيراً مثل علم الجوارح والبيطرة وتنف من الطب والنجوم والأشربة وغير ذلك وله شعر يجمع اتقان العلماء واحسان الظرفاء والشعراء .

كتب المؤلف مصنفات كثيرة أجاد فيها وأجلها كتاب الأغاني جمع فيه الأصوات القديمة وما قيل فيها وتراجم الأدباء والشعراء وأخبار الحضارة والعالم

- ٣٤٣ -

بما لم يكتب الكثيرين ان يجيدوا فيه ، فالأغاني كتب كثيرة في كتاب ،
انفع به كل مؤلف وكل أديب وكل شاعر وكل ناثر على اختلاف العصور
ولو قد كتب له الضياع لفقد الأدب العربي بفقده أعظم جزء مهم . ومن عظيمة
هذا الكتاب ان فيه أخباراً اقتبسها من كتب لم تصل إلينا وقد حمله أشعاراً
وقصصاً من الأدب المكشوف لا تزوق الا فرنج طرقتها وتلاهم العرب لهبدا
في الاشمزاز من كتبها وتلاوتها وانشادها .

وقد استغرب من ترجموا لأبي الفرج بأنه كان على نزعة شيعية مع انه أموي
من صميم بني أمية والغالب ان ينسبته اوحث اليه ذلك وكانت بعض الكتب التي
اعتمد عليها من مؤلفات الشيعة . وقيل انه كان يؤلف بعض الكتب ويرسلها الى ذوي
قرباه من الأمويين في الأندلس ويجيزونه عليها سرّاً . وهذا كتابه الأغاني اهداه
لسيف الدولة بن حمدان وهو شيعي فأجازه عليه بألف دينار وبلغه الصاحب بن
عباد فقال : لقد قصر سيف الدولة وانه يستاحل أضعافيا ووصف الكتاب فأضرب
ثم قال : ولقد اشتملت خزائني على مائتين وستة آلاف مجلد ما منها ما هو سميري
غيره ولا راقني منها سواه . قال ابو محمد المهلبى سألت أبا الفرج في كم جمعت
هذا الكتاب فقال في خمسين سنة . قال ياقوت : « وامرني ان هذا الكتاب
جليل القدر ، شائع الذكر ، جمّ الفوائد ، عظيم العلم ، جامع بين الجد البحت ،
والهزل النحت » .

جمع الاصفهاني كتابه من كتب من سبقوه الى خوض هذه الموضوعات ومن
دواوين الشعر والخطب والأخبار ما عثر على غيره استيفاه مثله . جمعه بدوق
عالٍ شفاف حتى لينسى قارئه ان ابا الفرج جماعة قل ان يأتي بشيء من عنده
واذا أتى به كان من الجيد الممتع لا يخرج كتابه عن منهاجه ولا يجيد عن
ترتيبه . وأسلوبه سهل الممتع في الكتابة وربما كانت كاتباً أكثر منه شاعراً
وان نسب المؤلفون اليه الشعر ووصفوه بالجودة . فالأغاني مفخرة لفة العرب

لو اقتصر متأدب عليه لجاء منه أول أدب لأنه يظفر فيه بأدق الشعر وأجزل الخطب الى ما هناك من أخبار وطرف وسير ومجالس وبدائع كتبها بحرية ظاهرة وما عمد الى شيء من التقيّة في تقييدها وتدوينها .
ورموا أبا الفرج بأنه كان مستهتراً في سيرته شأن بعض الندماء في العصر العباسي وكيف يمتنع التديم عن أشياء حظرها العرف والشرع وهي معروضة عليه كل ساعة وبها قد ينفق على مخدومه . وكما كانت يثبته الأصلية أوصلته الى القول بالتشيع لأهل البيت وهو من أسرة منافسة لهم سافته الندامة الى ارتكاب امور كان يعف عنها لو لم يصل الى تلك المجالس والملاهي . ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه .

ثم ان من الطبيعي ان يرجع من يكتب كتاب «مقاتل الطالبين» الى مصادرهم ويرشح فكره من أفكارهم ، وكما ان من يتوسع في الترجمة لأبي نواس وينقل شعره العاهر بدون حرج يحكم على المؤلف انه كان في كتاب «مقاتل الطالبين» شيعياً جلدأ^(١) وفي الشعر النواصي خليعاً ماجناً . وكتاب الأغاني على أي حال هو معلمة أدب أو أكبر معلمة في أدب العرب لا يستغني عنه كاتب ولا مؤلف ولا تلميذ ولا أستاذ . كتبه مؤلفه في السنين الطويلة ولم يدخر وسعاً في تجويده فجاء كما أراد هو وأراد الأدب وحاول بعض المتزمتين اختصاره فما أتوا بكبير أمر وبقيت قلوب الدارسين والمتلمهين لا تعلق لها بغير قراءة الأصل والاعتقاد عليه .

ألف كتاب الأغاني في عصر نضجت فيه الآداب نضجاً لم يتيسر لها في القرون التالية ان وفقت الى أكثر منه فهو بلغته السامية ومادته الواسعة من النمط

(١) يقول صديقي الأستاذ المحقق شنيق جبيري انه آمن النظر كثيراً في كتاب الأغاني فرآه ينقل ما يرميه بالتشيع وما كتبت به برأيه منه فهو بريء من التشيع اذا اعتبرنا مجموع كلامه . واذا صح رأي الأستاذ الحبيب يخرج أبو الفرج من تهمة ألصقت به زمنياً طويلاً لأنني ما رأيت مؤلفاً من القدماء الا وقال بشيعته .

العالي ، وفي جودة تأليفه المثل السائر بين المؤلفات ، صرف مؤلفه في تصنيفه
تقد عمره فخلد اسمه تخليداً لم يلبه من ألفوا مجلدات أكثر من مجلداته ، ذلك
لأن هؤلاء كتبوا برؤوس أناملهم من حاضر الوقت وكتاب أبي الفرج كتبه
بتحقيقه وجمال ذوقه وخلع على ما جمع حلة شائقة من ظرفه ، وبمجموع هذا دل
على نبوغ تفرّد به في هذا الباب من دون أكثر المؤلفين ، ومثل هذا التأليف
إذا أرادت أمة عظيمة من أمم الحضارة الحديثة أن تخرجه للناس لا يعمل فيه
أقل من خمسين عالماً اخصائياً في فنه وأبو الفرج عمل وحده وكان نسيج وحده ،
فالأغاني كتز من كنوز الأجداد ومفخرة الآباء والأبناء والأحفاد .

وما روي من شعره ما قاله في هجو المهلبى :

أبعين مفقري اليك رأيتني بعد الغنا فرميت بي من حلق
لست الملموم أنا الملموم لأنتي أملت للاحسان غير الخالق

ومنه :

حضرتكم دهرًا وفي الكم تحفة فما أذن البواب لي في لقاءكم
إذا كان هذا حالكم يوم اخذكم فما حالكم تالله يوم عطائكم
وذكروا ان صاحب الأغاني كان كاتباً لركن الدولة حظياً عنده محشماً له
وكان يتوقع من الرئيس أبي الفضل بن العميد ان يكرمه ويجهله ويتوفر عليه
في دخوله وخروجه وعدم ذلك منه فقال :

مالك موفور فما باله اكسبك التيه على المعدم
ولم اذا جئت نهضنا وان جئنا تطاولت ولم تتحم
وان خرجنا لم تقل مثل ما تقول « قدم طرفه قدم »
ان كنت ذا علم فمن ذا الذي مثل الذي تعلم لم يعلم
ولست في الغارب من دولة ونحن من دونك في المنعم
وقد ولينا وعزلنا كما انت فلم نصغر ولم نعظم
تكافأت أحوالنا كلها فصل على الانصاف او فاصرم

وقد روى ابوحيان في كتاب الوزيرين من تصنيفه من خبر هذه الآيات غير هذا
ومن قوله في المهلبي :

ولما انتجعنا عائدين بظله أمان وما عنى ومن وما منا
وردنا عليه مقترين فراشنا وردنا نداء مجربين فأخصبنا
وله من قصيدة يستمحه :

رهنت ثيابي وحال القضاء دون القضاء وصد القدر
وهذا الشتاء كما قد ترى عسوف علي قبيح الأثر
نمادى بصراً من العاصفا ت أودمق مثل وخز الأبر
وسكان داري ممن اعو ل يلقين من برده كل شر
فهذي تحن وهذي تنن وأدمع هاتيك تجري درر
إذا ما تملن تحت الظلام يملن منك بحسن النظر
ولاحظن ربك كالمحلقين شاموا البروق رجاء المطر
يؤمن عودي بما ينتظرن كما يرتجى آب من سفر

شعر لطيف ولكنه بعيد عن عزة النفس ما كان يليق صدوره من مثله .

عماد الدين الكاتب الاصفهاني

محمد بن محمد

(٥٩٧)

قالوا خرج من اصبيان من العلماء والأئمة في كل فن ما لم يخرج من مدينة
من المدن وعلى الخصوص علم الاسناد فان أعمار أهلها تطول ولهم مع ذلك
عناية وافرة بسماع الحديث وبها من الحفاظ خلق لا يحصون ولها عدة تواريخ .
والعماد الكاتب هو من هذه المدينة الجميلة نشأ بها وجاء بغداد شاباً فانتظم في
سلك طلبة المدرسة النظامية وتفقّه بأجلة فقهاها ومحدثها واجازوا له ثم رجع

الى اصفهان فتفقه بها أيضاً على الخجندي والوركاني وعاد الى بغداد واشتغل بصناعة الكتابة فبرع فيها ونبع واتصل بالوزير يحيى بن هبيرة فولاه النظر في البصرة ثم بواسط ولما توفي ابن هبيرة أقام العماد ببغداد مدة منكدة العيش ثم انتقل الى دمشق فأنزله قاضي القضاة كمال الدين الشهرزوري بالمدرسة النورية وكان للعماد معرفة بنجم الدين أيوب .والد السلطان صلاح الدين ، عرفه بتكريرت حين كان نجم الدين والياً عليها ، فلما سمع نجم الدين بوصوله بادر للسلام عليه في منزله ومدحه العماد بقصيدة جاء في مطلعها :

يوم النوى ليس من عمري يحسوب ولا الفراق الى عيشي بمنسوب
ما اخترت بعدك لكن الزمان أتى كرها بما ليس يا محبوب محبوبني
وكان القاضي الشهرزوري يذكر العماد عند السلطان نور الدين وذكر له تقدمه في العلم والكتابة وأهله لكتابة الانشاء فتردد العماد في الدخول فيما لم يتقدم له اشتغال طويل به ، مع توفر مواد هذه الصناعة عنده ، خوفاً من التقصير فيما لم يمارسه ثم أقدم بعد الاحجام فباشرها وأجاد فيها حتى زاحم القاضي الفاضل بمنكب ضخمة . وكان ينشي الرسائل بالفارسية أيضاً فيجيد فيها اجادته بالعربية .
وعلى منزله عند نور الدين وصار صاحب مبره وفرض اليه تدريس المدرسة العمادية وولاه الاشراف على ديوان الانشاء . ولما توفي نور الدين وولي ابنه الملك الصالح اسماعيل اغراه بالعماد جماعة كانوا يحسدونه ويكرهونه فخاف على نفسه وخرج من دمشق قاصداً بغداد فوصل الى الموصل ومرض بها ولما أبل من مرضه بلغه خروج السلطان صلاح الدين من مصر قاصداً دمشق ليستولي عليها فعزم على الرجوع الى الشام وخرج من الموصل فوصل الى دمشق وصار منها الى حلب فلزم بابه ينزل بنزل السلطان ويرحل برحيله .
هذا ما نقله ياقوت قال ولم يزل ينشي بحاله ملازماً خدمته حتى قربه واستكتبه واعتمد عليه فتصدر وزايم الوزراء وأعيان الدولة وعلا قدره وطار صيته .

قالوا ولما دخل القاضي الفاضل على صلاح الدين لما أدخل عليه العماد الكاتب قال له غداً يأتيك تراجم الأعاجم وما يحملها مثل العماد . فقال له السلطان مالي عنك مندوحة أنت كاتب ووزير ورأيت على وجهك البركة فاذا استكثبت غيرك تحدث الناس . فقال : العماد يحل التراجم ولربما أغيب أنا فاذا غبت قام مقامي . وكان اذا انقطع القاضي الفاضل عن الديوان ناب عنه في النظر عليه وألقى اليه السلطان مقاليدته وركن اليه باستمراره فتقدم الأعيان وأشير اليه بالبنان . وكان عماد الدين محل ثقة القاضي الفاضل آمناً من توثبه عليه ولهذا كان يطمئن اليه اذا غاب عن السلطان . وكان شديد الحرص على تحصيل الدنيا وكان الفاضل يلومه ويعتبه ويمذله ويؤنبه على ذلك فلا يرعوي وله في هذا حكايات منها أن رجلاً من أهل حمص جاءه بطبق كيزان وتفصيلة كتان قيعة ذلك كله نحو خمسين درهماً وسأل حاجة فأخذ قصته وقرأها على السلطان وكان قد بلغه الخبر فلم يجبه ، فأعاد العماد عرض القصه وقراءتها مرات في مجالس عدة والسلطان لا يأمر فيها ولا ينهي ففطن العماد وعلم أن الخبر قد اتصل بالسلطان فأعاد عرض القصة فلم يجبه عنها . قال : يا مولانا الطبق الذي أحضره صاحب هذه القصة باق الى الآن لم أتصرف فيه فان كان ما ينقضي شغله أعدت عليه طبقه فضحك السلطان وعجب من دناءة نفسه وأمر بقضاء شغل الرجل .

وكان شديد التهافت على أخذ الختم الذهب التي تجبي ، على كتب الفرنج ، فوصل منهم كتاب بغير حضوره ففتحه السلطان بيده وأخذ بعض الحاشية الختم فلما جاء العماد قيل له اكتب جواب هذا الكتاب ، فقال يكتب جوابه من أخذ الختم فعز قوله على السلطان وقال له : قم اخرج ، الوقت ما هو محتاج اليك . فأتى الى الفاضل وعرفه ما كان فقال له رُح الى الخانكاه وانعد بها مع الفقراء والبس زيهم ، فاذا طلبك السلطان قل انا دخلت في أمر لا أخرج منه ثم لا تخرج حتى يأتيك السلطان بنفسه مترضياً . وكان من هذا التدبير ان جاءه السلطان وترضاه . ومن شعره :

هي كتيبي فليس تصلح من به مدي لغير العطار والاسكاف
هي اما مزود للعقايب ر واما بطائن للخفاف
ولما توفي صلاح الدين اختلف احوال العماد ولزم بيته وأقبل على التصنيف
والافادة حتى توفي سنة ٥٩٧ هـ . وله من المصنفات خريدة القصر وجريدة العصر
تراجم شعراء الشام والعراق ومصر والجزيرة والمغرب وفارس ممن كان بعد
المائة الخامسة الى ما بعد سنة سبعين وخمسة وله البرق الشامي والفتح القسي
في الفتح القديسي وهذا مطبوع وله غير ذلك من الكتب والدواوين .
أما انشاؤه فسجع وفي الفتح القسي منه مثال يأتي على حلم الحليم ، لما أكثر
فيه من الجناس وأتى من أنواع البديع وقد شهد القاضي الفاضل بانه كالزناد
ظاهرة يارد وباطنه فيه نار . ونحن نقول ان شهرته أعظم من حقيقته . لا جرم
انه متمكن من اللغة يصرفها كما يشاء بقلمه وتكفئه لا يخفى على صاحب هذا
الفن . وفي الفصل الذي عقده في الفتح القسي لوصف نساء الافرنج اللاتي فدين
أنفسهن في الحروب الصليبية للترفيه عن بني قومهن في فلسطين مثال بين من ذلك .
وما قيل في نثره يقال في شعره فانه يكثر فيه الجناس أيضا حتى يفقد سلاسته
ولنا ان نقول انه شاعر أرقى من الوسط وناثر كذلك ، هيأت له الايام شهرة
طالما تخطت من بذوه وما ساواهم في أدبيهم وأخلاقهم . ومن قصائده الطوال
في مدح السلطان صلاح الدين ضمنها فتح القدس وفلسطين قال في مطلعها :
أطيب بأنفاس تطيب لكم نفسا وتعتاض من ذكراكم وحشتي أنسا
وأسال عنكم عاقبات دوارس غدت بلسان الخال ناطقة خرسا
معاهدكم ما بالها كعهودكم وقد كررت من درس آثارها درسا
وقد كان في جدس لكم كل طارف وما جثتم من هجركم خالف الحدسا
أرى حدثان الدهر ينسى حديثه وأما حديث العذر منكم فلا ينسى
تزول الجبال الراسيات وثابت رميس غرام في فؤادي لكم أرمى

حسبت حبيبي قاسي القلب وحده وقلب الذي يهبوي بحمل الهوى ألقى
ومنها :

رأيت صلاح الدين أفضل من غدا وأشرف من أضحى وأكرم من أمسى
وقيل لنا في الأرض سبعة أبحر ولسنا نرى الا أنامله الخما
سجيته الحنى وشيمته الرضى وبطشته الكبرى وعزته القعا
فلا عدت أيامنا منه مشرقاً بنبر بما بولي ليالينا الدما
جنودك أملاك السماء وظنهم أعاديك جنًا في المعارك أو انسا
ومن غزلياته قوله :

أفدي الذي خلبت قلبي لواحظه وخلقت لدعات الوجد في كبدي
صفات ناظره سقم بلا ألم سكر بلا قدح جرح بلا قود
على محياه من نار الصبا شمل وورد خديه من ماء الجمال ندي
ومن حكمياته :

اقنع ولا تطمع فان الغنى كاله في عزة النفس
فانما ينقص بدر الدجى لأخذه الضوء من الشمس
وقال : وما هذه الأيام الا صحائف يؤرخ فيها ثم يمحي ويمحق
ولم أر في دهري كدائرة المتى توسعها الآمال والمعر ضيق

ابن القلانسي

هجرة بن اسد بن علي ابو يعلى التميمي

(٥٥٥)

ترجم له ابن عساكر فوصفه بالمعبد وانه كانت له عناية بالحدبث وكان
أديباً له خط حسن ونثر ونظم . وكان فيه تخصص وصنع تاريخاً للحوادث بعد
سنة اربعين واربعائة الى حين وفاته ، وتولى رئاسة دمشق مرتين ، وكان يكتب

له في سماعه ابو العلاء المسلم بن اقلانسي فذكر انه هو وانه كذلك كان يسبح
وفي تاريخ الاسلام انه كان كاتباً أدبياً وجمع بين كتابة الاثاء وكتابة
الحساب وحمدت ولايته توفي في عشر التسعين . وفي طبقات الأدياء انه الأديب
الكاتب الشاعر المؤرخ كان من اعيان دمشق ومن أفاضلها المبرزين ولي رياضة
ديوانها مرتين . وقالوا فيه أيضاً انه كان كاتباً مترسلاً أي مثبتاً بمعنى انه
كان فيه تخصص انه يعرف علوماً اختص بها لا يعرفها غيره او فاق فيها غيره
وكل ذلك لا يبي بالفرض في الترجمة له وكان السياسة غالت أدبه ، والرياضات
تقتضي صرف أوقات . ولم يصرح من ترجموا لابن القلانسي هل كانت ملكة
السياسة فيه أم ملكة العلم والأدب ؟ وعندني ان كل واحد منهما اعين الشق
الأخر على النمو ، ولولا أدبه ما وصل الى هذه المرتبة ، ولولا سياسته ما انتفعت
به بلده وعد من حسناته ، ولولا جميل اخلاقه ما حمدت ولايته . والأرجح
أن ابن القلانسي حصر جهوده في مدينته وما ينفعها ولم يتعد اجتهاده الى بحث
غيرها فأنقص ذلك من شهرته ، ولو رحل الى عواصم أخرى وأطال الرحلة
لذكرته تواريخ هذا الشرق القريب ولعرفنا أموراً نجعلها عنه مما شغل به في خدمة وطنه
الف ابن القلانسي تاريخه ذيلاً لابن عساكر وكان فيه قسم لأواخر عهد
الفاطميين وقد ذكر من ظلمهم وتقلل سياستهم ما كان فيه حجة لأنه دمشقي
يكتب في دولة ظالمة تحكم امة يخالف سوادها الأعظم في مذهبهم . وهو من
سياسة البلدة في صميمها ومن بعد النظر وسعة العقل بالمكان الأسمى .

وصف بعض رجال الفواطم وبعض ملوكهم أجمل وصف كما أحسن الاحسان
كله في الترجمة لمن ترجم لهم من الطائرين على الفيحاء من العلماء ومنهم من رثاهم
على قرب عهده بصدقتهم . وما أجمل قوله في وصف الحاكم بأمر الله : وقال
المغالون في المذهب انه غائب في صره (?) ولا بد ان يؤوب ، ومستتر في غيبه
ولا بد ان يرجع الى منصبه ويشوب ، ووصف ولاية معلى بن حيدرة بن متزود

على دمشق وقد وليها قهراً وغلبة وقسراً من غير تقليد ، ولم يلق أهل البلد من التعجرف والظلم والعسف بعد جيش بن الصمصامة مالمقوه في ولايته . وفي أيام الفاطميين تغلب على دمشق قسام الحارثي من أهل تلمبينا في جبل سنير وكان تراباً يتقل التراب على ظهور الدواب .

ومن ذكاء ابن الفلاس انه كان يلتزم الكتبان في بعض الأحوال ، بخاصة هو يعرف ان الدول في عصره متقلقة متحولة ، فمن فاطمية الى سلجوقية الى نورية وهو لا يعرف لمن تتم الغلبة الأخيرة ولهذا كان يجمعهم أحياناً وهو على صواب في حججه وبتتي وهو غير آثم في تقيته . قال ولما اضطرت المسالك والأعمال ، وانطلقت أيدي التركان والحرامية في الافساد في الأطراف ، واستولى نور الدين محمود على دمشق قال قصيدة مطولة وقال انها نظمت (للمجنول) في صفة هذه الحال آيات شعر تنطق بذكرها بانها له لأنه سبق له أن نظم في الحكم كثيراً . جاء في آخرها :

ومن ذا الذي ينجو من الدهر سالماً
ومن رام صفواً في الحياة فما يرى
فإياك لا تغبط مليكاً بملكه
فان كان ذاعداً وأمن خائفه
وقل للذي يبني الحصون لحفظه
فكم ملك قد شاد قصرأ مزخرفاً
وأصبح ذاك القصر من بعد هجة
وفي مثل هذا عبرة ومواعظ
ومن شعره :

يامن تملك قلبي طرفه ففدا
أمن بوصل لعلني أستجير به
مهدباً بين أشواق وأشجان
من سطورة البين في صد وهجران

م (٣)

مالي منيت بمنوع بعمديني ولا يزيد فؤادي غير احزان
لا برا الله قلبي من تخوفه إن شئت حي له يوماً بسلمان
إذا ترنم قمرى على فنن في ليلة زاد في حزني وأشجاني
وكم أسر غرامي ثم أطلته وليس يخفى لكم سرى واعلاني
لا برد الله شوقي ان نوبت لكم تغيراً لي بال أو بسوان

وله أيضاً :

يا نفس لا تجزي من شدة عظمتكم وأبقي من إله الخلق بالفرج
كم شدة عرضت ثم انجحت ومضت من بعد تأثيرها في المال والمهج

وله أيضاً :

اياك تقنط عند كل شديدة فشدائد الأيام سوف تهون
وانظر أوائل كل أمر حادث أبداً فما هو كائن سيكون

وبعد فليس ذيل تاريخ دمشق وهو تاريخ مختصر جعل على السنين ومزجت فيه السياسة بوفيات الرجال هو كل ما يجب ان يخلفه ابن القلانسي الممتن البارع ، والغالب ان مشاغل البلد وسياستها شغلته عن وضع تأليف ، وقد طال عمره ، اذا لم يؤلفها أمثاله فمن يؤلفها بيد انه لم يفعل . والرياسات مها كانت اعداؤها خفيفة تستغرق الوقت ، وهو ما قصد من تاريخه الا الوفاء بفرض ان لم يقم هو به ضاعت حوادث كثيرة من تاريخ الاسلام ولا سيما تاريخ بلده وهو يحبه وبتفاني في محبته خصوصاً ما كان منها متعلقاً باخبار الفاطميين الذين شهد ظلمهم الفظيع وتعصمهم اللصم لا بدون بعضها أشياهم . وأتباعهم .

محمد كرد علي

•••••

تحقيقات معجمية

- ٤ -

ح: ثَفَرَ وَالثَّفَر

العربية :

ثَفَرَهُ : كسر أسنانه . ثَفِرَ : دُقَّ فمه ؛ و - الغلامُ : سقطت أسنانه .
اثفر واثفر وادثر : نبتت أسنانه (بعد سقوطها) . الاثفار يكون في النبات
والسقوط . اذا وقع . قدَّم الفم من الصبي ، قيل : اثفر . فاذا قلع من الرجل
بعد ما يُسِن ، قيل : قد ثَفِرَ . أصل الثَفَر الكسر والهدم . ثفرت الجدار :
اذا هدمته . الثَفَر والثَفرة : كل فرجة في جبل أو بطن وادٍ ، أو طريق مسلك .
و- كل جوية منفتحة ، أو عورة . والثَفرة : الثلثة . ثفرناهم : سدّنا عليهم
تلم الجبل . والثَفَر : موضع الخافة من فروج البلدان ، و - الفم ؛ أو اسم
الأسنان كلها مادامت في منابتها قبل ان تسقط . هي الأسنان كلها كُنَّ في
منابتها أو لم يكن . تسمى الأسنان ثفوراً ، لأنها تسقط أو تكسر ؛ ثم لأنها
نبتت بعد السقوط ، من باب تسمية الشيء بما كان عليه سابقاً من السقوط ^(١) .
الثفاني : ثرٌ : غزُرٌ ، وسمع . ردَّد ، بدَّد ، خلط . الثرثار : كثير
الكلام ^(٢) . ثَرَّ الشيء : بان ، انقطع ، و - قطع كل عضو ، انقطع ، بان ،
سقط . و - عن بلاده : بعدد . الثرثرة : الثلثة والتعتمة . الثررى : اليد
المقطوعة ^(٣) .

(١) اللسان ٥ - ١٧١ . الصحاح ١ - ٢٩٣ . Lane ٣٣٨ ي .

(٢) الأساس ١ - ٤٩ .

(٣) لبيستان ١ : ٢٣٢ .

الريانية :

(ع) Tra : ترع ، شق ، خرق ، ثلم ، ثفر ، حدم ، فصد ، أفرى ،
أبعد ، جرى .

Tar ā : باب ، مدخل ، رأس ، فصل .

Tarrā ā : ترآع ، أبواب .

Ture tā : ترعة ، ثلعة ، فجوة^(١) .

الثنائي : Tar : قطع ، انقطع ، ترآ ، أترآ ، فصل ، انفصل .

Tartar : ترثر ، بدآ^(٢) .

العبرية :

(ع) Sā ar : فلق ، قسم ، خزق .

Sa ar : باب ، مدخل .

Sō èr : يوأب^(٣) .

Sārah : حل ، فصل ، أرخى^(٤) .

الاكديبة :

Sarū : فتح ، دشن .

Tasritu : افتتاح ، تدشين^(٥) .

الخبثية :

(ع) Sa ara : شق ، فلق ، خزق ، حل^(٦) .

Saraya : حل ، غفر : سامح^(٧) .

(١) أودو ٢ - ٦٣٦ ي - Payne - Smith ٤٥٠٣ ي ي -

(٣) معجم Robinson ١٠٤٤

(٢) معجم متآ ، ص ٨٤٨

(٥) معجم Bezold ٢٨٥

(٤) معجم المالح ٣٩٦

(٧) Dillmann ٣٤٦

(٦) Dillmann ٣٩٠

تنسيق وتعليل

(١) ان مادة « ثغر » هي واحدة في اللغات السامية الاخوات ، وان ظهرت مختلفة من حيث الحروف ، لأن الثاء العربية هي تاء في السريانية وشين في العبرية والاكديبة ، وسين في الحبشية . والعين والعين تتعاقبان في هذه الألسن . وهذا الاختلاف جارٍ في المادة الثنائية المشتق منها الثلاثي . فاذا تقرر هذا نقول .

(٢) ان الأصل الثنائي لهذه المادة الثلاثية هو في العربية « ثَرَّ » ومداليه هي : غنَز ، وسع ، بدد ، خلط . ومنه الثنائي المكرر : ثرثر : بدد . أو الثنائي « تر » ونحوه : بان ، انقطع ، قطع كل عضو . أثر اليد واطرها : قطعها . وفي السريانية Tar : قطع ، انقطع ، تر ، فصل . و tartar : ثرثر ، بدد . وفي العبرية sârah : فصل ، حل ، أرخى . وفي الحبشية saraya : حل ، غفر .

(٣) من القطع والفصل والفتح يتولد في الثلاثي « ثغر » بمعنى الكسر والهدم ، والقطع ، والتزع ، ثم الشق والفلق ، والخزق ، والثلم ، والابعاد ، وبقيّة ما هناك من هذا القبيل ، مما يسهل ادراكه . من ذلك جاء في العربية ثغره : كسر أسنانه . ثغر الغلام : سقطت أسنانه . وفي العبرية : Sa ar : فلق ، قسم ، خزق . وفي الاكديبة Sâru (اصله Sa âru : فتح ، دشّن . و Tasritu) اصله (Tasri tu) وفي الحبشية Sa ara : شق ، فلق ، خزق ، حل . أما المادة السريانية فقد جرى فيها القلب . إذ عوض Tar يقال Tra : ترع ، شق ، خزق ، ثغر .

(٤) من ذلك وردت المعاني المختلفة لكلمة « ثغر » في العربية ، وهي الثغر والنفرة : كل فرجة في جبل ، أو بطن واد . الثغر : موضع الخفاة . من فروج البلدان . والثغر : الفم ؛ والثغر الاسنان كلها ان دامت في منابتها أو سقطت . وفي العبرية Sa ar : ثغر ، باب . و Sò er : بواب . وفي السريانية (بالقلب) Tar à : باب ، مدخل ، فصل . و Tarra a : ترّاع ، بواب . و Tare ta : ترعة ، ثلعة ، فجوة .

خ : مَلِكٌ والمَلَاك

العربية :

ملك الشيء : احتواه قادراً على الاستعداد به . ملك العجين : عجنه فأنعم
عجنه وأجاده ؛ اعتمد عليه يجمع كفه يغمزه بشدة . ملك نفسه عند شهوتها :
قدر على حبسها . ملك القوم : استولى عليهم ؛ ملك المرأة : تزوجها . ملكه :
جعله ملكاً . المالك : صاحب الملك والسيادة . الملاك : الاقنطار . الملاك :
أحد الأرواح السابوية . الملك : من تولى السلطنة بالاعتلاء على الأمة . الملك :
امم لما يُملك ويُتصرف فيه . الملكوت : العز والسلطان . الملك : الملاك (١) .
السريانية :

• Mlak : ملك ، استولى ، أشار ؛ نصح ، أقنع ، وعد .

• Etemlèk : استشار .

• Mallèk : مالك ، سلط ، أشار ، نصح ، وعد .

• Etmallak : تملك ، تسلط ، استشار ، أشار ، تشاور .

• Malka : ملك ، قبيل .

• Malèkta : ملكة ، أميرة ، سلطنة .

• Malkùta : ملك ، مملكة ، دولة ، سلطنة ، عظمة ، ملكوت .

• Melka : مشورة ، نصيحة ، رأي .

• Mulkana : مشورة ، ملك ، عقار ، قنية ، وقف ، وعد (٢) .

العربية :

• Malak : ملك ، صار ملكاً ، حكم ، دبر .

• Melek : ملك ، أمير ، حاكم ، رئيس ، الله .

• Malkùt : ملك ، مملكة .

(١) Lane ٣٠٢٣ . القاموس ٣ - ٣٢٠ .

(٢) Payne - Smith ٢ - ٢١٣٩ . معجمي . متناً ، ص ٤٠٤ .

- Malkah : مملكة ، أميرة .
- Malak : أشار ، نصح . (من الاربية) (١) .
الا كدبة :
- Malaku : أشار ، اعتبر ، فُحص ، استشار .
- Milku : إشارة ، استشارة ، حكم ، قضاء .
- Maliku : مشير .
- Maliku } ملك ، أمير ، رئيس .
Malku }
- malaktu : مملكة ، أميرة .
- malikütu : ملك ، مملكة ، ملوكية ، رئاسة ، حكومة (٢) .
الخشية :
- malaka : اقتنى ، ملك ، احتل ، استولى ، صاد .
- amlaka : أملاك ، ملك ، صود .
- malaki : مالك .
- melük : ملوك .
- melkat : مملكة ، سلطنة .
- melkat : ملكية .
- amlak : أملاك ، الملوك ، الملك الله .
- malaköt : سيادة ، قدرة ، ألوية (٣) .

تنسيق وتعليل

(١) الاصل الثنائي لهذا الثلاثي ، والذي به يسوغ التوفيق بين مختلف مفاهيمه هو «مَلَّ» الظاهر في العبرية في الفعل malal : قال ، تكلم ، تحدث (٤) .

(١) الملح ٢٣٩ . Robinson ٧٢ دي ي . (٢) Bezold من ١٧٤ .

(٣) Dillmann ١٥٠ ي . (٤) Robinson ٥٧٦ .

وفي الفعل السرياني mallél : قال ، تكلم ، تحدث ، أخبر ، وصف^(١) . وفي الفعل العربي : أمل ، وأمل ، وأمل ، وأمل : تلا الخبر على غيره ليكتبه^(٢) .

(٢) من الكلام ، من باب الاطلاق و توسع المعنى فوصل الى الكلام من باب التقييد ، وهو التكلم لابتداء الرأي ، والمشورة ، وبث الحكم ، واتخاذ التدابير . وهذا ماجرى بزيادة الكاف تديلاً على التائي «مَلَّ» فأصبح «مَلَّك» ولذلك ورد هذا الفعل دالاً على الرأي ، والمشورة والنصح ، في اللغات السامية الثلاث ، السريانية ، والعبرية ، والاكدية .

(٣) على ان من كان ذا حصافة ، وحنكة ، وسداد رأي ، وفصاحة وبلاغة ، كان ذا تفوق وسلطة على غيره . وعليه جاء «مَلَّك» مشيراً الى استعمال المرء على أقرانه ، بقبضة على زمام ادارة الأمور وتدير الاحوال ، واتقضاء في المحاكم ، في مختلف الجماعات البشرية ، سواء أكانت قبائل ، أم شعوباً ، أم أمماً ، أم ممالك . وهذا هو منشأ التسلط او التملك . ثم توسع فكرة التسلط حتى أصبحت سيادة مطلقة على شعب من الشعوب ، أو مملكة من الممالك . واذا ثبت هذا التطور ، أدرك بسهولة مختلف الدلالات المطلقة على هذا الفعل في الألسن السامية .

(٤) واذا كان الله تعالى مدير الكائنات بعنايته ، بعد أن خلقها بقدرته ، كان من البديهي ان ينسب اليه ما تشير اليه هذه اللفظة من العظمة ، والجبروت ، والسيادة ، والعز ، والسلطان ، فهو ملك الملوك ، ورب الارباب ، وعنه يصدر كل سلطات .

(٥) أما كلمة «مَلَّك أو مَلَّك» المطلقة على كل من الازواح السيادة ، فهي ليست من هذا الأصل . فانها تخفيف «مَلَّك» المشتق من الفعل العربي «لَأَك أو أَلَك»^(٣) ، والفعل السرياني l'èk^(٤) ، والفعل الحبشي laïka^(٥) .

(٢) الصباح ٢-٢٤٠ . البستان ٢-٢٣٠٩ .

(٤) معجم أرفو ٢-٦ .

(١) متا ، ٣٩٩ .

(٣) الصباح ١-٢٦ .

(٥) Dillmann ٤٧ .

ومعنى جميعها : أرسل ، أوفد سفيراً . ومن ذلك « الألوكة والألأكة » : الرسالة ، التحرير . و « ألك » صادر عن الثنائي « أل » : أمرع ^(١) . وبين السرعة والارسال لحة معنوية .

(٦) أما « مآك » بمعنى : عجن العجين فأنعم عجنه وشدّده وأجاده ، فذلك لأن العاجن يتسلط على العجين بقوته ، واعتماده عليه يجمع كفه ، وغمزه إياه بشدة .
(٧) ثم ان « مملك » يراد به « تزوّج » ومنه « الملاك » : الزواج . فذلك لأن الرجل ، بالاقتران يُحوّل الحق على قربنته ، فيصبح قيما ورئيا وملكها بنوع ادبي ، وبطريقة مشروعة ، معقولة ، خالية من روح الاستبداد والظفيان .

* * *

د : قاس والقوس

العريية :

قاس : الشيء على غيره وبغيره : قدره على مثاله ؛ وقاس القوم : سبقهم .
قوس الشيخ : المنحنى ظهره . قوّست السحابة : تفجرت عنها الأمطار .
قوّس الشيخ : المنحنى ظهره . تقوّس : انعطف ، تقوّس الشيب فلاناً : وخطّه .
تقوّس قوسه : احتملها . اقتاس بأبيه : أخذى حذيه . استقوس الشيخ :
انحنى فصار كالقوس . وكذلك استقوس الهلال . القوس : آلة نصف دائرة
يرمى بها . القوس : الذراع ، لأنه بقاس به . وكل ما كان منحنيًا على هيئة
القوس يسمى قوسًا . القوسي : الزمان الصعب . القواس : الرامي بالقوس ،
وصاحبها ، وصانها . ليل أقوس : شديداً الظلمة . المقوس : وعاء القوس ^(٢)
قاس : صلب ، غاظ ؛ و - الدرهم : زاف ، اي صلبت فضته ، لكونها غير
خالصة . يوم قسي ، وعام قسي : شديداً البرد أو الحر ^(٣) .

(١) أقرب الموارد ١ - ١٦ .

(٢) Lane ٢٥٧٤ ي ي . التاج ٤ - ٢٢٤ ي و ٢٢٧ . اللسان ٦٨ - ٨ ي ي .

(٣) الاساس ٢ - ١٤٢ .

السرانية :

- Qsi (ش) : قسا ، صلب ، غلظ ، ظلم ، اشتد ، صعب
- Qassi : قسى ، صاب ، شدد
- Qasya : قاس ، صاب ، قوي ، ظالم ، شاق^(١)
- Qsat : رشق ، رمى نبالاً
- Qesta : قوس ، آلة ترمى بها النبال ، منطقة البناء
- Qestanaya : أقوس ، منحني ، قواس^(٢)
- Qaysa : خشبة ، عود ، حطب ، دقل السفينة ، شجرة ، وثن ، صليب
- Qas : يبس ، صوى ، تحشب ، تصاب
- Qayyès : أيبس ، خشب ، صاب
- Qustana : يابس ، متصاب ، متخشب^(٣)
- Qas (ش) : قسا ، تصاب ، يبس ، شاخ ، قش
- Qassisa : متيبس ، قديم ، شيخ ، قيس ، جد^(٤)

العبرية :

- Qasa (ش) : قسا ، صعب
- Qèsèt : قوس^(٥)
- Qastu : قوس^(٦) ، الحبشية : Qasat : قوس^(٧)
- Qasat : قوس ، المندائية : Kasta : قوس
- Qastat : قواس^(٨)

(١) منّا ، ص ٧١١ . Payne - Smit ٣٧٦٧ ي .

(٢) Brockellmann ص ٧٠٣ . Payne - Smith ٣٧٧٢

(٣) أودو ٢ - ٤٧٠ . Payne - Smith ٣٧٦٥ ي .

(٤) منّا ، ص ٧١٠ .

(٥) المالح ص ٣٥٧ ي .

(٦) Bezold ، ص ٢٤٨ .

(٧) Dillmann (٧) ٤٣٣

(٨) Robinson ٩٠٦

تنسيق وتعليل

(١) بعد الاشارة الى ان هذه المفردة تتعاقب فيها السين والشين في اللغات

السامية ، نقول ان الأصل الثنائي لهذه المادة هو السرياني Qas : قش ، قسا ،

تصاب . ومثله Qsi : قسا ، صلب ، غلظ . ومنه في العربية : قس : أذني

بكلام قبيح (من باب المجاز) . وفي العبرية Qasa : قسا ، صعب .

(٢) من فكرة الصلابة والقسوة ، جاء في السريانية Qaysa : خشب ، حطب .

شود ، دقل . وذلك لما في الخشب من الصلابة والغلظ . ومنه فعل Qas :

تخشب ، تصاب ، يبس ، صوى . و Qayyès : خشب ، أيبس ، شنج .

وكذلك من مداليل Qas السريانية : شاخ ، وقدم ؛ و qassisa : المتيبس ،

والشيخ ، والهرم . لأن من علامات الشيخوخة تيبس الشرايين والعظام .

ومن ذلك جاء أيضاً qassisa بمعنى القس والقيس العرب عن السريانية دلالة

على الكاهن . لأن القسوس كانوا يختارون قديماً من بين الشيوخ ، لاتصافهم

بالحكمة والفطنة اللازمة لرعاية الشعب . ومما يدل على الصلابة في العربية القومى :

الزمن الصعب . ومن فخاوي qaysa : الشجرة ، لأن مادة سيقانها الخشب الصلب ؛

ويراد بها أيضاً الصليب لكونه من خشب ؛ وكذلك الوثن ، لأنه يذبح أحياناً

من خشب . ومن صلابة الخشب ، ورد «قسا» في العربية بمعنى الشدة من البرد

والحر . وليل أفوس : شديد الظلمة . ويراد به زيف الدراهم ، أي صلابة

فضتها ، لكونها غير خالصة .

(٣) أما « القوس » فقد أطلق عليه هذا الاسم ، من باب تسمية الشيء

باسم مادته . ومعلوم ان القسي تصنع من الخشب . ولذا ورد في كل اللغات

السامية اسم هذه الآلة ، في العربية : قوس ؛ وفي السريانية qesta ؛ وفي

العبرية qesèt ؛ وفي الاكدية qastu ؛ وفي الحبشية qaset ؛ وفي الارمية

qasat ؛ وفي الهندائية kasta ، وفي التدمرية qasta .

(٤) واذا كانت القوس ملوبة أو منحنية بشكل نصف دائرة ، أرْتَجِل من هذه الهيئة ، في العربية ، المشتقات التالية : قوس ، وقوَّس ، وتقوَّس الشبخ : انحنى ظهره . ولما كانت المتقوَّس شائِباً جاء تقوس بمعنى : وخطه الشيب . وكل ما كان منحنيًا على هيئة القوس يسمى قوسًا ؛ من ذلك قوس القنطرة ، وقوس الدائرة ، ومنطقة البناء ، وقوس قزح . وعلى مثال ذلك يسمى الأقوس : المشرف من الرمل كالاحار . ومن القوس اشتق : تقوَّس قوسه : احتملها ؛ والقوَّس : وعاء القوس . وفي السريانية qsat ، رشق ، رمى نبالاً ، و qestanaya : قوَّاس .

(٥) ويطلق اسم القوس على الذراع ، لانه يقاس به . ومنه الفعل : قاس الشيء على غيره : قدره على مثاله .

(٦) من الصلابة نشأ الشدة ، ومن الشدة الجد . ومن أنواعه الجدُّ في السير . من ذلك تتبَّعُ المرءُ صاحبه لظلمه في الشوط . ومنه أيضاً في العربية : قاس القوم : سبقهم . ومنه كذلك : القياس : الذي يرسل الخيل ؛ والقوَّس : الموضع الذي تجري منه الخيل للسباق .

(٧) القوس آلة نصف دائرة . وهي سلاح يرمى به النبال . والقوَّاس : صاحب القوس ، وصانها ، والرامي بها . وقد توسعت معاني هذه اللفظة توسعاً بعيد المدى عن أصلها الأول . فقد كانت تستعمل قديماً سلاحاً للرمي بالنبال . فلما صار الرمي بالأسلحة النارية ، بواسطة البارود ، أُطلق فعل « قوَّس » على استخدام البارود والبنديقية للصيد والقتل . لذا يقال قوَّس فلانٌ فلاناً : أطلق عليه النار فقتله . وما هو أغرب أن دلَّ فعلُ « قوَّس » في بعض البلاد العربية ، على وسيلة قلع الحجار ، في المقاطع الواقعة في الجبال ، بألغام البارود . فقد سمعتُ يوماً في لبنان ، وأنا مارٌّ في أحد طرق الجبل ، فعلةٌ ينادون محذرين العابرين من الخطر بقولهم « بِيَقْوَسُوا بِيَقْوَسُوا » أي ان الألغام مزعومة أن تنفجر ، أما في فلسطين فيصرخون : « باروُد ، باروُد » .

ذ : مثن والمثانة

العربية :

مثنه : أصاب مثنته ؛ وأمثن فلاناً بالأمر : غثه به . قال الأزهري :
أظنه مثنه بالتاء ، مأخوذ من المثن . مثن : اشتكى مثنته ، فهو مثن وأمثن .
مثن : فهو مثنون ومثين : اشتكى مثنته . المثانة : مستقر البول ، وهو داخل
الجوف . المثن : الذي يجبس بوله . المثن : وجع المثانة . الأمثن : الذي
لا يستمسك البول في مثنته ^(١) .

البريانية :

Tôn : بال ، رشح ، ذاب .

Tyana : بول .

mtanta : مثانة ^(٢) .

العربية :

Sayin : بول .

بال ^(٣)	{	Satan
		Hastèn

الاكديبة :

بال	{	Samu
		Is in

Sinaté : بول ^(٤) .

(١) الصراح ٢ - ٤١٠

(٢) Payne - Smith ٤١٠ : متأس ٨٣٣

(٣) المالح ٣٩٨

(٤)

Robinson , p 1010

Assyrisches Handwörterbuch , von Frisdrieh

Delitzsch , p. 655

الارمية :

Sin : بال .

Sayané : بول^(١) .

الجبشية :

Sèna : بال .

Senet : بول^(٢) .

تنسيق وتعليل

(١) مما تجب ملاحظته ، بادئ بدء ، ان الشين ، والتاء ، والتاء تتعاقب في هذه المادة في الألسنة السامية . فها هو تاء في العربية قد أصبح تاء في السريانية وشبنًا في بقية اللغات الأخوات .

(٢) ان الفعل « مثن » وما يشتق منه ليس فعلاً أصلياً ، بل فعل مرتجل . لأن جميع الصرغ والمعاني متعلقة باسم الوعاء ، وهو المثانة . من ذلك جاء مثنه : أصاب مثانته ؛ ومثن : اشتكى مثانته . والمثن : وجع المثانة ، والأمثن : الذي لا يتمسك البول في مثانته .

(٣) أما أصل المادة الاولي ، فان كان غير ظاهر في العربية ، فهو جلي في بقية اللغات السامية . وهذا الأصل يدل على البول ، وتجمعه في وعائه ، وهو المثانة ، أو رشحها ، أو خروجه منها .

(٤) من ذلك في العبرية Satan و Hastèn و Sètèn . وفي السريانية Ton و tyana و mtanta . وفي الارمية Sin و Sayané . وفي الاكدية Sanu و Sinaté . وفي الجبشية Sèna و Senet . وكأها تفيد معنى بال والبول ووعائه .

(١) A dictionary of the Targum , the Talmud and the Midrashic literature . Compiled by Marcus Jastrow , II , p 1564 .

(٢) Dillmann (٢) ٢٦٤ .

(٥) أما الأصل الثنائي لعامة هذه المفردات فيسوغ الافتراض انه «شَن» المراد به في العربية : صب الماء . وقد توسعت هذه الفكرة في الأجوف ، فذلت على البول ووعائه . بيد لا يوجد لكلمة المثانة ، في العربية ، أصل فعلي تشتق منه . ولو ورد لكان «ثان ، بثين» ولكن منه «المثينة» التي أصبحت بفعل الاعلال «مثانة» كما أن مقومة أخصت مقامة .

(٦) أما اللغات الأخر ففيها الأصل الفعلي وهو Sin و Sēna و isten و tōn ، وجميعها بمعنى بال ، أو رشح السائل . وفي هذه الحال ، قد انضح الغامض في العربية بواسطة ما يقابله من الأصول الجلية في أخواتها السامية .

* * *

ر : سنه والسنة

العربية :

سنه : تغير الطعام والشراب ؛ وسنه : أنت عليه السنون ؛ سانيه : عامله بالسنة ؛ سنه عنده : أقام سنة ؛ سنه الخبز : تغير ، عفن . السنة : مقدار قطع الشمس للابراج الاثني عشر^(١) .
العبرية :

Sana : تغير ، تقاب .

Sanah : سنة .

Sanah : ثني : كرر ، أعاد^(٢) .

الكذبة :

Sanu : كرر ، ثني ، تغير .

Sattu : (اصله Santu) سنة^(٣) .

(٢) Robinson ١٠٣٩ ي

(١) الإساس ١ - ٢٤٤ .

(٣) Bezold ٢٧٩ .

السريانية :

Tna : ثني ، عطف ، لوى ، كرّار^(١) .

Sna : تسنى ، انتقل ، زال ، تغيّر .

Sna , Santa , Satta : سنة^(٢)

تنسيق وتعليل

(١) المعنى الأصلي لهذه المادة في كل اللغات السامية هو في الثنائي « ثنن »
الظاهر في فعل « ثنى » ، المراد به : العطف ، الأبي ، التكرار ، الانتقال ، التغيّر .
(٢) من ذلك جاء أصل كلمة « سنة » المفهوم منها مقدار قطع الشمس للأبراج
الاثني عشر . وفي غضوننا يجري تقاب الفصول ، وتغير المناخ ، فيتحول من
حال الى حال . من ذلك كلمة « الحَوَل » : فكما ان الحَوَل مشتق من حال يحول
حوَلاً ، أي تقاب من حال الى حال ، كذلك السنة ناجمة عن سنّه وسنن ،
أي ثنى ، وتغيّر ، وتحول وتسنى وتكرّر .

* * *

ز : أصل كلمة « الادب »

يؤخذ مما ورد في المعاجم ، ان الأدب يحدّد بتحديدات مختلفة . « فالأدب »
أولاً هو تعلم رياضة النفس ومحاسن الأخلاق وتجنب القبائح . ويقع على كل
رياضة محمودة بتخرّجها الانسان في فضيلة من الفضائل .
وفي هذا المعنى يكون ناجماً عن علم الأخلاق . ويقابله في الفرنسية كلمة la morale
ثانياً يفيد « الأدب » الظرف وحسن التناول . وهو استعمال ما يحمّد قولاً وفعلاً ،
والأخذ أو الوقوف مع المستحسنات ، وتعظيم المرء من هو فوقه ، ورفقه بمن
هو دونه . ويرادفه الأُنس واللفظ وحسن المعاشرة . وينظر اليه في الفرنسية

(٢) منّا ، ص ٨٠٢

(١) منّا ، ص ٨٤٣

كلمة politesse . ثالثاً يطلق لفظ « الأدب » على علوم العربية . وهو علم يمتاز به من جميع أنواع الخطأ . وتعرف به أساليب الكلام البليغ في كل حال من أحواله . ويكتسب بالدرس والحفظ والنظر في الآثار الأدبية من منظوم ومثور . ويضارعه في الفرنسية la littérature أو les belles - lettres . رابعاً يراد بكلمة « أدب » معنى صنع صنيعاً ودعا الناس إليه . ويرادفه أقام وليمة ، وصنع غداءً ، ودعا الى دعوة . ويقابله في الفرنسية inviter à un festin^(١) .

تجميع هذه الفعاليات ، مع ما يظهر فيها من التباين ، عائدة الى اصل واحد وهو العمل ، او الصنع ، أو الجهد ، في عدة احوال . بيد ان لفظة « أدب » الثلاثية ، بجائتها هذه ، لا تتضمن ، حسب الاشتقاق ، معنىً يدل على العمل ، والجد ، والكسب . ولهذا تضاربت الآراء في تأصيلها ، حتى قال بعضهم بأنها دخيلة من اليونانية ، كأن العربية مفتقرة الى الاجنبية حتى في قوام العلوم اللغوية والأخلاقية ، والحياة الاجتماعية .

على اننا نرى هناك وسيلة لجعل هذا الاشتقاق منطبقاً على تحديد الكلمة ، وتفرد معانيها ، فيصبح هذا الاشتقاق معقولاً ، متساقطاً ، منطقياً ، ألا وهي وسيلة الرجوع الى الأصل الثنائي .

غير انه يقتضي الفرض أولاً ان كلمة « أدب » ليست باصلية ، بل هي مقبولة عن لفظة اخرى وهي « دأب » المراد بها : جد في عمله مستمراً . والدأب العادة والشأن ، مما يتطلب المثابرة على العمل^(٢) . إلا ان « دأب » ذاته صادر عن الثنائي « دَب » ومدلوله : مشى على هيئته ، وسرى ، وجرى^(٣) .

اذن من المشي والجري توسع المعنى الى العمل بجهد ومثابرة ؛ ومن ذلك تحصل العادة ، المتوقفة على تكرار الأفعال ، مما ينجم عنه الملكات . فاذا كانت هذه الملكات حسنة ، صدرت عنها الأخلاق الحميدة . واذا كانت هذه الملكات

(١) Lane ٣٤ ي . علم الادب ، لشيوخ ، ص ه ي . مقالات علم الادب ، لشيوخ ،

ص ٣ ي . الملة الاسلامية (بالفرنسية) ١ - ١٣٤ .

(٢) Lane ٨٤١ ي .

(٣) Lane ٨٣٩ ي .

مترسخة في تصرف المرء ومعاملته لاقرانه في الحياة الاجتماعية ، كان منها الظرف والكياسة وحسن المعاشرة . واذا جدد المرء في اقتباس العلوم اللغوية من منظوم ومنتثور في الكلام والكتابة ، وانوقوف على آثار الكتاب والأدباء ، نشأ عنه « علم الأدب » اي مجمل المعارف والآثار العربية التي تولدت بعد الاسلام . أما المعنى الرابع للأدب فهو ناشيء أيضاً عن العمل . لأن إيلام الولايم ، والدعوة الى المآدب انما هو صنيع صادر عن كرم الأخلاق .

* * *

س : أصل كلمة « الباص »

ان هذه الكلمة الأخيرة المقصود البحث عن أصلها ليست من المفردات القديمة ، بل هي عصربة حديثة الوضع ، ويستعملها الناس ، دون ان يعرف أكثرهم مصدرها ، وكيفية وصولها الى حالتها الحاضرة . فأحبينا بسط اشتقاقها ، تسهيلاً لعمل أرباب التأصيل في مستقبل الأزمان ، وخدمة لتأريخ المعجمية العربية . إن « الباص » كلمة مطلقة ، في فلسطين والعراق ، وربما في غيرهما من البلاد ، على السيارات الكبيرة التي يركبها نحو عشرين أو ثلاثين شخصاً ، سواء في داخل نطاق المدن ، أم خارجاً عنها . وقد استحدث لها بعض الكتاب ، في اللغة الفصحى ، لفظة « حافلة » جمعها « حافلات » . أما « الباص » فتجمع « باصات » . ولربما يحدث في المستقبل ان فريقاً من « صرعى الغرائب » في تأصيل الكلمات ، يظنها عربية النجار . فيشتقها من « بَصَّ » ، اي لمع ؛ لما يُصَبَّغ به خارجها من الأصباغ الزاهية اللامعة . على مثال الغرابيات التي كان يتخيلها بعضهم ، كالادعاء بان مفردة « العقل » العربية الصحيحة ، هي معرفة عن اللفظة اللاتينية oculus^(١) .

على ان هذه الكلمة المجهوثة ، اعني « الباص » هي بالحقيقة مفردة أجنبية ولجت العربية العامية رأساً عن الانكليزية . وهي ليست بكلمة قائمة بذاتها ، ذات فحوى

(١) « هل العربية منطوية ؟ » (كتاب مرمرجي) ١٢٦ ي ي .

أصلي واشتقائي . انما هي فضلة من لفظة اخرى ، وهي omnibus اللاتينية ، ومعناها « للجميع » أو للعموم ، وهي في حال الجر ، ومرفوعها omnes : « الجميع » . وكانت omnibus تضاف قديماً الى اسماء تدل على النقل ، مثل voiture : عجلة ؛ و train : قطار ؛ و bateau : مركب . فكان يقال train omnibus : قطار للجميع ؛ و bateau omnibus : مركب للجميع ؛ و voiture omnibus : عجلة للجميع ، اي للجمهور ، أو للعموم . وهذه العربات كانت تسير في شوارع المدن ، فتقف في مواقف معينة ، لا ينزل الركاب ، واصعاد غيرهم . وتواتر الاستعمال ، وحذفت كلمة voiture ، وأبقيت omnibus ، دالة على المركبة (١) . ولما اخترعت السيارات ، اي العربات الجارية بقوة المحرك ، صيغ لها ، في الفرنسية ، كلمة automobile المركبة من الأداة الآتية من اليونانية autos المراد بها « الذات » ، ومن اللفظة mobile ، اعني المتحرك ، وشملت كل المركبات المتحركة بقوة البخار . ومن باب الاختصار ، يقال أحياناً auto وحدها . واذ كانت العربات المستخدمة للعموم تسمى omnibus ، كما رأينا أعلاه ، بُدلت هذه المفردة ، وحذف منها الجزء الأصلي ، واحتفظ بأداة الجر : bus : ثم أُضيفت اليها الأداة auto ، فقيل autobus . وبكثرة التداول ، اجتزأ الجمهور بكلمة bus ، كما يلفظها الانكليزي : حسب طريقة اللفظ في لسانهم ، اي بفتحة قصيرة : فصارت : « بَس » . وعند انتشار السيارات والحافلات في الربوع العربية ، تلقى عامة القوم المفردة bus ، المطلقة ، بجائتها المتعذبة ، على الحافلات ، ففجئوا فيها حرف السين ، فأصبحت « بَسَس » ، ثم اشبهوا فتحها ، فحصل من ذلك لفظة « الباص » الشائعة هذا الشروع (٢) .

فليحفظ هذا الاشتقاق لفائدة متقصي اصول الألفاظ في الأحقاب المقبلة .

الأب مرهبي اللومنتكي

(١) Larousse du xxe siècle , T. 5 , p. 204

(٢) راجع معجم Larousse المذكور ، في الصفحات التالية :

Tome I. p.p. , 415 , 451 , 917 .

جزء من رواية أبي عمر الزاهد غلام ثعلب

- ٣ -

(٣٩) حدثنا ثعلب عن أبي زيد عن محمد بن سلام ثنا محمد بن جعفر قال أتى الفرزدق الحسن فقال إني قد هجوتُ إبليس فاستمع مني قال لا حاجة لنا فيما قلتَ قال لتستمعنَّ أو لأخرجنَّ فأقولنَّ: إن الحسن نهاني أن أهجو إبليس لعنه الله فقال له اسكتْ فإنك بلسانه تنطق .

(٤٠) أنشدنا ثعلب عن أبي نصر عن الأصمعي :

إن اكتحالاً بالنقي الأفلاج ونظراً في الحجاب المزجج
مثنى من الفعال الأعوج

قال الأصمعي مثنى مختلفة قال ابن الأعرابي مثنى علامة

(٤١) أخبرنا ثعلب عن أبي زيد بن شبة ثنا عبد الله بن محمد بن حكم الطائي ثنا خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص عن أبيه قال لما هجا الأخطل الأنصار قال :

ذهبت قريش بالسباحة والعلی واللووم تحت عمائم الأنصار

وكان يزيد أمره بهجائهم قال أقبل النعمان بن بشير الأنصاري حتى جلس بين يدي معاوية فقال يا أمير المؤمنين هل ترى لووماً لووماً قال وما ذاك فأنشده قول الأخطل فقال له معاوية لك لسانه قال فأتى الأخطل يزيد بن معاوية فأخبره أخبر فكث يزيد حتى أتى معاوية فقال اقض لي حاجة قال قد قضيتها ان لم يكن الأخطل قال ومالي وللأخطل لعنه الله ليس الأخطل حاجتي قال قد قضيتها قال هب لي لسان النعمان بن بشير قال هو لك فلما بلغ النعمان ذلك كف عن الأخطل فقال يزيد :

- ٣٧٣ -

دعا الأخطل الملهوف بالستر دعوةً فأني مجيبٌ كنت لما دعانيا
بفرجٍ عنه مشهد القوم مشهدي والسنة الواشين عنه لسانيا
(٤٢) وأنشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

يارب عفوك عن ذي سيئة وجل كأنه من حذار النار مجنون
قد كان قدّم أعمالا مقاربة أيام لبس له عقل ولا دين
(٤٣) أنشدنا ثعلب أنشدنا ابن الأعرابي :

لسان الفتى سبع عليه شداته وإلا يُرْع من عونه فهو آكله^(١)
وما العيُّ إلا منطقٌ متسرّعٌ سواءً عليه حقٌ أمرٍ وباطله
(٤٤) أخبرنا ثعلب عن ابن الأعرابي قال هشام بن عروة مكتوب في الحكمة :
بني لئكن كتلك طيبةً ووجهك بسطاً تكن أحبَّ إلى الناس ممن يعطيهم العطاء
(٤٥) حدثنا ثعلب ثنا عمر بن شبة حدثني أحمد بن معاوية بن بكر السهبي
ثنا عمرو بن منخل السدوسي عن مطهر بن خالد الربيعي عن سلام الحماني أن الحجاج
جمع القراء والخفاظ والكتاب فقال أخبروني عن القرآن كله كم حرف هو : قال
و كنتُ فيهم فحسبنا قسماً لنا فاجتمعنا على القرآن كله انه ثلاثمائة الف حرف
واربعون الف حرف وسبعائة ونيف واربعون حرفاً قال فأخبروني اي حرف ينتهي
الى نصف القرآن فاذا هو في الكهف وليلطف في الفاء قال وأخبروني بأسبائه
قال السبع الأول في النساء فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه في الدال والسبع
الثاني في الأعراف « فأولئك حبطت أعمالهم وفي النار » والسبع الثالث في الرعد
« أكلها دائم » في آخر الحرف الذي في أكلها والسبع الرابع في الحج « منسكاً »
والسبع الخامس في الأحزاب « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة » في الهاء والسبع السادس
في التتح « الظانين بالله^(٢) السوء » في الواو والسبع السابع باقي القرآن قال فأخبروني

(١) لعل صواب هذا البيت :

(لسان الفتى سبع عليه شداته والا يزع من غوله فهو آكله)
وشداته : شره وأذاه . ويزع : يكف . وغوله : اغتاله . (المجمع)
(٢) التلاوة : ظن السوء (المجمع)

بأثلاثه قال أول ثلث قال أول ثلث قال رأس مائة من براءة والثاني مائة
أو إحدى ومائة من الشعراء والثلث الثالث باقي القرآن قال عمرو بن المنخل فأخبرني
ثوبة بن علوان عن الجاشعي وكان من قراء الناس عن الحماني وسألنا عن ارباعه
قال أول ربع منه خاتمة الأنعام [و] الثاني فليتلطف^(١) والربع الثالث خاتمة
الزمر والربع الرابع ما بقي من القرآن قال عملنا في أربعة أشهر وكان الحجاج
يقراء كل ليلة ربعاً .

(٤٦) أنشدنا ثعلب عن عبد الله بن شبيب :

وبالناس عاش الناس قدماً ولم يزل من الناس مطلوب اليه وطالب
وما يستوي الصابي ومن ترك الصبا وإن الصبي للعبس لولا العواقب

(٤٧) أنشدنا ثعلب أنشدنا ابن الأعرابي لابن عمران السلمي :

فعد الشيب بي عن اللذات ورماني بجفوة القينات
فاذا رمتُ ستره بخضاب فضحته طوالمُ الناصلات
ما رأيتُ الخضاب إلا سراياً غرتني لمعه بأرض فلاة
فاذا ما دعا الى الكأس داع قلت : ما للكبير والنشوات
إن فقد الشباب أنزلني بع ذلك دار الحموم والحسرات
ورماني بحادث الشيب دهر قارعتني أيامه عن حياتي

(٤٨) أنشدنا ثعلب عن ابن الأعرابي :

لا تتعبوا في الرزق أبدانكم فانما الرزق بقدر
قد جفت الأقلام فيها بما يكون من عسر وإيسار

(٤٩) حدثنا ابراهيم بن الميثم البلدي ثنا ابو صالح ثنا الليث ثنا مالك بن انس

عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن هرم عن ابي هريرة قال [قال] رسول الله
ﷺ من سأله جاره ان يفرز خشبة في جداره فلا يمنعه .

(٥٠) حدثنا احمد بن زياد بن مهران السمسار ثنا يحيى بن عبدويه ثنا اسرائيل

(١) ولتلتطف . (المجمع)

عن أبي اسحق عن علي قال لولا أني رأيت رسول الله ﷺ يمسح على ظنير قدميه لرأيت أن مسح أسفل القدمين أفضل .

(٥١) حدثنا احمد بن سعيد الجمال ثنا ابو نعيم الفضل بن دكين ثنا صفيان عن عمرو بن دينار قال سمعت رافع بن خديج يقول نهى رسول الله ﷺ عن المزارعة (٥٢) حدثنا موسى بن سهل الوشاء ثنا ابو النضر ثنا عبد الرحمن بن ثابت ابن ثوبان ثنا حسان بن عطية عن أبي منيب الجرشي عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الدل والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم .

(٥٣) حدثنا احمد بن عبيد الله الترمذي ثنا عبيد الله بن موسى عن شيبان عن ابراهيم بن طهمان عن هشام الدستوائي عن يحيى بن ابي كثير عن ضمضم بن جسر عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ اقتلوا الأسودين في الصلاة فقلت ما الأسودان قال الحية والعقرب .

(٥٤) حدثنا الحارث بن محمد ثنا يزيد بن هريرة انا محمد بن اسحق عن نافع عن ابن عمر عن زيد بن ثابت قال نهى رسول الله ﷺ عن المحافلة والمزابنة وورخص في العربة

(٥٥) حدثنا محمد بن هشام بن البختری ثنا محمد بن الربيع بن عبد الرحمن الأسدي ثنا سلمة الأحمر ابو اسحق عن ابي اسحق السبيعي عن عبد الله بن عطاء عن عتبة بن عامر الأسدي الجهني قال كنا في عزلة مع رسول الله ﷺ لم يكن لنا خدمٌ تتناوب الرعي حتى اذا كان يوم نوبتي سرحت الابل فأبیت رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس فوضعت يدي على كتفي عمر بن الخطاب فسمعته يقول من تروأ فأصبغ الوضوء ثم أتى صلواته يعقل ما يقول فيها أفبل أو انصرف كيوم ولدته امه بري من الخطايا فوالله ما صبرت ان قلت بئح بئح قال فقال

عمر بن الخطاب أولاً أخبرك بما هو أجود منها قالها قيل ان تجيء قلت بلى فذاك
 أبي وأمي قال قال من توفياً فأصبح الوضوء ثم قال عند فراغه من وضوئه أشهد
 ان لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد ان محمداً عبده ورسوله فتحت له
 له يوم القيمة ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء قال ثم ينادي منادٍ ثلاث
 مرات سيعلم أهل الجمع لمن الكرم اليوم ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع
 يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون قال وينادي منادٍ ثلاث مرات
 سيعلم أهل الجمع لمن الكرم اليوم ليقم الذين لا تلبثهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
 وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار قال ثم ينادي
 منادٍ ثلاث مرات سيعلم أهل الجمع لمن الكرم اليوم ليقم الحمادون

(٥٦) حدثنا بشر بن موسى ثنا الحسن بن موسى الأشيب عن أبي هلال محمد
 ابن سليم ثنا مطر الوراق عن انس بن مالك قال كان رسول الله ﷺ يطوف
 على نسائه في ضحوة .

(٥٧) حدثنا ابراهيم بن اسحق موسى بن اسميل ثنا حماد عن ثابت عن أنس
 أن المهاجرين قالوا يا رسول الله ذهب الأنصار بالاجر كله قال لا مادعوتهم
 لهم وأنثيتهم عليهم .

(٥٨) حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ثنا اسحق بن بشر الكاهلي ثنا مهاجر
 ابن كثير عن الحكم بن مسقلة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ ما من
 عين خرج منها مثل الذباب من الدموع من مخافة الله عز وجل الا أمنها الله
 عز وجل يوم الفزع الأكبر

(٥٩) حدثنا احمد بن عبيد الله الترمي ثنا قبيصة ثنا سفيان عن معمر عن يحيى
 ابن ابي كثير عن ضمضم بن جوس عن ابي هريرة قال أمر رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بقتل الأسودين في الصلاة .

(٦٠) حدثنا احمد بن زياد بن مهران السمسار ثنا هشام بن بهرام المدائني

ثنا ابو شهاب عن اسماعيل بن ابي خالد عن قيس بن جرير قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال **انكم ستروون ربكم عياناً كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته** .

(٦١) حدثنا موسى بن سهل الوشاء ثنا اسماعيل بن علي عن يونس عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو علمتم بالخطايا حتى تبلغ السماء ثم تبتم تاب الله عليكم .

(٦٢) حدثنا الحارث بن محمد ثنا الواقدي ثنا محمد بن هلال عن أبيه أنه سمع ميمونة بنت سعد تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أجمع الصوم من الليل فليصم ومن أصبح ولم يجمعه فلا يصم

(٦٣) حدثنا الحارث بن محمد ثنا الواقدي ثنا عبد الله بن جعفر الزهري عن يزيد بن الهاد عن هند بنت الحارث الفراسية عن ام الفضل بنت الحارث قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل يعودده وهو شاكٍ فحنى الموت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنوا الموت فانك ان تك محسناً تزداد إحساناً الى احسانك وإن تك مسيئاً فتؤخر تستعيب فلا تمنوا الموت

(٦٤) حدثنا بشر بن موسى ثنا خالي حيان بن بشر عن ابي معاوية عن الأعمش عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له اختان او ابنتان فأحسن اليهما ما صحبتهما كنت أنا وهو في الجنة كهاتين

(٦٥) حدثنا بشر بن موسى ثنا محمد بن عبد العزيز سمعت بشر بن الحارث ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن حبيب بن ابي عميرة قال إذا ختم الرجل القرآن قبل الملك بين عينيه قال يعني بشر فحدثت احمد بن حنبل فاستحسنه قال لعل هذا من محبّات سفيان

(٦٦) حدثنا محمد بن يونس ثنا سهل بن حماد ابو عتاب ثنا المختار بن نافع عن ابي حيان التيمي عن ابيه عن علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

رحم الله ابا بكر زوجني ابنته وحوّلتني الى دار الهجرة وأعتق بلائاً من ماله
 رحم الله عمر يركب الحقّ وان كان مرأاً تركه الحقّ ماله من صدّيق
 رحم الله عثمان تستحي منه الملائكة رحم الله علياً اللهم أدِرْ الحقّ معه حيثما دار
 (٦٧) حدثنا اخارث بن محمد ثنا داود بن المخبر ثنا ميسرة بن عبد الله عن
 ابي عبد الله الشامي عن مكحول عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يا ابا هريرة اذا أكلت وشربت فقل بسم الله والحمد لله فإن حفظتك تكتب لك
 الحسنات حتى تنتبذ عنك إذا غشيت أهلك وما ملكت بينك فقل باسم الله والحمد لله
 فان حفظتك تكتب لك الحسنات حتى تغتسل من الجنابة فان اغتسلت من الجنابة
 غفرت لك ذنوبك يا ابا هريرة فان كان لك من تلك الوقعة ولد كتب لك حسنات
 بعدد نفس ذلك الولد وعقبه إن كان له عتب حتى لا يبقى منهم أحد يا ابا هريرة
 إذا ركبت الدابة فقل باسم الله والحمد لله تكن من العابدين حتى تنزل عن ظهرها
 يا ابا هريرة اذا ركبت سفينة فقل باسم الله والحمد لله تكن من العابدين حتى تخرج
 منها يا ابا هريرة اذا لبست ثوباً فقل بسم الله والحمد لله تكتب لك حسنات
 بمدد كل سلك فيه يا ابا هريرة لا يهابتك ما ملكته يمينك أن يكلمك فانك
 إن متّ وأنت كذلك ذكر كلاماً سقط من كتاب ابي عمر يا ابا هريرة لا تهجر
 امرأتك إلا في بيتها ولا تضربنها ولا تسبنها الا في امر دينها فانك ان كنت
 كذلك مشيت في طرق الدنيا وأنت عتيق الله عز وجل من النار يا ابا هريرة
 احمل الأذى ممن هو اكبر منك واصفر منك وخير منك فانك اذا كنت كذلك
 باهى الله بك الملائكة ومن باهى الله به الملائكة جاء يوم القيامة وهو آمن من
 كل سوء يا ابا هريرة إن كنت أميراً او وزيراً او مشاوراً امير فلا تجاوز سني
 وصيرتي فانه أيما امير او وزير او مشاور امير خالف سني وصيرتي فانه يبعث
 يوم القيامة تأخذه النار من كل مكان ثم يصير الى النار يا ابا هريرة عدل ساعة

خير من عبادة ستين سنة يا أبا هريرة قل للمذنبين الذين أصابوا الصغار والكبار من الذنوب فلا يموتن أحدهم وهو مصرّ فإنه من لقي الله عز وجل مصرّاً على ذنب وإن كان صغيراً فإن عقوبته كعقوبة من لقي الله مصرّاً على كبيرة .

(٦٨) حدثنا احمد بن عبيد الله ثنا عبيد الله بن موسى ثنا ابن ابي ليلى عن المنهال ابن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله عز وجل يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب قال ينزل الله تبارك وتعالى الى السماء الدنيا في شهر رمضان فيدير أمر السماء فيمحو ما يشاء غير الشقاء والسعادة والموت والحياة .

(٦٩) حدثنا بشر بن موسى ثنا خالد بن يحيى عن مسعر عن عدي بن ثابت أنه سمع البراء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالتين والزيتون فما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه أو قراءة

(٧٠) حدثنا بشر بن موسى ثنا خالد ثنا مسعر عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأبطح بين يديه عنزة او شبيهة بالعنزة والطريق من ورائها والمارة .

(٧١) حدثنا احمد بن سعيد الجمال ثنا ابراهيم ثنا سفیان عن يزيد بن ابي زياد عن زيد بن وهب عن أبي ذر قال قال اعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أكلتنا الضبع يعني السنة قال غير ذلك أخوف عندي عليكم اذا صبت عليكم الدنيا صباً فليت أمتي لا يبخلون بالذهب .

(٧٢) حدثنا احمد بن زياد بن مهران ثنا محمد بن سابق ثنا ابراهيم بن طهمان عن ايوب عن مكحول عن عراك بن مالك عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أحفظ - الشك من ابراهيم - أنه قال ليس على الخليل والرقيق صدقة (٧٣) وبه عن أيوب عن محمد بن مسلم الزهري عن عبد الرحمن بن هرم عن عبد الله بن مالك أنه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم العصر فقام في الركعتين ثم جلس حتى اذا قضى صلاته ثم سجد سجدةً ثم سجد سجدةً وهو جالس .

(٧٤) حدثنا محمد بن يونس ثنا عبد الملك الاصمعي قال وقف اعرابي على قوم فقال يا أيها الناس اقربوا من الله عز وجل لا يبعد منكم فانه لا قليل من الخير ولا غناء عن الله عز وجل ولا عمل بعد الموت إني لأقول هذا القول وفي الصدر حزازة وفي الخلق غصّة ولكن الفقر أمانة ولا يعلم إلا بالابانة وقد قضيت ما علي وبقي ما عليكم .

(٧٥) حدثنا محمد بن يونس عن الأصمعي قال دعا أعرابي لرجل قد أولاه خيراً فقال جزاك الله خيراً فقد أعنتني على دهري وأتمب معروفك شكري واعتقني من رقّ صلة اللثام .

(٧٦) حدثنا محمد ثنا الاصمعي قال دخل قوم على ابن عم لهم فقالوا له ما تجد قال أجدني كما لا اشتهي واشتهي ما لا أجد .

(٧٧) حدثنا محمد بن عثمان ثنا عون بن سلام ثنا سوار بن مصعب عن مجالد عن الشعبي أن فاطمة لما ماتت دفنها علي ليلاً واخذ بضبعي ابي بكر فقدمه

(٧٨) حدثنا محمد بن هشام ثنا عفان ثنا حماد بن سلمة عن حماد بن أبي سليمان عن ابراهيم عن الأسود عن عائشة قالت أهديت الى النبي صلى الله عليه وسلم ضب فلم يأكله قالت عائشة بارسول الله ألا تطعمه المساكين قال لا تطعموهم ما لانا كلون
(٧٩) حدثنا محمد بن هشام ثنا شبويه بن حميد عن مكّي بن ابراهيم قال قال رجل واغوثاه بالله من النار فيتف به هاتف من القائل الكلمة التي أبكت البارحة سبعين الف ملك .

(٨٠) حدثنا محمد بن عثمان ثنا عبد الحميد بن صالح ثنا محمد بن ابان حدثني رجل من فريش من ولد سعيد بن العاص عن الحارث المكي جاء رجل الى علي بن ابي طالب فقال له الحسن بن علي عليه السلام إنه قد خلا بدعاه يدعوه به اذا حزبه أمر فجلس على الباب الذي هو فيه وهو يقول يا كهيص يا نور يا قدوس يا أول الأولين وآخر الآخريين يا الله يا الله يا رحمان اغفر لي الذنوب التي تغير النعم

واغفر لي الذنوب التي تنزل النقم واغفر لي الذنوب التي تورث العدم واغفر لي
الذنوب التي تحبس السقم واغفر لي الذنوب التي تهتك العصم واغفر لي الذنوب
التي تنزل البلاء واغفر لي الذنوب التي ترد الدعاء واغفر لي الذنوب التي تؤيل (كذا)
الأعداء واغفر لي الذنوب التي تقطع الرجاء واغفر لي الذنوب التي تحبس غيث
السماء واغفر لي الذنوب التي تكشف الغطاء

(٨١) حدثنا الحارث ثنا كثير بن هشام ومات في سنة سبع ومائتين بقم الصلح
قال قال الحكم بن هشام لقيت سفيان الثوري فقلت يا ابا عبد الله شيء حدثنا به
الحسن بن ابي حبيبة قال اثنتا عشرة ركعة من تطوع ليس له منزل من صلاهن
في يوم وليلة بني له بيت في الجنة قال صدق قلت مرة واحدة أو الدهر كله
قال ما ادري •

(٨٢) حدثنا ثعلب ثنا عبد الله بن شبيب عن رجاله قالوا هنا محمد بن علي بن
الحسين عليه السلام رجلاً يموت فقال أسأل الله أن يجعله خلفاً معك وخلفاً من
بعدك فان الرجل خلف اياه في حياته ويخلفه بعد موته قال وكان يقال أولى
الناس بالفضل أعودهم بفضله وأعود الأشياء على تزكية العقل التعلم وأدل الأشياء
على عقل العاقل حسن التدبير قال وقال ملعة بن عبد الملك ما حدثت نفسي
على ظفر ابتدأته بعجز ولا لمتها في مكروه ابتدأته بجزم وقال الجهل في القلب
كالبر في الأرض والبر احور كالماء بفسد ما حوله (كذا) قال وقال معاوية المروية
من غلب خيره شره قال ويقال الأحزان اسقام القلوب كما ان الأمراض اسقام
الأبدان وكان يقال ينبغي للمرء ان يظهر سروراً ويرجى لأن الرجاء غرور
فان اشعر قلبه بذلك اضعف عليه اذى الاكراء ان ابتلي به ويقال لا تصحب
الا من ينسى معروفه عندك ويقال ثلاث ليس معين غريبة: مجانية اهل الرب
وحسن الأدب وكف الأذى

(٨٣) حدثنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال وقال عمر بن الخطاب انه ليمعيني

ان ارى من عقله زائد على لسانه ولا يعجبني ان ارى من لسانه زائد على عقله
 (٨٤) حدثنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال حكى اصحابنا قال معاوية لعتبة يوم
 الحكمين يا اخي اما ترى ابن عباس قد فتح عينيه ونشر اذنيه ولو قدر ان يتكلم
 بها لفعل وغفلة صاحبه مجبورة بلفظته وهي ساعتنا الطولى فاكفنيه قال قلت
 بجهدي قال فعدت الى خيمة فلما اخذ القوم في الكلام اقبلت عليه بالحدث
 فقرع يدي وقال ليست ساعة حديث فأظهرت غضباً وقلت يا ابن عباس ان
 ثقتك بأحلامنا اسرعت بك الى اغراضنا وقد والله تقدم فيك الغدرو اكثر منا
 الصبر ثم افتدعته وارتفعت اصواتنا فجاء القوم فأخذوا بأيدينا ونحوه عني قال
 فجئت فقربت من عمرو فرماني بئوخر عينيه اي ما صنعت قلت كفيتك التقواله
 قال فجمجم كما يجمجم الفرس للشعير قال وفات ابن عباس اول الكلام
 فكره ان يتكلم في آخره .

(٨٥) حدثنا ثعلب حدثني ابو زيد عمر بن شبة حدثني ابن مقيم عن ابن شبرمة
 قال زوجت ابني على النبي درهم فجعلت اتذكر من اكلم فأنتيت ابا ايوب المورباني
 فقلت اني زوجت ابني على النبي درهم والله ما هي عندي وما ذكرت لها غيرك
 قال قد امرنا لك بها فجزيته خيراً وذهبت اقوم فقال لا تعجل اجلس اذا دفعت
 اليهم المهر افلا تحتاج الى طعام قلت بلى قال والفين للطعام فجزيته خيراً وذهبت
 اقوم فقال لا تعجل امسلس الا تريد خادماً قلت بلى قال والفين للخادم ثم قال
 واذا اخذت هذا فلا تريد نفقة لغير هذا قلت بلى والله قال والفين للنفقة قال
 ولا يريد الشيخ شيئاً قلت بلى قال فلم ازل اجزيه ويكون يعطيني حتى قت
 بخمسين الفاً .

(٨٦) حدثنا ثعلب انا محمد بن سلام قال قال ابا ن بن عثمان تجهز عبد الله
 ابن جعفر للحج فأتاه وكيله بحسابه فبقيت خمس مائة درهم باقية قال تذكر هل

وجهتها في شيء، قال نعم خيل وقال ويحك بخمس مائة قال أبرد فقال إن
كان لبرو فنعم .

(٨٧) حدثنا ثعلب أنشدنا ابن الأعرابي فيمن جعل الأولى بمعنى الذي :

وما العلم إلا بالتعلم فاغتنم سؤال الأولى تسترشد المتعلم

(٨٨) قال وأنشدنا ابن الأعرابي :

بني إذا ما سامك الذل قادر عليك فان الرفق واللين أجدر

فلا تحرم من بعض الأمور تعزراً فقد يبعث الذل الطويل التعزراً

(٨٩) أنشدنا ثعلب أنا ابن الأعرابي :

وصلتكم جهدي وزدت على جهدي فلم أر فيكم من يدوم على العهد

فآببتكم بعد الصديق لتقصدوا وتأبون إلا أن تحيدوا عن القصد

فان أمس فيكم زاهداً بعد رغبة فبعد اختيار كان في وصلكم زهدي

إذا ختمت بالغيب عهدي فما لكم تدلون أدلائب المقيم على العهد

صلوا وافعلوا فعل المدل بوصله وإلا فصدوا وافعلوا فعل ذي الصد

فكم من نذير كان لي قبل حبلكم وها أنا ذا فيكم نذير لمن بهدي

تعزوا يئس عن هواي فانني إذا انصرفت نفسي فهيهات من ردي

أرى الغدر ضداً للوفاء وإني لأعلم أن الضد بأباه ذو الضد

(٩٠) أخبرني السيارى عن الناثي أنشدنا أبو الحارث :

أطعمتني^(١) فقلت آخذ ما بك في وعادت على رجائي بعطف

زعمت أنها تربد عفاً قلت ردي عليّ قلمي وعفي

(٩١) وأخبرنا السيارى عن الناثي قال كتب القتيبي إلى العتيبي وكان القتيبي

بجبي والعتيبي بالبصرة :

لو كان قلبي له جناح لطار شوقاً إليك قلبي

وبعت مستيقناً بربح وحشة نأبي بأنس قربي

(١) لعله : أطعمتني . (المجمع)

ولم أكن موطنًا بلادًا لبت بها أمرتي وصحي
 فالبصرة احتلها فؤادي لديك والجسم حلّ حي
 عتبة أسنك ذو المعالي من بعد صخرٍ وبعد حرب
 ورُبَّ عمّ لكم وخالٍ كان بجي سليلٍ حب
 كانوا ملوك النوري وكانوا ليوث حرب غيوث جذب
 واسوا واسوا ولم يساسوا في كل شرق وكل غرب

فأجابه العتيبي :

إليك عن سواك يسلي وفيك بدعو الهوى وبصبي
 فليس وجد امرء كوجدي بل ليس حب امرء كحي
 إن كان جسعي ثوى غريبًا فان روحي ثوت بجي
 آخره والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله وسلم .



دراسات لما قبل التاريخ في سوريا

ان دراسات ما قبل التاريخ في الشرق الأدنى قد سارت في السنين الاخيرة بخطى سريعة في سبيل التقدم؛ غير ان بعض المناطق أصابت منها نصيباً أوفر . فقد أجريت حفريات دقيقة في عدد وافر من تلال فلسطين كتل فرعا وتل المسلم وتل تخنك وتل سندحنه ، وكتليلات غسول في شرقي الأردن ، ومن كهوفها كهوف وادي خريطون ، جنوبي بيت لحم ومغارة جبل قفزة بالقرب من الناصرة ، ومغارة شقبة في السفيلة . وفي وادي المغارة في جبل الكرمل ، وفي مغارة الأميرة ومغارة الرطية غربي بحيرة طبرية الخ . . . والفضل في ذلك يرجع الى ما بذلته بعض الجمعيات العلمية وبعض الافراد من جهود مستمرة . وقد مكنتنا تلك الأبحاث من معرفة سكان أرض كنعان في الطور الطبقي الرابع والمناخ الذي عاشوا فيه والحيوانات التي حامت حولهم ولقد صار يوسع بعض الاختصاصيين كالسيد رنه نيقل (R. Neuville)^(١) والآنسة (D. A. E. Garrod)^(٢) والسبد ليون بيكارد (L. Picard)^(٣) ان يشرعوا في وضع تنسيق للصناعات الحجرية التي تعاقبت في فلسطين منذ أقدم العهود الى العصر البرنزي أي الى الألف الثالث قبل المسيح .

ولقد صادف لبنان بعض الحظ عندما شرعت بعثة أميركية من جامعة بوسطن

(١) R. Neuville , le Préhistorique de Palestine , Revue Biblique , 1934 , pp. 237 - 259 .

(٢) D. A. E. Garrod et D. M. A. Bate , The Stone Age of Mount Carmel , Oxford , 1939 .

(٣) L. Picard , Structure and Evolution of Palestine Quarternary , Jérusalem , 1943.

في الحفر في مأوى مظلل بالصخر بالقرب من انطلياس إذ عثرت على هيكلين بشريين دعي الواحد منها اگبرت (Egbert) وهو الاسم المعروف به الآن عند العلماء وهو يرتقي الى العصر الأوربنياسي (Aurignac) اي الى الألف الثلاثين قبل المسيح ولهذين الهيكلين أهمية كبرى لأنها أول ما وجد من نوعها من العصر الأوربنياسي في الشرق الأدنى^(١) وقد أتاحت لهم هذه الحفريات أن يتبعوا الصناعات الظرائية وتطورها من عصر لفلوا (Levallois) الى عصر اوربنياسك أي من الألف السبعين الى الألف الثلاثين قبل المسيح . أما سوريا فلم تحظَ بذلك التوفيق مع ان الأدوات الظرائية وجدت فيها قبل سنة ١٨٨٠ ومنذ ذلك العهد ما برحت أسماء الأماكن التي سكنها الانسان الأول تتزايد حتى نشر بعضهم في صدر هذا القرن دراسات عمومية في ما قبل التاريخ بسوريا^(٢) والسبب في هذا التأخير هو انه لم تُجرَّ حفريات منظمة في الكهوف وفي طمي الأثنيار والى هذه الحفريات وحدها يستند العلماء في دروسهم حالة الانسان الأول وتحتيق التطورات التي مرَّ بها والعصور التي تعاقبت عليه .

لاشك أن دراسات جاك دي مرغان (J. De Morgan) في الشرق الأوسط^(٣) لها أهمية كبرى ، ولقد فتحت حقبة جديدة فيما قبل التاريخ الشرقي؛ غير ان معلوماته عن سوريا غير كافية ، لأنه استند على الاكتشافات الظرائية التي وجدت على سطح الأرض وهي لا تجدي نفعاً ما لم يسبقها حفريات في طبقات الأرض يتاح منها للعالم ان يقارن بين الأدوات التي وجدها في الحقول والتي

(١) لم تنشر البشة الى الآن الا بعض مقالات عامة عن أعمالها ، منها مقال في المشرق عنوانه : نحة في حياة الانسان الأول في العصر الظرائي القديم - حفريات كدار عقيل فوق انطلياس ، بقلم الأب ج . فرنكلين يورونغ اليسوعي من جامعة فوردام ، المشرق ، ١٩٤٧ ، ص ٢١٨ - ٢٤٨ .

(٢) راجع مقالنا في مجلة الماديات السورية ، السنة الخامسة ، ١٩٣٧ ص ٤٩ .

(٣) La. Préhistoire Orientale , 3 vol . , Paris , 1926 - 1927

لا تحمل تعريفاً ، وتلك التي اخرجها من الكهوف والتلال مزودة بتاريخ أصلياً وصنعياً .

كثرت في عهد الانتداب الذين ذغفوا يجمع ادوات الانسان الأول وقد الف بعضهم مجموعات لا يستهان بها وصفوها في مقالات شتى وعرضوها في متاحف اوربا غير انهم في وصفهم كانوا معتمدين معلوماتهم عما قبل التاريخ باوربا وهي تختلف كثيراً عنها في بلاد الشرق^(١) انما لانكر فضل السيد الفرد روست (A. Rüst) الألماني الذي اشتغل طيلة ثلاثة اعوام من سنة ١٩٣٠ إلى ١٩٣٣ في البحث عن الأماكن التي سكنها الانسان الأول في مايجاور النيك ويبرود فتوصل الى اكتشاف عدد منها ثم راح يجري حفريات في ثلاثة مآوٍ تحت الصخر قرب يبرود فكتفت له جهوده عن وجه جديد من وجوه الصناعة الظرائية دعاه باسم «البيرودي» وقد نشر بعض المعلومات عن اكتشافه هذا في مجلة ما قبل التاريخ الألمانية^(٢) واتنا لا تزال تنتظر الدراسة المفصلة التي سوف يصدرها عن حفرياته فلربما تميظ اللثام عن نقاط غامضة في حياة الانسان الأول في سوريا . إذ هي الحفريات العلمية الأولى التي أجريت في بلادنا والتي تدور حول ما قبل التاريخ .

ومنذ سنة ١٩٤٠ ظهرت عدة دراسات في عهد ما قبل التاريخ في سوريا فنخص منها بالذكر مقالاً للمقدم الافرنسي غريبدل (Gridel) عنوانه « ما قبل التاريخ في جبل الدروز وفي سوريا»^(٣) ومقالاً آخر للأب اليسوعي بوليوي (Beaulieu) عن مدينة جبل الدروز الأولى^(٤) وهو درس سطحي أقل قيمة

(١) راجع مقالنا السابق ص ٥٠ - ٥١ .

(٢) Prachistorische Zeitschrift , t. xxiv , 1933 , pp. 205-218

(٣) Bulletin de la Société Préhistorique Française , 1944 , pp. 80 - 82 .

(٤) La Première Civilisation bu Djebel Druze, Syria, (٤) 1944-1945 , t. xxiv pp. 232- 250 .

من درس آخر للدكتور پيريس (Pervès) ظهر في المجلة نفسها تحت عنوان :
ما قبل التاريخ في سوريا ولبنان^(١) وقد أصلح فيه ما قاله هو نفسه في مجلة
جمعية ما قبل التاريخ الافرنسية^(٢) وقد جرى في موضوعه ما كتبه السيد
جان هالر (Jean Haller) سنة ١٩٤٥^(٣) تحت عنوان : لمحة عن ما قبل
التاريخ في سوريا ولبنان .

تلك نظرة خاطفة في دراسات ما قبل التاريخ في بلادنا : وهي دراسات متقطعة
لا تفي الموضوع حقّه . اذ يتناول القسم الأكبر منها البحث عن اماكن متباعدة
متشقة وُجدت فيها آثار الانسان الأول . ثمّ ان الاكتشافات السطحية تزيو
عدداً على الحفريات والاكتشافات الطيبة .

فمن الضروري ان توحد الجهود فتقسم البلاد إلى نواح تدرس الواحدة بعد
الأخرى وعندما توضع لوائح للأماكن ، من حقول وآو سكنها الانسان
الأول وترك فيها ادوات عمله وصناعاته ، يُختار كهف أو طهي نهر من كل
هذه النواحي وتجرى فيه حفريات علمية تحت اشراف اناس اخصائيين . ثمّ يُجمع
المعلومات العلمية التي توصل اليها هؤلاء الاخصائيون والمأخوذة عن نقاط متفرقة
من البلاد فيؤلف منها هيكل لدراسات ما قبل التاريخ في سوريا ؛ أخيراً تطبق
الاكتشافات السطحية على نور هذه المعلومات وهكذا نكون قد وقفنا على ناحية
مهمة من تاريخ بلادنا لا بل من تاريخ البشرية لأن سوريا ملتقى الطرق ومحط
الشعوب منذ فجر العالم . ومن ثمّ فلدرس ما قبل التاريخ اهمية أكبر منها في
أي قسم من المعمور .

La Préhistoire de la Syrie et du Liban Syria, 1946-1948, (١)
t. xxv, pp. 109 - 129 .

Bulletin de la Société Préhistorique Française , (٢)

Notes et Mémoires de la Délégation Générale de (٣)
France au Levant , Section Géologique , t. IV, pp. 49-58.

من سنين خلت وكنا كرسنا اوقات فراغنا للتجوال في نواحي القلمون فأعدنا الحظ بان نقف على اكثر من خمسين مكاناً سكنه انسان العصر الرابع وجمعنا من أدوات شغلده مجموعة لا يستهان بها؛ ثم عثرنا على آثار تركها هذا الانسان من نوع (Dolmen) او (Monuments mégalithiques) وهي الأولى من نوعها التي تكشف في سوريا وقد خصصنا لهذه الاكتشافات عدة مقالات وقد قام الأب (Beaulieu) بالعمل نفسه في جبل الدرروز فلماذا لا نتابع هذه الجهود في نواح أخرى من البلاد ؟ اخيراً وقفنا بالقرب من درعا على محطة لانسان العصر البرنزي التقطنا فيها عدة آلاف من الأدوات الظرائية من فؤوس ومناشير وسكاكين ومخارز ومجارف ومناجل وغير ذلك من الأدوات المنزلية او الصناعية والزراعية التي كان يستعملها في ذلك الوقت ^(١) .

لا يخلو هذا الاكتشاف من الأهمية العلمية إذ نبشنا عن أبعد نقطة سكنها الشعب المدعو الغسولي (Ghassoulien) والذي ترك لنا مدينة زاهرة في شرقي الأردن وقد تتبع العلماء آثاره في فلسطين ومصر ولا نعرف الى الآن اصل هذا الشعب ومنشأه . ولذا فكل نقطة نجد فيها من بقاياها تعبر معلماً يهديننا الى الطريق الذي تبعه .

يستدل من الأدوات التي وجدناها أن هذا الشعب كان منصرفاً الى الزراعة والصناعة ، يجيد زراعة الحبوب . فكثرة المناجل والطواحين اليدوية التي وجدناها دليل واضح على ذلك وهكذا ينسب لنا بالاستناد الى ادوات ظرائية يستخف بها المارة ان نتأكد أن حوران كانت منذ الألف الرابع قبل المسيح كما كانت على أيام رومة كما هي الآن أهراء سورية .

(١) P . J . Nasrallah , Une Station ghassoulienne dans le Hauran , Revue Biblique , 1948, t. LV pp. 81 - 103 .

وفي عدد الأدوات التي عثرنا عليها أداة غريبة الشكل ، وهي الأولى في نوعها حتى في أوربا ، وقد اقترحنا أنها مشط للصوف لعلنا من بقايا الحيوانات التي وجدت في تليلات غسول ، في شرقي الأردن ، ان الشعب الغسولي كان يهتم بتربية المواشي .

هذه هي الاستنتاجات التي نحولنا أن نستدركها درس أدوات الانسان الأول ، وهي مبنية على أساس علمي راسخ واپس مجرد خيال . وعندما نكون قد عرفنا وعينا الأماكن التي سكنها الانسان القديم في سوريا يمكننا ان نخط الصفحة الأولى من تاريخ بلادنا ولا غرو انها سوف تكون صفحة مجيدة لأن الشرق كان منذ فجر الانسانية مبعث الحضارة .

الأب يوسف نصر الله



مخطوطة رسالة المآخذ

ومؤاخذتها والاستدراك عليها

أما رسالة المآخذ فهي لابن الدهان النحوي الكبير المتوفى سنة ٥٦٩ هـ وهو مترجم في ابن خلكان وفي معجم الادباء (ج ٤ ص ٢٤١) . وقد قالوا في ترجمته : ان كتبه غرقت في دجلة فأراد استصلاحها وتجفيف أوراقها فعالج تبخيرها باللادّن فعمي . واللادّن (بفتح الذال المعجمة) ضرب من العلوك . ومن شعر ابن الدهان قوله :

(لا تجعل المزل دأباً فهو منقصة والجد تملوه بين الوري القيم)

(ولا يفرنك من ملك تبسمه ما تصعق السحب الا حين تبسم)

ورسالة او كتابه (المآخذ) جمع فيه ما تابع المتنبي به اتمام في شعره . ولم يذكر ياقوت في معجمه اسم هذا الكتاب بين مصنفات ابن الدهان . أما صاحب كشف الظنون فقد ذكره وسماه (الرسالة السعيدية في المآخذ الكندية) فقوله (السعيدية) نسبة لابن الدهان نفسه فان اسمه (سعيد بن المبارك) وقوله (الكندية) نسبة الى ابي الطيب المتنبي* فانه كِندي النسب . و (المآخذ) جمع مأخذ بمعنى الأخذ أو مكان الأخذ : فابن الدهان في كتابه هذا يرشدنا الى أخذ المتنبي* بعض معاني اشعاره من شعر ابي تمام أو أنه يرشدنا الى مواضع الاخذ من شعره . وبعد نحو ستين سنة من زمن ابن الدهان يقوم اكبر اديب عربي مارس صناعة الأدب وعالج نقد الشعر وتبحر فيه علماً وعملاً ووضع له أصولاً وقواعد : اعني به ضياء الدين بن الأثير صاحب كتاب (المثل السائر) والمتوفى سنة ٦٢٢ هـ وهو من المولعين بالمتنبي وشعره - يقوم هذا الأديب فتحمله الأتفة

مما نسبته إليه ابن الدهان في مآخذه التي يعبرون عنها بالسرفقات أحياناً ويؤلف كتاباً فيؤاخذ ابن الدهان على ما كان منه ويناقشه في مؤاخذاته ويفند معظمها لكنه مع هذا لم يملك نفسه ولم تطاوعه امانته واخلاصه للأدب وخدمة الأدب في السكوت عما عثر عليه هو من تلك المآخذ التي غفل عنها ابن الدهان في شعر المتنبي فيكون في كتابه هذا قد جمع بين شيئين : مؤاخذة ابن الدهان على مؤاخذاته - واستدراكه عليها بذكر ما فاتته منها وسمى كتابه (الاستدراك في الأخذ على المآخذ) .

وفي مكتبتي الخاصة نسخة من كتاب الاستدراك هذا لكنها قد خربت من أولها بنحو بضع ورقات ومن وسطها كذلك . وقد قدرت الخرم في آخرها بنحو خمسين صفحة . والموجود لديّ منها مئة ورقة ونيف متوسطة القطع حسنة الخط وعليها تعاليق قليلة بعضها بخط محمد النصري الطرابلسي مؤلف كتاب اللؤلؤ الرطب على قصيدة كعب . وقد صحح كثير من الفاظ الرسالة . على أنها لا تخلو من أغلاط وتحريف . وعرفنا أن مؤلف الكتاب هو ضياء الدين من أطواء هذه الأوراق : ففي الصفحة (١٦) مانصه (والكلام في مثل هذا الموضوع طويل عريض . ولو أخذت في استقصائه لانسع المجال لكنه يؤخذ من كتابي الموسوم بالمثل السائر فانه موضوع لبيان أصرار الألفاظ والمعاني وتفصيل أقسامها) . وفي مكتبة احمد تيمور باشا نسخة من هذا الكتاب موسومة باسم (الاستدراك في الأخذ على المآخذ الكندية من المعاني الطائية) وقد اسهب ضياء الدين في مقدمة كتابه (الاستدراك) في مباحث نقد الشعر وأكثر من الشواهد الشعرية وقارن بينها . وتخلل كلامه كثير من تبجحاته التي اشتهر بها . ولو حمأه الله منها لكان أقرب الى النفوس . ولكانت مصنفاته أعلق بالقلوب . وقد استطال في كتابه على ابن الدهان فلم يرع حقه . ولم يوقر حرمة . ولا سلامة قلبه التي ظهر أثرها في التدخين على كتبه باللادز حتى فقد عينيه : فكان يسخر منه أحياناً

وبعبارة بانه نحوي لا بصارة له في صناعة الأدب . ولا عناية بفن نقد الشعر .
ومن أمثلة صلف ضياء الدين وتبجح ما نقله عن نسختنا (الاستدراك)
في الصفحة ١٧ فقد قال مانصه :

(وعرض عليّ بعض الاخوان من عنده فضيلة -- كتاب الحماسة وقد قرأه
على شيخ من مشيخة علماء العربية بالعراق وكتب له خطه بالقراءة والبحث عن
مشكلات الكتاب . والتوقف على معانيه . فأخذته الى يدي وتصفحته ، فأول
ما خرج منه القطعة الرائية للمنخل التي اولها :

(ان كنت عاذلي فسيري . نحو العراق ولا تحوري)

وأول ما وقع نظري على بيت منها وهو :

(ولقد دخلت على الفتاة اخدر في اليوم المطير)

سنع خاطري في تلك الحال ان المنخل أراد كذا وكذا . فقلت لذلك الرجل :
ما شرح لك شيخك من معنى هذا البيت ؟ فقال : هذا معنى ظاهر لا يسأل
عنه . فقلت : وما هو هذا الظاهر ؟ فقال : يريد أنه دخل على هذه المرأة
في يوم يجيء فيه المطر . قلت إن كان أراد هذا فقد خاب وخسر . وان كان
ابو تمام فهم ذلك منه واختاره فهو أخيب وأخسر . وأي معنى هاهنا حتى يختار .
إن كان المراد به ذلك . فوجم الرجل لقولي وأطرق . ثم رفع رأسه وقال :
مالذي عندك ؟ فقلت ان المنخل قد وصف نفسه بالشجاعة والاقدام وقوة
الجنان : يريد أنه دخل على هذه المرأة وزوجها شاهد أي حاضر في البيت .
ولم تمنعه المراقبة ولا الخوف من دخوله عليها . ألا ترى ان من العادة في
الأكثر والأغلب أنه اذا جاء المطر يمتنع المسافر عن السفر والزائر عن الزيارة
وصاحب الشغل عن السعي في شغله ، وقد يسافر عند مجيء المطر ويزور ويسعى
في الشغل لكن يقع ذلك نادراً والحكم انما يكون على الأكثر والأغلب .

فالمنخل يريد بقوله في اليوم المطير أنه دخل على هذه المرأة وزوجها حاضر في البيت . ولم يرد أنه دخل برأى منه ، بل دخله وهو حاضر فيه ولم يفتده عن ذلك خوف ولا مراقبة ، ومما يشهد بذلك أن النعمان دخل بيته عند نزوله من ركوبه فرأى امرأته وقد ربطت رجلها ورجل المنخل في قيد وهما جالسان : قصدت بذلك ان تقربه منها قريباً ملصقاً بحيث لا ينفك عنها . فأخذه وسلمه الى صاحب حبسه . وهو رجل اسمه عكَب^(١) وأمره بقتله ، والحكاية في ذلك مشهورة . انتهى

المعربي



(١) عكَبَ بكسر ففتح تشديد صاحب سجن النعمان بن المنذر قال المنخل البشكري في عكَبَ هذا :

(يطوِّفُ نِيَّ عِكَبٍ فِي مَعْتَرٍ وَيَطْمِنُ بِالصُّمْلَةِ فِي قَفِيَّةٍ)
والصُّمْلَةُ المصا أو الحربة ، والقفيَّة جمع قفا .

القول الناجع في الغلط الشائع

لقد كان من الحرص على سلامة اللغة العربية وصحتها ومن حب الاتسام بسمة العلم بها أن كثر نقد اللغويين والكتاب النحويين لما عُرف بالغلط الشائع ، في عصرنا هذا الذي كثر فيه النقل من اللغات الغربية الى اللغة العربية . ومن المجلات العربية التي وازرت على ذلك النقد وآزرت النقاد وتنقلت الآراء هذه المجلة المباركة ، التي تعاون على الكتابة فيها والتعهد لرياضها والتهذيب لها جماعة من أفاضل كتاب العرب في هذا العصر .

وأنا إذ سميتُ القول المختلف في سلامته والكلمة المختلف في صحتها « بالغلط الشائع » جريتُ على التسمية المتعارفة وإن لم يكن ذلك القول الشائع في الأحيان غلطاً ولا شططاً ، فان للاشتهار حكماً نافذاً أو غالباً ، وما القول الشائع المزنون بالغلط إلا كالمتهم المرفوع الى الحاكم فهو صائر إما الى البرئة واما الى التجريم .

ولقد ذكرتُ غير مرة في غير موضع أن أكثر من احدثوا الغلط الشائع في لغتنا العصرية كانوا من الذلة أعني التراجمة ، ومن الذين ساعدوهم على وجدان مفاريد^(١) العربية المقابلة لمفاريد^(٢) اللغات الغربية - على ما وهموا اليه أو تحققوا^(٣) بمعرفته - ومن الحق علينا أن نعتز بصعوبة إتقان لغتين إتقاناً مستويًا بحيث يستطيع

(١) المفاريد جمع تكسير للفرد كالرسل فانه يجمع على مراسيل والسند على المسانيد والصب على المصائب والمنكر على المناكير، وقد شارك اسم المفعول اسم الفاعل في هذا الجمع نحو « بجمع مجاريع وموسر مياسير ومفطر مفاطير ومطفل مطافيل » وذلك لاشتراكها في ضم الميم وعلى هذا يجب أن يقال قياساً « معجم معاجيم » لاماجم لأن المماجم جمع المعجم بفتح الميم كقولهم « فلان صلب المعاجيم » .

(٢) يقال « تحقق فلان بكذا » أي اتهم به واختصّ ، وهو من التماير الفصيحة التي فأت معاجيم اللغة العربية المتينة .

متقنها أن يؤدي احدهما بالأخرى حتى الأداء ، وينقلها إليها كمثل النقل ، على أن هذا الاعتراف لا يبرئ النقلة الذين تبجروا في اللغة العربية وتختلفوا في العربية فجاء نقلهم مسخاً من المسوخ أو ضرباً من التدليس والتزوير ، وذلك أنهم لضالة إيمانهم بكرامة العربية وكرامة أهلها لم يعموا بدراستها وتفهمها ولا عاجوا على معانيها ومعانيها ، فهم من اشرار التجار ، وحملة العار ، ولقد علم الماوضون منهم والغايرون أن الذي يغلط من الغريين في استعمال حرف جر من لفته أو تصرف فعل من أفعالها ، يستثير على نفسه الكبر والتشرب فلا يزال القوم به حتى يرغموه على الاقرار بغلط نفسه والتزوع عنه .

وحسب الباحث والناقد ، في هذا الموضوع ، ان يستفرغ الطاقة ويبدل الجهود ، ويخلص النية ويستبرئ الطوية ، معتمداً على أصل من العلم باللغة أصيل ومستنداً الى فهم نبيل ، لا يسلكه النفع فجاءً مبهمة عليه ولا بورطه التجني في ورطة الدعاري العريضة والمؤاخذات المريضة ، فانه إن فعل ذلك لم يبال تغيظ المخطئين ولا تغضب الغالطين ، ولا شتيمة السفهاء ولا سفاحة الرعاء ، فان الدفاع عن اللغة دفاع عن أمتها وصورن لحرمتها ، وتقوية لشوكتها ، وتزكية لأرومتها ، ولا يزال العرب في خير ما حافظوا على لغتهم واعتصموا بعروبتهم واعتزوا بجمرتهم^(١) .

وقبل أن اعالج القول الناجع في الغلط الشائع أرى ان أشير الى بعض ما وقع فيه النقاد من الوهم وضعف الحكم في تقدم ، وذلك انهم تقدموا التعابير بأعيانها ، والأفعال بمواضعها ولم يراجعوا في ذلك القواعد العامة ولا الأمور الشاملة ، ولا استنبطوا أسرار العربية من قياس واشتقاق واقتباس وانما اعتمدوا على المنقول بنصوصه فتجبروا الواسع وتغافلوا عن الواقع ، ونفجت بهم طريق الانتقاد الى غير السداد ، فظنهم الناس - ولا ابرئ نفسي - متجنين متشددين ، جامدين

(١) الجمرة كل قوم تضاموا تضاروا بدأ واحدة ، يقال « بنو فلان جمره » اذا كانوا أهل منة وشدة ، فالجمرة هنا مستارة من الحصا المجتمع ومنها جمرات العرب .

حافدين ، وطاح الحق بين الفريقين : فريق القناد وفريق المنقود عليهم ، وكههم
 يظنون أنهم يحامون عنه ^(١) وهم في الحقيقة يحامون عليه ، وأنا لا أدعي في مقالي
 هذه كل الصواب والسداد ولا أطمع في غير التنبيه على القواعد العامة التي فاتت
 القوم ففاتهم شيء كثير ، من صواب الرأي وصحة الحكم ونجوع القول ، وهذا
 اوان الشروع في الموضوع .

القول في الحروف « على وأفعالها »

الحروف في كل لغة كالمفاصل في الأجساد والأجسام ولا سيما حروف الجر
 فانها مفاصل العربية بها تتحرك وتتصرف ولا حياة إلا بالحركة والتصريف ،
 وكما يطبق المفصل موضعه يجب ان يطبق الحرف موقعه ، فالتطابق شرط في سلامة
 الأعضاء وصحة الحركات ، ولقد غيرت عدة سنين ألتبس الدليل على صحة قولهم
 « حروف الجر ينوب بعضها عن بعض » فلم أظفر به ولا لمحت خياله ، فانه لعمر الله
 قول مطلق يقتضي العموم وينفي الشمول ، فاذا أنت عرضته على الواقع من
 مسموع اللغة ومقيسها ضاق وتضائل حتى الاضحلال ، لأنك تعلم علم اليقين أن
 « ذهب عنه » غير ذهب اليه و « رغب فيه » غير رغب عنه واليه و « مال اليه »
 غير مال عليه وعنه و « حكم عليه » غير حكم له و « تصرف فيه » غير
 تصرف به و « طلب اليه » غير طلب منه ، وأظهر ما يقال في هذا الأمر
 أن أحرف الجر الخاصة بالظرفية المكانية قد ناب بعضها عن بعض في شيء من
 كلام العرب وشعرهم ، كنيابة الباء عن « في » أو نيابة هذه عن تلك إذا استعملنا
 في التعابير المكانية ، ومع ذلك لا تصح النيابة اذا خيف الالتباس كقولك
 « تصرف فيه » فان ذلك يعني مكاناً بذهب وُجِء فيه حقيقة كالطريق أو مجازاً

(١) يحامون عنه اذا كان في حوزتهم وحيزهم فهم ينفحون عنه ويذبون و « يحامون عليه »
 اذا كان بينهم وبين خصومهم فكأنهم واقفون عليه مدانين . وهذا من أسرار العربية التي استيعبتها
 ولم يسبقني اليها أحد ، فان « عن » تفيد الجاوزة فيكون الحق وراء الحامي و « على » تفيد
 الاستعلاء فيكون الحق بين يديه .

كألا ملاك^(١) وغيرها ، وقولك « تصرف به » بعني شيئاً يحمله التصرف معه كالنقود والجواهر ، والمقصود الحمل ، ومنه قولهم « تصرفت به الأحوال » أي تقلبت عليه والمراد « حملته معها » وإظالمًا احتج أصحاب هذا الرأي - رأي النيبانة - بقوله تعالى : « ولأصلبكم في جذوع النخل » قالوا : أراد على جذوع النخل ، وهو من تعابير الظرفية المكانية التي أشرنا إليها ، على أن « الصلب » وتكثيره ومبالغته « التصليب » يفيد التسمير والتثبيت ، كما هو معروف في الديانة النصرانية واصل التعذيب القديم ، وعلى ذلك يقال « سمره فيه وثبته فيه تسميراً وثبتيًا » لا « سمره عليه ولا ثبته عليه » ثم تغير الصلب وصار تعليقاً للمصلوب^(٢) على أن الذي يدعي ان المراد بقوله تعالى هو « على جذوع النخل » يجب عليه أن يأتي بعبارة سابقة تاريخياً لنزول الآية الكريمة يستعمل فيها فعل الصلب مع « على » ، وإلا فإن ذلك من الدعاوي حسب . ولا يصح الاستشهاد بمثل قول الشاعر :

صلبنا لكم زبدًا على جذع نخلة ولم تر مهدبًا على الجذع يصلب

لأنه من اشعار العهد الأموي أي العهد الذي صار فيه الصلب تعليقاً ، والمعروف ان يقال « علته عليه وبه » بله ان الشعر لا يستطيع مناهاضة النثر في مثل هذا المقام فان الشاعر لو قال « في جذع نخلة » و « في الجذع يصلب » لكسر البيت . أما قولهم « كان ذلك على عهد فلان » وتأويلهم اياه بأنه « في عهده » وأن « على » قامت مقام « في » فجدُّ غريب ، لأن الظرف المسمى بظرف الزمان لا يستحق هذه التسمية فالزمان لا يكون في الحقيقة ظرفاً وإنما هو وقت مصاحب

(١) ويقال « تصرف على أحكامه » أي طبقها واتبعها و « تصرف على الأرض : سار عليها » ومن مجاز تصرف في قولهم « نظم الشعر وأصرف في النثر » و « تصرف العلماء في مسائلهم » و « تصرف في فنون العلم » وقد جمع المثني الوجيين في قوله :

أكلما رمت جيشاً ماثنى هرباً تصرفت بك في آثاره المهم

(٢) راجع تفصيل الصلب في حادثة وقعت سنة ٦٤٦ هـ بدمشق ، سترت فيها بدا المصلوب وعضداه ورجلاه « ذيل الروضتين لأبي شامة ص ١٨٠ » وجاء في ص ٣٠ منه « وهو مصلوب في وسط الجذع » .

للفعل ولذلك يجوز ان يجتمع هو وظرف المكان في جملة واحدة كما في قولنا « أقام في المدينة شهراً » والمراد « أقام في المدينة شهراً » يؤيد ذلك قولهم « جاءنا مع الليل وجاءنا بالليل » فالعمية والمصاحبة غالبية على ما يسمي ظرف الزمان والباء هي الأصل في جرد لأنها للمصاحبة كقوله تعالى: « وسارت بالنهار » ولقلة تعلق الفعل به أو ضعفه سهل نصبه من حيث كون النصب أخف الأعراب ، فهو على الضد من ظرف المكان فان نصبه مقيد في الغالب ، إلا اذا ذهب به مذهب الاتساع كقوله تعالى: « ولأقعدنَّ لهم صراطك المستقيم » « اذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً » « أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أيبكم » .

ومن المقرر في كتب ضرائر الشعر ان وضع حرف مكان حرف هو ضرورة تسوغ للشاعر دون الناثر وليس للتضمنين حكم مقبول ، لأن الفائدة البلاغية لا يصح البتة أن تكون في مخالفة الفصاحة بوضع اللفظ في غير موضعه ، فالدعوى باطلة من أصلها ، ألا ترى الى قوله تعالى: « فادخلي في عبادي وادخلي جنتي » فان العباد خلوها من الظرفية استعمل الفعل معها على أصله ، و « الجنة » لصلاحها للظرفية استعمل الفعل معها على الاتساع ، فيل لقائل ان يقول: « ادخل القوم » مضمناً هذا الفعل الثلاثي معنى « أدرك » أو « خالط » أو غيرهما ؟ لا يجوز ذلك أبداً والبلاغة منه براء .

والكلام على الحروف يستدرجني الى الكلام على الأفعال وقد استرجعت ان انكم عليها على حسب حروف المعجم فأذكر المشترك منها في حرف الجرّ مثل « اثر عليه » و « اكد عليه » و « ينبغي عليه » و « اجاب عليه » و « احال عليه » و « حافظ عليه » و « حكم عليه » و « خفي عليه » و « ردّ عليه » و « زحف عليه » و « استند عليه » و « تساهل عليه » و « اضطره عليه » و « اضنى عليه » و « انطلى عليه » و « عودّه عليه » و « اعتاد عليه وتمعّد عليه » و « علا عليه » و « اغدق عليه » و « اغراء عليه » و « فتنش عليه » و « تكلم عليه » و « تقد عليه » و « رد عليه » .

« ووزّع عليهم » .

فأما « اثر عليه » تأثيراً فقد تنبه لغلطه النقاد وذكروا ان الصواب فيه « اثر فيه » تأثيراً ، ولم يجاوزوا في تصحيحهم الاستشهاد بما ورد في كتب اللغة ، ولا حاولوا تعليل ذلك ، ولا ذكروا تاريخ هذا الغلط لظنهم أنه من الغلط العصري ، والتحقيق انه كان مستعملاً قبل اكثر من الف سنة « مروج الذهب ج ٢ ص ٩١ من الطبعة الجديدة » . وقد وردت الباء فيه بدلاً من « في » « الأغاني ج ٥ ص ١١٩ من طبعة دار الكتب المصرية » و « شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٣٦١ و ج ٣ ص ٢٠٦ » و « الكامل ج ٣ ص ٢٩٦ » وقد ورد في قصة الأعمس بن مهارش الكبي من معاصري سيف الدولة الحمداني ، وقد نقلها كمال الدين عمر بن العديم الحلبي في تاريخ حلب من نسخة كانت في وقف الكتب التي وقفها امير المؤمنين الناصر لدين الله في تربة زوجه سلجوقي خاتون بيغداد ، شطر هذا نصه : « يؤثر من حدر على صفحة اخذ ^(١) » . واذ كان المقصود بالتأثير احداث أثر وكان الأثر واغلاً في الشيء داخلًا فيه لزم ان يقال « أثر فيه » لا اثر عليه ، لأن « على » لا تبلغ بالمؤثر ان يكون مازجاً للمؤثر فيه ، لافادتها الاعتلاء والغلبة والتسلط والسيطرة ، دون الممازجة والملابسة ، فتقولهم اذن « اثر عليه » معناه « ترك اثرًا فوق جسمه او فوقه مطلقاً » ولا يسمى ذلك تأثيراً ولا المتروك الصعب التصور « اثرًا » في العبارة احالة واستحالة ، وتأويل ذلك ان الأثر يجب ان يكون داخل المؤثر فيه ، فاذا قلت « اثر فيه » وفسرت ذلك قلت « جعل فيه أثرًا وأحدث فيه اثرًا وعمل فيه اثرًا » ولم تقل « عليه » واذ تطرقت الى « على » للاستعلاء لم اجد بداً من الاشارة الى أن صدرًا من الأفعال التي يتناسبها الاستعلاء يستغنى فيها عن هذا الحرف فيقال « حضنته » بدلاً من « حضنت عليه » وعلاه بمعنى « علا عليه » و « عضه » بدلاً من عض عليه و « غطاه » اي غطى عليه و « قبضه » اي قبض عليه ، وكل ما كان في هذا المعنى فهذا سبيله ، وليس

(١) أصول التاريخ والأدب « مج ١٧ ص ١١٥ » وقد ذكرنا أن هذا المجموع من مجموعتنا الخطية في « ٣٥ » مجلداً .

الأمر على ما يظن بعض النقاد من أن الأصل «علاه بعلوه^(١)» لأن هذه الأفعال لازمة في الأصل مستقرة في فاعلها ، فالتعدية طارئة وهي من باب الاتساع ، فتأمل ذلك .

فمن القواعد العامة إذن استعمال «على» مع كل فعل بدل على الاستحواذ والسيطرة والاحتواء والشمول ، وإن كان الاحتواء ناشئاً من الشفقة ، كقولك «عطف عليه وحتى عليه وحبب عليه» وعلى هذا يجب أن يقال «استحوذ عليه وسيطر عليه واستولى عليه واحتوى عليه واشتمل عليه» سواء أورد السماع به أم لم يرد ، إلا ترى أنهم قالوا «ظفر عليه وطلبه عليه واستوى عليه» من حيث نظرهم إلى جهة وقوع الفعل ، وهذه القاعدة الشاملة هي التي حملت جماعة من المعاصرين أن يقولوا «حاز عليه» بمعنى حازه ، وقديماً قال ابن الساعاتي الشاعر المقتدر :

ما أنسَ لا أنسَ الوداعَ وَاعينُ الـ آجالَ حائزةً على الآجالِ

وبلي أثر عليه في ترتيب حروف المعجم «أكد عليه» يقولون «أكد فلان على الأمر» واره من الترجمة لقول الفرنسيين Insister sur qc على أن الناقل الأول لهذه العبارة الأعمجية لم يعدم الصواب في اختياره «أكد» فإنه من أقرب الأفعال إلى أداء هذا المعنى ، والتعابير البشرية كثيرة التشابه مع اختلاف اللغات ، لأن المعايير الإنسانية كثيرة التشابه ، واللغات من آلات المعيشة ، إلا أن الفصحاء قالوا «أكد على فلان» بإدخال هذا الحرف على الإنسان لا على الشيء والأمر ، وهم في الغالب يمحذفون مفعول التأكيد ويقولون «أكد عليه في كذا» والأصل «أكد عليه الأمر والوصية» فالمفعول به معلوم حتى العلم وليس من البلاغة أن يذكر المعلوم بالبداية ، وعلى هذا ورد صدره من الأفعال ، أعني أنها وردت محذوفاً مفعولها وروداً كثيراً بحيث يظن غير المتبحر في العربية أنها لازمة مثل «حامي عنه أو عليه ودافع عنه ، وحافظ عليه وذب

(١) قال تعالى : «اذن لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض» فتعدته بعلی هي الأصل عندي .

عنه واستقصى عليه وفتش عنه « وكثير مما لا يحضرني ، فالأصل « حامى غيره
 عن الشيء او عليه ، ودافعه عنه وحافظه عليه وذبه عنه واستقصى الحساب والأمر
 عليه وفتش المكان او البلد عنه » وكيف يكون مثل « حامى ودافع وحافظا »
 من الأفعال اللازمة ونحن نعلم أن « فاعل مفاعلة » متعدي بالسماع والقياس ؟
 ولم يندء عن ذلك إلا قولهم « بالى به مبالاة » مع ورود « بالاه بباليه » في الفصح
 من اللغة ، وعلى هذا الوجه يحمل قولهم « دخل الحجاز وجاور في مكة » يعنون
 « جاور الله تعالى » ومن هذا الجوار قيل للزمخشري العلامة الامام « جار الله » .
 وانك تجد « أكد عليه في كذا » في تاريخ الطبري « سنة ٢٥٥ ص ١٦٣ ،
 من طبعة مصر الأولى ومعجم الأدياء لياقوت « ج ٧ ص ٢٥٦ ، من طبعة مرغليوث ،
 ومنهم من يعنيه ذكر مفعول « أكد » كما جاء في شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٢١
 « ثم نهاه عن الظالم وأكد الوصاية عليه » وكذلك ورد في تاريخ الطبري
 « سنة ٢٢٧ ص ٧٢ » من الطبعة التي أشرنا اليها ، وقد جاء في التاريخ الفخري
 ص ٢٣٣ « وأكد عليه النهوض » والصواب « وأكد عليه في النهوض » ولم تحف
 صحة التعبير على مختصر رحلة ابن بطوطة ومحررها فقد جاء فيها ج ١ ص ١٢١
 من طبعة مصر الصفراء « وأكد عليهم في ذلك أشد التأكيد » .
 فالصواب ان يقال « أكد عليه في الدفاع وأكد عليه في الحضور » وبإظهار
 المفعول به « أكد عليه الوصية في الدفاع او الحضور » ولا تخذي بمخالفة المشابهات
 أرجى الكلام على « تأكد منه » حتى يأتي مكانه .
 وقبل ان أخلص الى الفعل الذي يلي « أكد عليه » اود ان اعالج السبب في
 استعمال « على » معه دون غيرها من حروف الجر إذ كان هذا البحث مقصوراً
 على حروف الجر اثر ذي اثير ، فالسبب في ذلك ما قدمت ذكره من كون « على »
 للاستعلاء فهي تنفيذ السيطرة والقدرة ، وما زال العلم دليلاً على القهر والغلبة
 والنفول دليلاً على الذلة والضعفة ، فلذلك وجب استعمال « على » إرادة أن

المؤكد أمر ومسيطر على المؤكد عليه ، تقول « حكم عليه وأعان عليه وساعد عليه وهجم عليه ودخل عليه وتماجن عليه وتنادر عليه وتساهل عليه وفاق عليه وعلا عليه وتجاهل عليه ، ووثب عليه ووجب عليه ونفق عليه وزاد عليه واشتد عليه واستقصى عليه واستحب عليه ، وما جرى هذا المجرى ، وخلاصة القول أن « على » أكثر ما تستعمل مع الأفعال المحايدة - ان صح التعبير - للاضرار بالمجرور او اظهار ضعفه .

وبلي « أكد عليه » قولهم « ينبغي عليه ^(١) » نظرنا فيه الى « يجب عليه ويحتمى عليه » لما اسلفت ذكره من مدلول « على » ولكن طبيعة الفعل « ينبغي » لا تتبياً لمثل هذا الاستعمال ، لأن الانبغاء « انفعال » فهو من معالجة الفاعل فعلاً في نفسه والباعث عليه هو رغبته فيه او ميله اليه لا بتأثير مؤثر خارج عنه سموه « المطاوعة » اعتباراً ، فليس للمطاوعة اثر في لغة العرب على التحقيق وانما هي من مخترعات الصرفيين تقول « انطلق » ولم يأمره احد بالانطلاق و « انصرف » ولم يأمره احد بالانصراف و « تقدم » ولم يوجب احد عليه التقدم و « تعلم » ولم يلزمه احد التعلم ، فقولهم « انبغي ينبغي » كقولهم « حق يحتمى ووجب يجب » إلا ان رغبة الفاعل فيه راهنة دائمة ، فكيف نستعمل معه « على » وفيها قهر للمجرور ومضادة لمراوده ؟ فالانبغاء دليل على رغبة المتبغى وسهولته ؛ ولا يستعمل مع الأذى والسيطرة والاذلال ، وعلى هذا يجب ان يستعمل الحرف المضاد لعلى وهو « اللام » حرف النفع والعائدة فيقال « ينبغي لك كذا وكذا » كما يقال « يجب لك ويحتمى لك ويحصل لك ويتبياً لك » وغير ذلك .

(١) يرى قراء الكتب العربية في الأحيان حروفاً مستعملة مع أفعال لا تمت اليها بصلة استهائية أصلية كصلة « الى » بذهب ، فيظنونها من حروف تلك الأفعال كقول نصير الله ابن الأثير « لأنه ينبغي - على قياسه - أن يكون جناح الدل ... زيادة في أسماء الطيور » (المثل السائر من ١٤٦) فربما ظنه الشاذي « ينبغي على القياس أن يكون جناح الدل .. » وهو كلام لا منطبق فيه ، فان المراد « ينبغي - اعتاداً أو جريباً على قياسه - أن يكون ... » فالحرف « على » متعلق بمعنوف لا يتم المعنى الا به .

أما «بني عليه يبني بغيراً» فإن «على» كما ذكرنا من افادتها القهر والاذى ، والمفعول به محذوف والتقدير «بني عليه شيئاً من الأشياء او امرأ من الأمور» اي اراده على رغمه والا فان البني معروف بانه الارادة والطلب والرغبة في الشيء فكيف يتعد عن اصله وبنيء الجور والظلم من غير تأويل ولا توجيه ؟ والصحيح ما ذكرته ألا ترى انك تقول «اخترتُ عليه فلاناً» اي اخترته على غير حوسى منه ، و«استخيت الشيء على غيره» و«فضايت عليه» وما الى ذلك من الأفعال المشار فيها الى كراهة المجرور بعلى للفعل ومخالفة الفاعل لهواه .

ويأتي بعد بنبي عليه «أحاله عليه يحيله عليه» فان من الكتاب من يقول «أحاله الى كذا» و«تجبله الدولة الى المعاش» وليس ذلك بصحيح لأن في الاحالة فهراً وتسلطاً فكما تقول «سلطه عليه» تقول «أحال عليه» لما ذكرت من اختصاص «على» بهذا المقام ، ومعنى «أحاله على كذا» : جملة يحول عليه اي ينتقل ، واصله من «حال على ظير داجه»^(١) واحاله عليه غيره ، «شرح نهج البلاغة المذكور ج ١ ص ٢٦ وجمهرة أشعار العرب ص ١٨٠ من الطبعة الأولى» ، وقد كثر استعمال «أحال به عليه» في الكامل ج ١ ص ١٧ «ولكن أقال به كل واحد منا على الآخر» ومنه قولهم «أقال عليه بالسوط يضربه» . وهذه الباء للأفعال الدالة على الدفع والتحرك خاصة ، تقول «لفظ به ودفع به ورمى به وألقى به وأقال به وأمر به ونطق به وتكلم به وانعم به وجاد به» وما أشبه ذلك ومنها ما يصح فيه الوجهان مثل «لفظه ودفعه ورماه وأحاله وألقاه» ، وليست الباء للمصاحبة كما يتبادر الى الذهن أول وهلة ، فلا صلة بين الباء في رمى به والباء في «ذهب به» .

وبلي أقال عليه قولهم «حافظ عليه» وقد اشرنا اليه في الكلام على «أكد عليه» وذكرنا أن المفعول به محذوف والأصل «حافظ فلاناً على الشيء» أي (٢) ويقال ايضاً «حال فيه وأحاله فيه» لتشبيه ظهر الدابة بالمكان ، والقول فيه كقولهم في «حلب» .

غالبه في حفظه و«علي» للاستعلاء وتأويل ذلك أن كلاً اخصمين يشفق على الشيء ويحذب عليه فكأنه مطروح بينهما وهما واقفان عليه ، ومعنى الاستيلاء مفهوم من الاستعلاء ، ومن الغلط ان يقال «حافظ الشيء» يجعل الشيء مفعولاً به للفعل كالذي ورد في شعر علي بن الجهم علي حسب نقل محي الدين بن العربي في مسامراته «ج ٢ ص ٣» :

أنت كالكلب في حفاظك للعم يد وكالتيس في قراع الخطوب
فانه يستطيع أن يقول «في الحفاظ علي» وكالذي ورد في شرح الشافية للاسترابادي ج ٣ ص ١٢٤ «ولحفاظة الالحاق» وكذلك ورد في الأشباه والنظائر «ج ٣ ص ٨٩» ومعجم الأدباء لياقوت «ج ٦ ص ٥٢٠» والذي أوقعهم في الوهم كون «حافظ» على وزن فاعل فهو متعد بالقياس ، وقد ذكرنا حقيقة تعديه مع «ذب» عنه وحامى عنه أو عليه ، وكذلك القول في «دفع عنه» فان الأصل «دفع العدو عنه» .

ومن حافظ عليه انتقل الى ثلاثيه «حفظ» فانهم يقولون «حفظت حقوق»^(١) التأليف للمؤلف ، و «حقوقه محفوظة للمؤلف» والصواب «حفظت الحقوق علي المؤلف» و «الحقوق محفوظة على المؤلف» وبذلك ورد كلام الفصحاء «شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٩» ومنه قول احدم كما في مروج الذهب للمعزدي ج ٢ ص ٢٣٤ «أسألك ان تحفظ علي مكاني من قلبك» وقول ابي حيان التوحيدي في الامتاع ج ٢ ص ١١ ، ص ١٨٦ «فانهم يحفظون الصحة على أصحابها» .
وان لقائل ان يقول : كيف وردت «علي» في هذه العبارة مع أنها في اكثر احوالها الاستعلاء والاستيلاء والأذى ؟ والجواب عن ذلك أن هذا الاستيلاء نافع للمستولى عليه أو المنظور له بكون الفعل «حفظ» من الأفعال النافعة فهو مثل «اشفق عليه وحذب عليه وتساهل عليه» وأتم عاينه النعمة وأصبغها عليه ، ففي الشمول رعاية لمكان الفعل من العناية ، ألا ترى أنك تقول «حبست عليه»
(١) ما أجمع من اللغات العربية والأول بالاستعمال في العربية مفرد الحقوق فيقال «حق التأليف» .

عقاراً ووقفته عليه ، وجدتُ عليه ببال وعطفت عليه ، اي عطفتُ غنابتي ، وما أشبه ذلك ، ثم إن قولهم « حفظت له كذا » جائز في غير هذا المعنى ، لأنه بمعنى أن الشيء لم يكن له جملة في حيزه ، أما « حفظته عليه » ففاده أن الشيء كان له من قبل واستدمت بقاءه له ، وهذا واضح كل الوضوح من القول الذي نقلته آنفاً « أسألك ان تحفظ عليّ مكاني من قلبك » ، ومن المعلوم أن حقوق الطبع خالصة لصاحبها من قبل فهو يريد « حفظها على نفسه » اي استدامة ما كسبها له . وإني لآسف على نسياني « أجب عليه » بعد « ينبغي عليه » فهناك موضعه ، ولكن الكلام عليه هنا خير من تركه بته ، فان من الكتاب من يقول « أجب عليه » والصواب « أجب عنه » لأن الاجابة مأخوذة من الجوب أي الطواف والسياحة ، والاتزياع ، فمضى « أجب عن كذا » ازاح عنه ، والمفعول به محذوف تقديره « أجب الحجاب او الضموض او الابهام عنه » فلا يصلح غير « عن » في هذا المكان لأنها للمجازاة والمساعدة ، ومن هذا المعنى قولهم « انجابت السحابة اي انكشفت وانزاحت » فالقائل « أجب عليه » مخطي لشاكلة الصواب لأنه لا يقال « ازاح الضموض عليه » وهو قول ساقط ، بكون الازاحة اي الاجابة إبعاداً وبكون « على » للتقريب والشمول ، الا ترى انك لا تقول « كشفت الستار على الباب » لأن الكشف ابعاد لا يستعمل معه « على » ؟ وقد يرى القارئ في الكتب العربية استعمال « على » مع « أجب » ولكن ذلك للظرفية لا للفعل نفسه كأن يقال « أجب الحاكم على عريضة المدعي بكذا وكذا » اي وقع عليها وكتب عليها ، ولذلك يعبر الجمع بينهما فيقال « أجب عن السؤال على ورقة كبيرة » وتأني « على » ايضاً مع « أجب » لبيان الحال ، تقول « أجب عن الاستفتاء على مذهب الشافعي ^(١) » ، شرح نسيج البلاغة ج ٣ ص ١٩٥ ، وما أشبه هذا .

(١) - أنا لا أتقيد بذكر النص في الاستشهاد لأن المقصود التركيب والتأليف ، الا اذا قلت « كقول فلان أو كقول أحدم أو كما ورد في كذا » .

وبلي حافظ عليه «حكم عليه» فإن من الكتاب من لا يميز بين «حكم عليه» و«حكم له» ولقد أشرنا الى موضع «على» من الضرر وموضع اللام من النفع، فيجب ان يقال «حكم عليه القاضي بالحبس» و«حكم له الحاكم بعشرين ديناراً تؤخذ من خصمه»، وعلى هذا يكون القياس في سائر كلام الناس، واذا أريد الحكم مطلقاً قيل «حكم في الأمر وحكم في الناس وبينهم فحكم لناس وحكم على آخرين». ومن الأدلة على ما ذكرت قول أحدهم في الكامل ج ٢ ص ٢٢ «ثلاثة يحكم لهم بالنبل ٠٠٠ وثلاثة يحكم عليهم بالاستصغار» وكذلك القول في «حق له وحق عليه» و«وجب له ووجب عليه» و«اجتمع له واجتمع عليه». ومن حكم عليه أصير الى «خفي عليه» فقد ذكر بعض النقاد أنه لا يقال «خفي عنه» وأن الصواب «خفي عليه» والصحيح أن لكل منهما موضعاً، لأن الخفاء يستعمل حقيقة ومجازاً، فالخفاء الحقيقي هو ذهاب الشيء عن البصر وعجز البصر عن ادراكه، والخفاء المجازي هو عجز البصيرة عن ادراك الشيء، فالحقيقي يستلزم «عن» للمجازة لأنه ابتعاد وذهاب، والمجازي يستلزم «على» لأنها للضرر، فللمقابلة «بدا لك وظهر لك» تقول «خفي عليك» فالخفاء الحقيقي طبيعي، والخفاء المجازي اكتسابي، ولا يلام الانسان على ضعف البصر وإنما يلام على ضعف البصيرة، ومن الأدلة على ما ذكرت قول الشريف الرضي الشاعر الفحل:

وتلفتت عيني فمذ خفيت عني الطلول تلت القلب
فان الطلول يدركها البصر فلذلك قال «خفيت عني» ولم يقل «خفيت علي»
وكذلك قول المتنبي:

واذا خفيت عن الغبي فعاذري أن لا تراني مقلة عمياء

وقالوا في تفسير: لاحه يبصره لوحة «رأه ثم خفي عنه» ولم يقولوا «خفي عليه» وقد يشترك المعنيان في موضع واحد كقول احد الشعراء في المثل السائر
ص ٦١ من الطبعة الجديدة :

لو كان يخفي على الرحمن خافية من خلقه خفيت عنه بنو أسد
فقد استعمل « على » لما يخفي من اجسام الخلق وأحوالهم ، واستعمل « عن » لبني أسد
لأنه أراد خفاء أجسادهم ، وكما حصل الاشتراك بين المعنيين غلبت « على » على
التركيب كقوله في ض رح من اساس البلاغة « وهل يخفي على الناس النهار »
لأنه أراد الاستدلال البصري والبصري ، وكذلك قول أحدهم في ب ه ر من
الصحاح « وقد بهرت فلا تخفي على احد ^(١) » اي لا تخفي على بصيرته ولا عن
بصره ، وما يؤيد قولي في ذلك أنك تقول « أخفيت الشيء عنه » لأنه إخفاء
عن البصر لا عن البصيرة ، فن أين أنت « عن » ؟ ومن القدماء من لم يميز بين
إخفاءين كما ورد في المستجد ص ١٣١ « لم يخف عن نظرك » وإنما أراد بالنظر
البصيرة وكان حرباً ان بقول « لم يخف على نظرك » .

وبلي خفي عنه « ردّ عليه » واستعمال « على » معه مفروغ من الكلام عليه
إلا أن من الكتاب من لا يحسن استعمال هذا الحرف : يدخله على المردود بأن
يقول « ردّ على قول فلان » ومن العنوانات المتعارفة بينهم « ردّ على ردّ » والصحيح
ادخال الحرف على الانسان لافادة توجيه الضرر عليه فيقال « ردّ على فلان قوله »
وعلى ذلك يقال « ردّ ردّ » لا ردّ على ردّ ، ويقال أيضاً « ردّ عليه جواباً مقذعاً »
و « ردّ عليه السلام » . وهم يعكسون الحرف في التردّد : يقولون « تردّد على
فلان » والصواب « تردّد اليه » .

ومن الغلط الشائع قولهم « زحف على المدينة وعلى العدو » وليس المراد استعلاء
الزاحف وإنما المراد سيره وقصده على تودة ، وهذا معروف مألوف حتى تجده في
تماثيل البحر ، ففي السلوك للمقرئ ج ١ ص ٥٦ « وزحفت سراكب الفرنج
الى ابيناء » . وزحف الجيش والناس غير زحفان الأطفال أي حبوهم ، تقول
« زحف الطفل او زحف على يديه او مقعدته وبديه أي دب » ، والمقصود بيان

(١) وفي شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٨٠ ؛ « فلا يخفي على الناس نورها » علي أن الشعر
في الأحيان يمتل ما لا يمتل النثر .

العضو المزحوف عليه، لاجهة المزحوف اليه، فلذلك يصح الجمع بين الحرفين في جملة واحدة تقول « زحف الطفل على ركبتيه وبديه من الصحن الى الباب » ، والظاهر أن السبب في الخطأ هو انهم يظنون « زحف » مثل هجم^(١) فيعدونه بجره - اعني على - وهذا وهم منهم لأن الهجوم والطحوم يحدثان من أعلى فيستعمل معهما حرف الاستعلاء - « على » وليس الزحف كذلك . وبلي زحف اليه « استند عليه » فانهم يعدونه بعلى ، جاعليه مثل « اعتمد عليه » مع ان الاستناد غير الاعتماد ، فالاول من الجانب ، والثاني من أسفل ، أعني ان الاستناد ملحوظ فيه موضع « السند » والاعتماد مرعي فيه حالة العماذ ، والسند في الأصل ما قبالك من الجبل وعلا عن السطح ، ومنه اشتق الاسناد^(٢) أي الصعود في السند ، وإسناد الشيء أي الصاقه بالسند والاستناد اي اتخاذ السند والميل اليه ، ومن البين أن السند لا يتصل بالمستند إلا من الجانب لذلك وجب ان يقال « استند اليه » و « اعتمد عليه » لأن المعتمد يكون فوق المعتمد عليه .

وبأتي بعد استند اليه « تساهل عليه » فان كتاب العرب المعاصرين لنا قاطبة يقولون « تساهل معه » وهذا من الترجمة أو سوء التعبير ، والصحيح « تساهل فلان على فلان وتساهل الأمر على فلان » لأن الأصل « سهل عليه » باستعمال « على » التسلطية معه ، والسبب في ذلك أن الفعل وان دل على السهولة فانه أريد به الاشارة الى صعوبة كانت حقيقيه أو مظهرية ، فكأنك قلت « لم يعسر عليه ولم يصعب عليه » فانتفاء الفعل لم يذهب عنه حرف الجر ، وكذلك الحال في لحظ اصل المعنى كأن يقال « خف عليه وهان عليه » .

ويتلوه في الترتيب « اضطرر عليه » وهو مما يستعمله الكتاب ، اخذوه مصحفاً

(١) أصل « هجم عليه » هو « هجم عليه الدار » أي دخلها عليه ، ولكثرة استعماله محذوف للمعول به اشتقوا له مصدراً لازماً هو « الهجوم » كلوقف المتعدي والوقوف للارجح للتعدي والرجوع لللازم والصد والصدود والصدف والصدوف .

(٢) أنا من الذين يذهبون الى أن المصادر مشتقة لدالاتها على المعاني المجردة: فالحركة - وهي الفعل - سابقة لاجتها وهو المصدر .

من بعض الكتب^(١) المساء طبعها ، ومنهم من ظنه صواباً لقربه من قولهم « اجبره عليه » ولكنهم فسروا الاضطرار بالاجاء والاحواج وكلاهما يطلب « الى » دون « على » ومعنى « اضطره » أصابه بالضرورة أي الحق به الضرورة مثل « اغتابه » أصابه بالغيبة واجتاحه وانتقصه ، وبأتي هذا المعنى على « تفعلّه » أكثر من « افتعله » لأن هذا الأخير مختص بمعالجة الفاعل شيئاً لنفسه كالاختيار والانتدام والاختسال ، ومن أجل ذلك والتعويض عنه ، شارك « تفعل » افتعل في معنى المعالجة ، كأن الأوزان بني بعضها لبعض ، مثل « تخمرت المرأة وتعصبت وتعمم الرجل وتنور » . أما « أضفى عليه » فمعلوم سبب استعمال « على » معه من حيث كون الأضفاء آتياً من أعلى الشيء ، ولكن بعض النقاد اللغويين المعاصرين أنكروا وجوده في اللغة ، بشيئته أن كتب اللغة لم تذكره ، مع أن إدخال الهمزة على الثلاثي اللازم للتعدية قياسياً متعالم ، تقول « ضفا الثوب يصفو ضفواً أي صبغ ، وأضفاء الخياط » وقد استعمله الفصحاء قال أبو اسحاق الصابي - كما في رسائله ج ١ و ٣ - « ولا سلبك ما أضفت عليك الامامة من مرضاتها » وجاء في كتاب الروضتين ج ١ ص ٢٣٤ « وأضفى مشربك وأضفى مابسك » وكذلك ورد في معجم الألقاب لكلال الدين ابن الفوطي ، وأرى أن الجدل في تعدية الأفعال الثلاثية اللازمة ، بالهمزة من بواطن الأقوال ، فللمانع لتعديتها بذلك كالقاطع عضواً من أعضاء اللغة العربية لكي يجعلها مؤفة معيبة .

وبلي أضفى عليه قولهم « انطلى عليه » بمعنى تمّ عليه وراج ، وأكثر ما يستعملونه في الحيلة وذلك نحو « انطلت عليه الحيلة » أي تمت عليه ، والانطلاء مأخوذ من الطلاء^(٢) وهو القطران وما يُطلى به ، وثلاثيته « طلاه يطايه » أي وضع عليه

(١) في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٤٦٥ « ليس على معنى أن الفاعل مضطر على قتله » وهو تصحيف والأصل « الى قتله » فقد جاء في أخباره ج ١ ص ٢٣ « حتى اضطررناهم الى الجسر » .

(٢) وقد جاء جمه قياسياً على « أطلية » كما في مروج الذهب « ج ١ ص ٢٢٨٠١٨٠ » .

الطلاء ، والمبالغة منه « طلاءه تطلية » ويجوز في كل فعل ثلاثي ان يشتق منه « انفعال » إذا كان فاعله معالجاً للفعل بنفسه ولنفسه لا بتأثير خارج كما ادعى القائلون بالمطاوعة وهي في الحقيقة عنقاء مغرب ، ولقد أشرنا الى ذلك وأتبنا بانصرف وانطاق في الاستدلال ، و« انطلي » لا يمكنه ان يكون من هذا الباب ، لأن الطلاء شيء خارج ومادة منفصلة عن المطلي بها قبل انطلي ، ومثله طلاء « غسله غسلًا » اي خلطه بالعسل ، وقرظه اي دبقه بالقرظ وماحه ماوحًا بمعنى جعل فيه الملح فالشيء الأصلي هو المفعول ، وإذ لم يجوز ان يقال « انعسل العسل ولا انقرظ القرظ ولا انامح الملح ولا انعسل الشيء ولا انقرظ الجلد ولا انملح الطعام » لم يجوز ان يقال « انطلت الحيلة » . ويجوز على الاستعارة ان يقال « طليت عليه الحيلة » اي كتبت حقيقتها فتحت عليه ، ولا يصح غير ما ذكرت . وأخلص بعد « انطلي » الى « عوده على الأمر وتعود عليه واعتاد عليه » فان كثيراً من الكتاب يمدون هذه الأفعال بعلى - كما ذكرتها - والصواب تعديتها بأنفسها ، ومنشأ الغلط إما الاقتداء ببعض المؤلفين المتأخرين بالاضافة الى عهود الفصاحة كابن الطقطقي في تاريخه الفخري^(١) ، واما التضمين كما يقال « دربه عليه ومرنه عليه » واذا أخذنا باستعمال زهير بن ابي سلمى الذي ذكرناه في الحاشية ، وجب علينا ان نجيز « التعدية بعلى » في الشعر خاصة لأنه استعمل الوجهين في بيتين متواليين ، ولا مندوحة عن أن يكون أحدهما الغالب والآخر على غير الوجه ، والذي في كتب اللغة والآثار الأدبية أن تعدى هذه الأفعال بأنفسها ، وذلك لأن ثلاثيها هو « عاد الشيء بعوده » أي أبداه ثانية وباشره مرة أخرى ، فعوده الشيء جعله بعوده ، وتعود الشيء واعتاده بمعنى كرر عوده ، واتخذ

(١) راجع « ص ٢٢ » من طبته المصرية الأولى « وتعود النفس على ذلك » ، ولكن بعض المختجين لصحة التمييز ذكروا أن زهير بن أبي سلمى وهو شاعر جاهلي استعمل الوجهين في قوله :

وعود قومهم هرم عليه ومن عاداته الخلق الكريم
كما قد كان عودهم أبوه اذا أزمتهم يوماً أوزوم

عادةً ، ومن هذا يعلم أنه ليس من « عاد عليه بكذا »^(١) أي نفعه به ، ومنه الفائدة أي الفائدة ، وقد يستعمل على الضد كقول الشاعر الوارد في الكامل المبرد ج ١ ص ٤٣ من طبعة الدجوني الأزهرى « تعود على مالي الحقوق العوائد » أي تنقصها ، وتنخونها ، ومن الغلط الواضح قول النحويين « عاد الضمير على كذا » والصحيح « عاد الضمير الى كذا » من عاد اليه بمعنى رجع وآب .

فيجب ان يقال « عودتُ فلاناً شيئاً وتعوده هو واعتاده هو » والشعر اذا خالف النثر ووافقه في موضعين ظهر ضعفه ، واذا خالف النثر أصلاً بان شذوذه ، وجاز الاقتداء به في النظم خاصة .

وبلي عوده « علا عليه » وقد أشرنا الى القاعدة العامة في الكلام على « أثر عليه » ونؤيد ما ذكرنا بما ورد في القرآن الكريم وقد ذكرناه ومنه « ولعلنا بعضهم على بعض » . وعليه قول الشاعر :

وما يعلو على قلل المعالي أحقُّ من المعرِّق في العلاء

وبتلو علا عليه « أغراه عليه » والصحيح « اغراه به » لأن الاغراء الصاق والإاقه ، ولبس صحيحاً أن يقال « الصقه عليه وألاقه عليه » وأظن أني قرأت في مروج الذهب شعراً قديماً جاء فيه « اغراه عليه » ولكن الموضع شذء عني ، على أن ذلك تصحيف لقولهم « أضراه عليه » من الاضراء والاضراء منه ، تقول « ضري بالشيء » كما في كتب اللغة « ضري عليه » كما في الامتاع والمؤانسة وجمهرة الأمثال لأبي هلال ، ومعجم الأدباء لياقوت « ج ١ ص ٣٥٦ » من طبعة مرغليوث ، ورباعيه « اضراه به وعليه » والضاد في الكتابة تتصحف الى العين والعين كما تتصحفان هما اليها ، وفي أخبار الخلاج ص ٨٢ « يجوز اغراء الناس عن الباطل . . . قال : لا ولكني اغريهم على الحق » . فالأول « اغراء الناس على الباطل » لآءه ، وكذلك ورد في كتاب « بهجة الخلاج » المخطوط ، والأصل « اضراء الناس على الباطل واضراؤهم على الحق » ، وقولي ان « اغراه عليه »

(١) في رسائل الرازي ، طبعة كراوس ج ١ ص ١٨ « سائر الصناعات العائدة علينا النافعة لنا »

محمول على «أضرأه عليه» ليس معناه أن «أضرأه عليه» هو الفصحى دون «أضرأه به» ولكن الضيف قد يحمل على الضيف والركيك قد يتصحف الى الركيك ، بله أن «ضري عليه» فيه معنى التسلط والجرأة ومن ذلك نشأ الاعتلاء فاستحق «على» تقول «جرؤ عليه واجترأ عليه وجسر عليه» .
 وبأني بعد اغراه عليه «فتش عليه» فان جماعة من كتاب العصر يستعملونه وقد ورد في شعر ابن الدهان الموصلى ، وكان قد ادرك القرن السابع للهجرة قال :
 وعهدي بالصبا زمناً وقدي حكي الف ابن مقلته في الكتاب
 فصرت الآن مخنياً كآني أفنش في التراب على شبابي
 والشعر كما ذكرت لا يصح ان يتخذ دليلاً على صحة التعبير ما دام مخالفاً للنثر ، وقد ذكرت انه يقال «فتش عنه» لا فتش عليه وأن فتش متعد محذوف المفعول والأصل «فتشه عن كذا» ، وقد ورد «فتش عليه» في ثر القرن السادس ، من ذلك قول ابي الفرج ابن الجوزي في «صيد الخاطر» ص ٨ «ولو فتشوا على مر هذه الأشياء لعلموا» . وهو خطأ لأن الموضوع لا يستلزم «على» أبداً ، فكما تقول «سأل عن الشيء» تقول «فتش عنه» وكذلك القول في «بحث عنه» ووليد «فحص عنه» و «أجاب عنه» .

ويقولون «تكلم عن الأمر» وكلمه عنه ، واستتبع ذلك منهم ان يقولوا «كلمة عن الموضوع» و «الكلام عن الموضوع» والصحيح في كل ذلك وضع «على» موضع عن ، هذا هو استعمال الفصحاء في كل ما عرف من كتب الأدب والتاريخ وغيرها ، ومن التعابير المولدة قول جماعة من المتقدمين «تكلم في المسألة» أي عليها ، ولكنها اذا اجتمعا وجب استعمال «على» فني مروج الذهب ج ٢ ص ٢٨٤ من الطبعة المصرية الأولى «وهو علم يمزج الدين بالفلسفة ويتكلم فيه على الكون والظهور . . .» ثم إن قولهم «تكلم في^(١) فلان» معناه «ذمه وقدم فيه» ، واستعمل المتأخرون من المؤرخين «تكلم على الناس» بمعنى وعظهم وذكروهم
 (١) في مصارع المشاق ص ١٣٣ من الطبعة المصرية الرديئة «وقد تكلم بعض الناس فيكما بكلام قد رفع الله أقداركا عنه» وجاء كثيراً في غير ذلك .

ورقق قلوبهم^(١) ، لافادة «على» الاستعلاء من حيث جلوس الواعظ على المنبر فكانه فوقهم ، ولكن الفصحاء كانوا يفهمون من «تكلم عليهم» تحدث في أمرهم وذكر حالهم ، وأما «تكلم عنه» فله في اللغة معنى آخر هو افادة النيابة تقول «تكلم الوكيل عن موكله» وفي جمهرة الأمثال ص ١١٨ من طبعة الهند «بقاتل عن العاجز وبتكلم عن العي» . وقالوا في تعريف المدره «زعيم القوم المتكلم عنهم» أي الذي ينوب عنهم في الكلام ، فاذا قلت «تكلمت عن فلان» وأنت تريد تحدثت في أمره فذلك خطأ ، لأن معناه أن تنوب عنه في الكلام ، وفي مثل هذا يظهر الالتباس فضلاً عن مخالفة السماع والقياس . ومن هنا أسوق الكلام الى «ورد عليه» فإن كثيراً من الكتاب لا يميزون بين «ورده»^(٢) و «ورد عليه» فهم يقولون «وردنا كتاب» والورود في الأصل مما يختص بالأمكنة كالدخول والخروج والجلوس والقفود ، ومعناه الأصلي «إتيان المورد» ثم استعمل في غير ذلك ، وقد أشرنا الى انه يقال «دخل عليه الدار» ومن المعلوم أنه لا يقال «دخلت فلاناً» ولا «دخلني الشيء» فكيف يجوز ان يقال «ورد الكتاب فلاناً ووردني الكتاب» ؟ ومعنى ذلك أن الورود يجب ان يقع على مكان لا على انسان ، فان لم يكن المكان مذكوراً في الجملة فهو محذوف مقدر تقول «ورد علي كتابك» والأصل «ورد على البلد كتابك» أو ما في معناه ، فالمورود هو البلد أو المكان أو المورد أو الحوض والمورود عليه هو الانسان والوارد هو الشيء أو الانسان أو الحيوان ، تقول «ورد القوم ووردت الابل وورد الكتاب» فورود القوم حقيقي وقد يكون مجازياً كما في الكامل المبردي ج ١ ص ١٩٣ من الطبعة المذكورة «فلما ورد به عليه جمل

(١) في مصارع المشاق ص ١٠٨ من الطبعة المصرية «فوقف ينكلم علينا» وفي المتظم لابن الجوزي ج ٧ ص ٨٨ «جلس على كرسيه ... وتكلم على الناس» وكذلك ورد في الرويات ج ١ ص ١٢٧ من طبعة ايران .

(٢) ربما كان هذا الغلط قديماً ففي طوق الحمامة لابن حزم ص ١ «فان كتابك وردني من مدينة المربة» والصواب «ورد علي» ، هذا على اعتداد البارة غير محرقة والا فالذي يتبع أن نلصق محرقة؟ ونبرى، ابن حزم من هذا الغلط؟

عبد الملك لا يسأل عن أمر الوقيعة شيئاً، الا أنباء عرار»، ويقال على المحجاز أيضاً «ورد على بدنك ضرر عظيم» كما في الامتاع والمؤانسة ج ٢ ص ٤٦ ومن الخطأ قول القائل في الوفيات ج ١ ص ٣٤٣ «الواردين على اربل» والقائل في كامل ابن الأثير ج ٩ ص ٢٢٣ «فورد اليها في مائة فارس ونزل النجمي» والصواب «الورادين لاريل» و«فوردها في مائة فارس» . ومن هذا يعلم أن الغلط في استعمال هذا الفعل فاش في لغة الكتاب منذ عصور .

وكان عليّ أن أذكر «تقد عليه وانتقد عليه» قبل ورد عليه ، فأكثر الكتاب بقولون: «تقدت فلاناً وانتقدته»^(١) وهو خطأ والصحيح ما ذكرته ، لأن الفعل أي النقد والانتقاد يقع في الحقيقة على الشيء وما يحل محله بالاستعارة ، ولكون الشيء المنقود ذا صلة بالانسان أي بصاحبه ، حتى استعمال «علي» لافادة الضرر والتعدي - على ما قررته في سابق كلامي - فانك تقول «أضعت عليه حقه وأفسدت عليه أمره وأتلفت عليه تجارته» فلذلك تقول «انتقدت عليه قوله وتقدته عليه» كما تقول «تقضت عليه قوله» ، وكذلك ورد في تاريخ الطبري «سنة ١٦٩ ص ٢١ من الطبعة المصرية وفي غيره من الكتب ، كمجمع الألقاب فيه «انتقد ذلك عليه» وقال ابن جبير «ما انتقدته على الأمراء» ص ١٦١ من طبعة مصر .

ولنقده وانتقده - مستعملين للانسان - معنيان آخران ، فنقده معناه «أعطاه المبلغ تقدماً معجلاً» و «انتقد القوم» أي تعرف حقائقهم كما نقلته في الحاشية من المنتظم لابن الجوزي ، وما أبعد المعنيين عن المراد بقولهم «نقده وانتقده» ولو لم يكن حرف الجر «علي» لجاز أن نقول «تقدته قوله وانتقدته قوله» على الحذف والايصال مثل «كلفته الأمر وأمرته اياه وجنيته تمراً وكتبته برأ

(١) ورد مثل هذا التمييز في الروضتين ج ١ ص ٢٢٤ ولا يصح الأخذ به ، لأنك اذا قلت «انتقدت القوم» شبهتهم بالدرهم تختار جياهما وفي المنتظم ج ٨ ص ٢٥١ «وكان قد انتقد أهل زمانه فاستعمل كل واحد منهم في ما يصلح له» أراد باتقادم معرفة حقائقهم ، ويأتي الانتقاد للاختيار وحد، قال الشاعر «ولم أزل لعيون الشعر منتقدا» كما في الموشح ص ٣٦٨

ووزنته دنائير وأعطيته مالا ومنعته الورود واختار مومي من قومه سبعين رجلاً «
ولكن هذا غير مألوف مع «على» والذي ورد منه في الشعر فشاذاً كقول الشاعر:
تحن فتبدي ما بها من صباية وأخفي الذي لولا الأسالقضياني
وقد ذكر المبرد في أول الكامل أن الشاعر أراد «لقضى علي الموت»
ولكنه جعله «لقضياني» لمعرفته الفصاحة وعلمه بجوهر الكلام، وهيات هيات
يا أبا العباس، لم يكن ذلك إلا من الضرورة التي أوجبها الوزن وحللتها القافية،
فالسجين لا يستطيع أن يقول إني طليق .

وأختتم الكلام على «على» وأفعالها الداخلة في الغلط الشائع بكلمة على
«وزع عليهم» فان كتاب العرب المعاصرين لنا يستعملون «وزع عليهم»
مكان «وزع فيهم» أي قسم فيهم، وذلك غلط قبيح جداً لما قد مناه من افادة
«على» للضرر والتسلط والتكليف، فتوزيع المال على القوم معناه جعله ضريبة
عليهم وتكبيراً^(١)، كما يوزع الحاكم العسكري مالا على قرية عاصية أو قري
عاصية، فاذا أريد قسمته أو تقسيمه في القوم قيل «وزع المال في الناس»^(٢)،
تقول «فرّق المال فيهم وأزاعه فيهم وقسمه فيهم»^(٣) وما إليه، وكما تقول «وضع
عليهم الخراج وضرب عليهم الضرائب وأوجب عليهم الأداة ووظف عليه العمل»
تقول «وزع عليهم مالا» أي كلفهم أداءه فرادى لا جماعة، وقد مضى على
هذا الغلط نصف قرن ولم ينتبه إليه احد، لأن النقد اللغوي والنقد النحوي لم يكونا
مستندين الى القواعد العامة التي أشرت الى جملة منها وسأذكر جملة أخرى منها
في الكلام على الحروف الأخرى وأفعالها وسيكون مستأنف كلامي على «من»
وأفعالها ومن الله تعالى التوفيق والصواب .

مصطفى جواد

(لندن)

(١) وورد بهذا المعنى وهو الأصل في نهج البلاغة «شرح النهج ج ٣ ص ٣٣١»
وراجع أساس البلاغة .

(٢) ورد في نهج البلاغة أيضاً «شرح النهج ج ٣ ص ٣٣١» .

(٣) جاء في تاريخ الطبري سنة ٣٥ ص ١١٣ «قسمها في الناس» .

الموفي في النحو الكوفي

للسيد صدر الدين الكنفراوي الراستنبولي الحنفي

علق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار

وبعد فهذه رسالة موضوعها النحو عند الكوفيين خاصة ، توقف الباحث على مذهبهم في مجمل أبوابه ، وهي مجموعة في هذه العجالة على لطافة حجمها . ولا يخفى ان المذهب الكوفي النحوي ينسب عليه وجوه من القراءات والروايات المتحملة عن الفصحاء والبلغاء ككبي بن وثاب المتوفى (١٠٣ هـ) وعاصم بن أبي السجود (١٢٧) وسليمان الأعمش (١٤٨) وحزمة (١٥٦) والكسائي (١٨٩) ممن اشتهر بالقراءة من أئمة الكوفة . وأما من اشتهر بالرواية منهم فقد خرج الإمام احمد في مسنده لا أكثر من مائة وخمسين محدثاً كوفياً (٢٣٩ - ٣٩١) ج ٤ من المسند . ثم إن مؤلف هذه الرسالة المسماة بالموفي في النحو الكوفي - وهو السيد صدر الدين الكنفراوي الآتية ترجمته ، قد أوجز إيجازاً اضطرنا الى وضع تعليقات على رسالته توضح غوامضها ، وتشرح مقاصدها ، وشواهداها بالكلم الوجيز . ولما كان لمذاهب أئمة النحو أصول وقواعد يرجع اليها ويعول عليها ، رأينا أن تقدم لهذه العجالة بشذرات مقتطفة مما نشره صديقنا العالم الأديب الأستاذ طه الراوي في أصول العربية عند الكوفيين والبصريين ^(١) ، وأنا أوجز القول في تراجم من يرد ذكرهم من الأئمة مع تاريخ وفياتهم ، والله هو الموفق .

محمد بهجة البيطار

* * *

(١) نظرة في النحوي ج ٩ و ١٠ م ١٤ من مجلة المجمع العلمي العربي .

م (٧)

- ٤١٢ -

كلمة الأستاذ الجليل طه الراوي^(١)

تمهيد تاريخي :

عندما اتسعت لأجدادنا رقعة الفتوح ، واتسعت لهم الدولة ضربوا في الأرض وانبسطوا في الآفاق ، وخالطوا صفراء الأمم وحمراءها ، واحتكت لغتهم بلغتهم ، ولم تكد تستقر بهم الحواضر حتى آنسوا فارط اللحن يتمشى في حواشي لغتهم ، ويدب على ألسنة أجدادهم ، فراعهم ذلك ، وعز عليهم أن تطغى المعجمة على لغتهم ، ولغة دولتهم ، بل لغة ملتهم ، التي هي سر نهضتهم ، ومصدر عزيتهم ، فخفرت الحمية القومية ، والغيرة الدينية ، رجالاً منهم لنصرتها والذب عنها . . .

وكان مجي الحلبة في هذا المضمار ، أبو الأسود الدؤلي الكناني أحد أعلام التابعين^(٢) بارشاد من الامام علي رضي الله عنه ، وكان من أرباب البصائر الحية ، فاستعرض طائفة من كلام العرب ، وتوصل الى استخراج طائفة من المسائل ، واستنباط بعض القواعد ، اسماها (النحو) ودونها في صحيفة له ، عرفت عند النحاة بالعلية ، وهي أول كتاب دوّن في علم اللسان العربي .

وبهذا تعلم ان النحو أسبق علوم اللغة وضماً وتدويناً ، والسبب في هذا أن بوادر اللحن وأعراض الفساد هجمت على الإعراب ونظام التركيب ، قبل هجومها على مفردات الكلم وموضوعاتها ، ولذلك احتاجوا إلى وضع قوانين تعصم اللسان والقلم عن اخطأ في نظام التركيب وأصول الإعراب ، قبل احتياجهم الى ضبط مفردات الكلم ، وتحديد موضوعاتها .

(البصريون والكوفيون)

وابو الأسود ، وان كان كوفي المولد ، إلا انه بصري النشأة ، وفي البصرة وضع حجر الزاوية في اساس نحوه ، وكان تلامذته من اهلها ، ولذلك بقي النحو

(١) نشر صديقنا الأستاذ السمي الشيخ محمد هجعة الأثري له رحمه الله ترجمة حاملة في مجلة

المجمع العلمي (ج ٢٤ ص ١) .

(٢) ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الكناني ، رسم له الامام علي شيئاً من أصول النحو ،

لكتب فيه أبو الأسود ، وأخذته عنه جماعة ، سكن البصرة وولي امارتها وتوفي فيها سنة ٦٩ هـ .

ريبياً للبصريين ينتقل في حجور أئمتهم ، الى أن كان عصر الخليل بن احمد الفراهيدي^(١) ، فجمع متفرقه ، وفصل قواعده ، وهذب مسائله ، وأكمل أبوابه ، وتقدم الى سيويوه^(٢) ، وكان من أبه تلامبذه ، وأسماه ممة ، أن يجمع ذلك في كتاب ، ففعل وأبدع ، ماشاءت له قوة درايته وسعة روايته .

وانقل بعض البصريين من النخاة الى الكوفة ، واتخذها دار إقامة له ، وأخذ ينشر النحو بين ظهرانها ، وكان في الطليعة من هؤلاء عبد الرحمن التميمي المتوفى سنة ١٦٤ هـ ثم ابو جعفر الرؤاسي^(٣) ، وعمه معاذ بن مسلم الهراء^(٤) مبدع علم التصريف . وأشهر من تخرج بهؤلاء وأنبئهم علي بن حمزة الكسائي^(٥) ، وكان ممن يحضر في حلقة الخليل ، ثم ضرب في البوادي سنين كثيرة ، بأخذ عن الصميم من أهلها ، ولم يزل يدأب في الجمع والتحرير ، حتى انتهت اليه إمامة العربية في الكوفة ، ولم يتقيد بمذاهب من سبقه في التأصيل والتفريع ، ورسم للكوفيين الحدود التي احتذوا أمثلتها وخالفوا فيها البصريين ، فهو عند الكوفيين بمكانة الخليل عند

(١) امام اللغة والمروض والنحو (المتوفى سنة ١٧٠ هـ) وهو الذي استنبط علم العروض ، واستخرج منها خمسة عشر مجراً ، وهو أستاذ سيويوه ، وعامة الحكاية في كتابه عنه . وكما قال سيويوه : وسأله ، أو قال ، من غير أن يذكر قائله : فهو الخليل ذكره السيرافي .
(٢) امام النحو عمرو بن عثمان المعروف بسيويوه الطارثي ، ولد في إحدى قرى شيراز ، وقدم البصرة ، فترجم الخليل بن احمد وصنف كتابه المسمى (كتاب سيويوه) في النحو ، لم يصنع قبله ولا بعده مثله ، ورحل الى بفسداد فناظر الكسائي ، وأجازته الرشيد بشرة آلاف درهم ، وعاد الى الأهواز توفي فيها سنة ١٨٠ هـ « الأعلام » .

(٣) محمد بن أبي سارة الكوفي ، أول من وضع كتاباً في النحو من أهل الكوفة ، وهو أستاذ الكسائي والفراء ، وكما قال سيويوه في كتابه (قال الكوفي) عن الرؤاسي ، ولقب بذلك لكبر رأسه (توفي سنة ١٩٠ هـ) « الأعلام »

(٤) الكوفي النحوي ، شيخ الكسائي ، توفي عن نحو مائة سنة ، وهو الذي سارت فيه هذه الكلمة :

ان معاذ بن مسلم رجل ليس لميقات عمره أمد

وفي بنية الوعاة : وقد عاش مائة وخمسين سنة ، وكان يبيع الثياب الهروية ، فلذلك قيل له : الهراء !
(٥) أبو الحسن (١٨٩ هـ) امام الكوفيين في النحو واللغة . وأحد القراء السبعة المشهورين : ولد بالكوفة ، واستوطن بفسداد ، وقرأ على حمزة ، ثم اختار لنفسه قراءة ، ومات بالري هو ومحمد ابن الحسن في يوم واحد ، وكانا خرجا مع الرشيد ، فقال : دفنت الفقه والنحو في يوم واحد .

البصريين ، وعلى يده انماز نحو الكوفة عن نحو البصرة ، واحتدم الجدل ،
وتطايير شرر المناقشة بين الفريقين .

* * *

وبالجملة فان مذهب البصرة اضبط قياساً ، واتقن دراية ، ومذهب الكوفة
اكثر تشعباً ، وأوسع رواية ، وأنت ترى أن البصريين في تشدهم وتحكيم
قوانينهم ضيقوا على العربية واسعاً في كثير من المواطن التي تتطلب السعة ، حتى
لقد ضاق النحو الذي قدره بمقاييسهم عن ان يسع نفسه ، وهو في ريعان شبابه ،
ونعومة إهابه ، فوقعوا في تلحين خاصتهم ، وكبار أئمتهم ، فقالوا لحن سيبويه في
كتابه ، ولحن فلان وفلان ، وهم من أئمة هذا الشأن ، بله النقباء والمفسرين
والمحدثين والفلاسفة المتكلمين^(١) .

ولا ينكر أن بعض المتأخرين من النحويين كابن مالك^(٢) وابن هشام
الأصمعي^(٣) ومن تبعهما اتبوا هذا الأمر ، وحاولوا أن يفصموا شيئاً من تلك
القيود التي لا تجتمع والرواية في مكان ، فكان النجاح حليفهم في مواطن كثيرة ،
وبقي على غيرهم أن يتم ما بدأوا به ، ولكنه لم يأت بعد ابن هشام من النحويين
من نهج منهجه في التجديد والإصلاح ، فبقي الأمر محتاجاً الى معالجة ، فهل يوفق
أبناء هذا الجيل للقيام بهذه المهمة ، والنور بهذه الخدمة ، نترك الجواب على
هذا السؤال لأعلام الأدب وأمراء البيان .

طه الراوي

* * *

- (١) أشار الكاتب (رحمه الله) الى أمثلة من ذلك في غضون هذا المقال .
(٢) ابو عبد الله محمد جمال الدين بن عبد الله بن مالك (نسب لجدته لشهرته به) الطائفي ،
الحياني ، كان اماماً في المرية ، ولد في جيان (بالأندلس) وانتقل الى دمشق وتوفي فيها عام (٧٧٢)
ومن مشايخه ابن عيش شارح المفصل ، ومن أخذ عنه الامام النووي ، ويقال انه عناه بقوله
في المتن : « ورجل من الكرام عندنا » .
(٣) جمال الدين أبو محمد ، عبد الله بن يوسف بن احمد بن عبد الله بن هشام من أئمة المرية
مولده ووفاته بمصر (٧٠٨ - ٧٦١) ، قال ابن خلدون : وما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر
بمصر عالم بالمرية يقال له ابن هشام انحى من سيبويه .

ترجمة المؤلف

هو ابوطلحة ، عبد القادر ، صدر الدين بن عبد الله ، بن عبد القادر ، بن عبد الله ، ابن حسن ، الكنفراوي الأصل ، الاستانبولي ، الحنفي ، السلفي . ولد في الآستانة حوالي سنة ثمان وسبعين ومائتين والف هجرية . وتآدب وتخرج بوالده وبشايخه الذين أجازوه ؛ وهم : الشيخ محمد الجوخدار ، والشيخ عبد القادر الاسطواني ، والشيخ محمد الزهادي ، والشيخ بكري العطار ، والشيخ عثمان الخطيب الحنبلّي ، والشيخ توفيق السيوطي ، والشيخ محمد سعيد البائي ، والشيخ محمد عزرة الأيوبي الإستانولي .

تولى القضاء الشرعي في دوما وحمص وفي الآستانة ، كما تولى القضاء القانوني في كثير من الأمصار : فقد كان رئيساً لمحكمة البداية في « قره حصار » من أعمال ولاية إزمير ، وفي بيروت ، وجدة ، ودمشق ، وبغداد ، وطرايزون ، ومناستر ، وقوصوة .

وكانت عضواً في مجلس المعارف بالآستانة ، وأستاذ حكمة التشريع في جامعة الآستانة .

ولم تصرفه أعمال الحكومة والتدريس عن التأليف : فقد ألف باللغتين العربية والتركية عدة مؤلفات في موضوعات مختلفة ، منها :

١ - تاريخ دول الإسلام : كتاب كبير يدخل في عدة مجلدات ؛ بدأه

بالسيرة النبوية ، وأتى فيه على تاريخ جميع الدول والإمارات الإسلامية في الشرق والغرب إلى قبيل وفاة المؤلف سنة ١٣٤٩ هـ . ومزينة هذا التاريخ أفراداً كل دولة في باب خاص على طريقة ابن خلدون مع الإحاطة الدالة على اطلاع واسع ، وتبعم دقيق ؛ والكتاب لا يزال في المسودة بخط المؤلف .

٢ - طبقات المصنفين في العلوم الاسلامية قرناً بعد قرن الى عصر المؤلف :
 قصره على أسماء المصنفين ، وموالدهم ، ووفياتهم ، وذكر مصنفاتهم ، وما تشد
 الحاجة اليه من احوال بعضهم .

٣ - طبقات الحنفية : سلك فيه سبيل طبقات المصنفين .

٤ - مختصر تهذيب الكمال في الحفاظ ، وما قيل في الجرح والتعديل : رتب
 في جداول ، فذكر الصحابة ومن يليهم إلى سنة مئة ، ثم الذين من بعدهم .
 ٥ - مفاتيح كنوز الإسلام : في أسانيد المؤلف في كتب الحديث ،
 والتفسير ، والفقه ، والأخبار ، والرجال ، على سبيل البسط .

٦ - كشف الغمة عن افتراق الأمة : ذكر فيه فتنة المرتدين ومصلحة ،
 وفتنة السبائية ، ومقالات الرافضة ، والوعيدية ، والمبتدعة ، من المرجئة ، والقدرية ،
 والمعتزلة ، والجهمية ، والرد عليها .

٧ - أنساب الأئمة والأئمة عليهم السلام وأنساب العرب والصحابة والخلفاء

والطالبين وبعض الملوك .

٨ - رسالة في النحو .

٩ - الموفي في النحو الكوفي . (وهو هذا)

١٠ - رسالة في العروض .

وله في اللغة التركية مؤلف في أصول الفقه سماه : « الدررمة الى علم الشريعة » .

* * *

كانت وفاته في الآستانة بشهر رمضان سنة ١٣٤٩ هـ . وقد قارب السبعين
 من عمره . رحمه الله .

**

: هذا نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك يا اللهم^(١) على هدايتك الى الصواب ، والصلاة والسلام على أنبيائك
ورسلك ولا سيما محمد سيد الأحاب ، وعلى آله التابعين له وجميع الأصحاب .
(أما بعد) فهذا كتاب « نحو » وضعته على مذهب الأئمة الكوفيين
ومصطلحاتهم ؛ إذ وجدتها أهملت ، وهي تحتاج إلى النظر والنبصر من أهل التأويل ،
والفهاء ، والعلماء . ويبنى عليها وجوه من القراءات^(٢) والروايات^(٣) المتحملة
عن الفصحاء والبلغاء . فجمعتها في غضون كتاب من كتب كثيرة اطّعت عليها
ورتبها على ترتيب كتب المتأخرين ، وسميته : « الموفى في النحو الكوفي » ؛ والله
المسؤول أن ينفع به ويجعله خالصاً لوجهه ، وهو المستعان وعليه التكلان .

(١) قولهم : « يا اللهم » مذهب الكوفيين أن الميم المشددة في اللهم بقية جملة
محدوفة (قالوا) أصلها : يا الله أمناً بخير ، وليست عوضاً عن حرف النداء ،
ولذلك أجازوا الجمع بينهما في الاختيار ، وأما البصريون فلا يميزون الجمع بينهما
إلا في ضرورة الشعر كقوله :

اني اذا ما حدث ألمًا اقول يا اللهم يا اللهم

ولما كانت هذه الرسالة موضوعة على مذهب الكوفيين ناسب أن يشير المؤلف
الى ما ألفت لأجله ، ففيه براءة الاستهلال .

(٢) ذكر الإمام ابن الجزري الدمشقي في طليعة كتاب النشر اسماء من اشتهر
بالقراءة في الأمصار ، وعد من أئمة الكوفة : يحيى بن وثاب ، وعاصم بن ابي النجود ،
وسليمان الأعمش ، وحمزة ، والكسائي ، فهؤلاء من كان يقتدى بهم ، ويرحل اليهم ،
ويؤخذ عنهم ؛ ولتصديهم للقراءة نسبت اليهم .

(٣) اشتهر من أئمة الرواية الكوفيين خلق كثير ، وقد خرج الامام احمد
ابن حنبل في مسنده لأكثر من مائة وخمسين محدثاً منهم رضي الله عنهم
(٢٣٩ - ٢٩١) ج ٤ من المسند .

النحو : علم بأصول يعرف بها أحوال أو آخر الكلم في التركيب . والتركيب : إما بنسبة إسنادية ، لجملة ؛ أو غير إسنادية ، ففصيدي ؛ أو بلا نسبة ، فزجج ؛ والجملة : إما أن تتركب من اسمين كزيد قائم ، أو من فعل واسم كقام زيد ، أو من اسم وحرف ملاحظاً فيه معنى الفعل كيا زيد^(١) .

والاسم معرب وقد يننى لشبه الحرف ، وإعرابه رفع وفتح وجر : فالمتنى بالألف والياء^(٢) كجاء الزيدان ، وضربت كئيبها ؛ فكلا وكنتا مثنيان^(٣) . وجمع المذكر السالم بالواو رفعاً ، والياء نصباً وجرّاً^(٤) نحو : جاءني الأحمدون ، وضربت الطاخين ، وحمل عليه عشرون وبابه^(٥) ، وارضون والسنون وبابه^(٥) . وقد يعرب جمع المذكر

- (١) التقدير : ادعو زيداً ، أو أنادي زيداً فزيد في موضع نصب لأنه مفعول .
 (٢) ذهب الكوفيون الى أن الألف والواو والياء في التثنية والجمع بمنزلة الضمة والفتحة والكسرة في أنها اعراب بمنزلة الحركات ، لأنها الحروف التي اعرب الامم بها كما يقال : حركات الاعراب ، أي الحركات التي اعرب الامم بها . وقال البصريون إنها حروف إعراب وليست باعراب ، لأن هذه الحروف انما زيدت للدلالة على التثنية والجمع فصارت من تمام صيغة الكلمة التي وضعت لذلك المعنى . (٣) ذهب الكوفيون الى ان « كلا وكنتا » مثنيان لفظاً ومعنى ، واصلاهما « كل » فكسرت الكاف ، وخففت اللام ، وزيدت الألف للتثنية ، والتاء للتأنيث ، والالف فيها كالألف في « الزيدان » ولزم حذف نون التثنية منعا للزومها للإضافة ، وقد شرح الأنباري مذهبيهم في (الانصاف) والبغدادي في (الخزانة) ، ورجحا مذهب البصريين في كون « كلا وكنتا » مفردين لفظاً ، مثنيين معنى ، (الانصاف : ص ١٨٢ - ١٨٦ ؛ الخزانة ج ١ ص ١٢٦ - ١٢٩) . (٤) الى التسمين . (٥) المراد يبابه : كل كلمة ثلاثية حذفت لامها وعوضت منها هاء التأنيث ، ولم تكسر ، نحو عضة وعفين ، وعنه وعزيرين ، قال تعالى : « كم لبثتم في الارض عدد سنين » وقال : -

السالم بالحر كات ، نحو : مضت السنين ، وهو قياس عند الفراء ومن تبعه ومنه قوله :

رب حي عرندس ذي طلال لا يزالون ضاربين القباب^(١)

وقوله : « وقد جاوزت حد الأربعين^(٢) . »

ونون جمع المذكر السالم مفتوح ، ونون المثني مكسور ، وبعضهم فتح ، قاله

الشيخان^(٣) ، نحو :

على أحوذيين استقلت عشية فما هي الا لمحّة وتغيب^(٤)

وجمع المؤنث السالم بالضم والجر ، وجوزوا نصبه بالفتحة^(٥) ، إلا هشامًا^(٦) ،

— « الذين جعلوا القرآن عضين » أي مفرقًا لأنهم فرقوا أقوابهم فيه فأمنوا

بما أحبوا منه وكفروا بالباقي فاحبط كفرهم إيمانهم . وقال : « عن اليمين وعن

الشمال عزين » أي جماعات في تفرقة واحدها عزه . (١) حي : قبيلة .

عرندس : قوي شديد . الطلال : الحالة الحسنة وفي قوله : لا يزالون : مراعاة

لمعنى الحي بعد مراعاة لفظه . القباب : جمع قبة ، وهي التي تتخذ من الآدم والخبث

واللبد ونحوها . (والمعنى) : كثير من الأقوياء الذين يستطيعون التناول في

البيان ، لا يزالون يسكنون الخيام ، (والشاهد) في ضاربين ، حيث أثبت النون ،

ولم يحذفها للإضافة ، فلم أنه معرب بالحر كات . (٢) صدره : « وماذا تبغني

الشعراء مني » ، (والشاهد في (الأربعين) بكسر النون على أنها كسرة اعراب

(٣) إماما الكوفة بالنحو واللغة : أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي أحد القراء

السبعة المتوفى سنة ١٨٩ هـ . وأبو زكريا يحيى بن زباد المعروف بالفراء المتوفى سنة ٣٠٧

(٤) هو حميد بن ثور الصحابي الحلالي من أبيات يصف بها قطاة . (أحوذيين)

ثنية أحوذى ، وهو الخفيف في المشي ، والمراد بها هنا القطاة ، والمعنى : طارت

هذه القطاة عشية على جناحين خفيفين ، فما مسافة رؤيتها والنظر إليها وقت الطيران

الا مقدار لمحّة ، ثم تغيب ثانياً ؛ (والشاهد في أحوذيين حيث فتحت نون المثني

وذلك لغة . (٥) حذف لاه أم لم تحذف . (٦) ابن معاوية ، أبو عبد الله —

فلا يجوز إلاّ فيما حذف لامه ^(١) ، كقولهم : سمعت لغاتيم . وإذا كان جمع النسوة . الم عَلمًا يجوز فيه ثلاثة أوجه إعرابه كسائر جمع المؤنث ، وإعرابه كإعراب غير المجري ^(٢) ، وإذا وُقف عليه فبالهاء نحو : جاءت من أذرعاة ؛ وإعرابه كسائر جمع المؤنث بلا تنوين ، كقولك :

تنورتها من أذرعات وأهلها يثرب أدنى دارها نظرًا عالي ^(٣)

وأما المفرد والجمع المكسر فيعرب ^(٤) بالحركات الثلاث إلاّ إذا كان غير مجري فيفتح في الكسر إلاّ ذو وغم وأب وأخ وحم ، فبالحرف ^(٥) إذا أُضيف إلى

- الكوفي ، (٢٠٩) نحوي ضرير من أهل الكوفة من كتبه « الحدود » و « المختصر » و « القياس » وكها في النحو « الأعلام » .

(١) لمشايبته المفرد حيث لم يجر على صنف الجموع في رد الأشياء إلى أصولها ، وجبراً لحذف لامه ، فإن ردت اللام في الجمع نصب بالكسرة اتفاقاً ، كسنوات وشفوات . (٢) الكلمة في الأصل (غير المنصرف) ولكنها مرصع عليها ومعرض عنها بلغظ (غير المجري) وقد تكرر في الأصل هذا التغيير مراعاة لاصطلاح الكوفي والمراد به : (غير المنصرف) . (٣) قاله امرؤ القيس ، والمعنى : نظرت إلى نار هذه المحبوبة بقلبي وأنا بالشام ، وهي بالمدينة ، مع أن الأقرب من دارها يحتاج إلى نظر عظيم لشدة بعدها عن بلدي (والشاهد) في أذرعات ، روي بالجر بالكسرة مع التنوين مراعاة لحال الجمعية ، وبالجر بالفتحة مراعاة للحالة الراهنة وهي العلمية ، وبالجر بدون تنوين مراعاة للحالتين . (٤) في الأصل : يعرب . (٥) ذهب الكوفيون إلى أن الأسماء الستة المعتلة وهي : أبوك ، وأخوك ، وحموك ، وهنوك ، وفوك ، وذو مال ، معربة من مكانين ؛ وذهب البصريون إلى أنها معربة من مكان واحد ، والواو والألف والياء هي حروف الإعراب . أما الكوفيون فاحتجوا بأن الحركات الثلاث تكون إعراباً لهذه الأسماء في حال الأفراد ، نحو قولك : هذا أب الخ . . . فإذا أضفتها بقيت الضمة والفتحة -

غير الياء^(١) (. . . .)^(٢) .

ويجوز قصر غير الأولين^(٣) واعرابها بالحركات ، ومثلها « هن^(٤) » خلافاً للفرء في إعرابها لأنه ناقص .

غير المجرى ما فيه شتان^(٥) من العلل المذكورة ، وهي الف التأنيث^(٦)

— والكسرة إعراباً لها ، (قالوا) وكذلك الواو والألف والياء بعد هذه الحركات تجري مجراها في كونها إعراباً بدليل أنها تتغير مثلها في حال الرفع والنصب والجر فنقول : هذا أبوك ورأيت أباك ومررت بأبيك ، فالضمة والواو علامة للرفع ، والفتحة والألف علامة للنصب ، والكسرة والياء علامة للجر ، فدل ذلك على أنها معربة من مكانين .

وتتمة البحث في كتاب الإنصاف ، (ص ٦ - ١٢) وفيه تفصيل المذاهب

واللغات ، وذكر الحجج والاستدلالات . واختصار مؤلف هذه الرسالة (رحمه الله)

محل بالمقصود . (١) فإن كانت الإضافة للياء أعربت بالحركات المقدره نحو :

وأخي هارون . (٢) كلمة مبهمة لم يوفق الى حلها . (٣) أي غير (ذو وضم)

فان اعراب الأول منها بالأحرف متعين ، والثاني بغير الميم متعين أيضاً .

(٤) أي محذوف اللام ، وهو الواو ، فيعرب بالحركات . قال الأشموقي : ولقلة

الإتمام في (هن) أنكر الفراء جوازه ، وهو محجوج بحكاية العرب . ومن حفظ

حجة على من لم يحفظ . (٥) أي فرعتان من العلل التسع ، إحداهما ترجع

الى اللفظ ، والثانية الى المعنى ، وهما تؤثران باجتماعهما ، واستجماع شرائطها فيه

أثراً سيجي ذكره ، أو علة واحدة منهما تتوهم مقامها ، بأن تؤثر وحدها تأثيرهما ،

هذه العلل مجموعة في هذين البيتين :

عدلٌ ووصفٌ وتأنيثٌ ومعرفةٌ وعجمةٌ ثم جمعٌ ثم تركيبٌ

والنون زائدة من قبلها الفٌ ووزن فعلٍ ، وهذا القول تقريبٌ

(٦) أي مقصورة كانت أو مدودة ، ويتنوع صرف مصحوبها كيفما وقع ،

أي سواء وقع نكرة ذكرى وصحراء ، أم معرفة كرضوى (اسم جبل بالمدينة) —

قائمة مقام طنين^(١) .

والجمع قائم مقام طنين ؛ شرخه ان يكون على وزن فواعل او مفاعيل^(٢)
وله في الأصل كخضاجر^(٣) ، او في التقدير كسر اوبل^(٤) .

- وز كريات ، أم مفرداً ، كما تقدم ، أم جمعاً كجرحي وأصدقاء ، أم اسماً كما تقدم ،
أم صفة كحيلي وحمراء ، قال ابن مالك رحمه الله :

فألف التأنيث مطلقاً منع حرف الذي حواه كيفما وقع

(١) إنما استقلت بالمنع لأن في المؤنث بينها فرعية لفظية من جهة التأنيث ،
ومعنوية من جهة لزومها . (٢) وضابطه : كل جمع فتح أوله وكان ثالثة
الفاء ، - ليست عوضاً - وبعدها حرفان ، او ثلاثة ، او سطرها ساكن ولم يبنو
بذلك الساكن وبما بعده الانفصال ، وبعدها ايضاً كسر اصلي ، ولو تقديراً كدواب
وعذاري ، فإذا كان الجمع بهذه الصفة استقل بالمنع لأن فيه فرعية اللفظ ،
بمخروجه عن صيغ الآحاد العربية لفظاً وحكماً ؛ وفرعية المعنى بدلالته على الجمعية .
وإذا اتنى أحد الشروط المتقدمة صرف ، كعذافر (الجل الشديد) لمضموم
الاول ، وصلصال لما الفه غير ثالثة ، ويان وشأم لأن الألف عوض عن إحدى
ياءي النسب ، فان اصلها يني وشامي ، حذفوا إحدى الياءين تخفيفاً وعوضوا عنها
الألف ، ثم أعلل إعلال قاض ، وتدارك لما ليس بعد الفه كسر ، وتدان وتوان
لما الكسر فيه غير اصلي ، إذ اصله الضم وكسر لمناسبة الياء ، وطواعية وكرامية
لمتحرك وسط الثلاثة بعد الألف ، وظفاري ورياحي للساكن المنوي انفصاله
لأن الياء فيها عارضة للنسب ، بخلاف قماري وبخاتي وكراسي ، فان الياء في
المفرد . والى الجمع المذكور اشار الناظم بقوله :

وكل جمع شبه مفاعلا او المفاعيل لمنع كافلا

(٣) اي ان صيغة مفاعل ومفاعيل لا تكون في العربية الا لجمع كخضاجر ،
او منقول عنه كسر اوبل ، فليل انه اعجمي حمل على موازنه من العربي ، وقيل انه
منقول ، اي ان سراويل كان جمع سر والة ، فنقل من الجمعية الى تسمية المفرد -

(المزبدتان) ^(١) تشترط العلمية في الاسم ، وانتفاء فعلانة في الصفة ^(٢) وقيل وجود فعلى ^(٣) ولم يشترط الفراء الزيادة ومنع سنان .
و «الوصف» الأصلي لا يعتبر مع العلمية نحو أحمر ^(٤) و «وزن الفعل» شرطه

— الجنسي به ، فمنع من الصرف لشبهه بالجمع في الصيغة المتبصرة وإن كان مفرداً (راجع شروح الألفية وحواشياها عند قوله :

ولسراويل بهذا الجمع شبه اقتضى عموم المنع)

(١) المزبدتان : هما الألف والنون ، وعلامة زيادتهما سقوطهما في بعض التصاريف ، كما في نسيان وكفران إذا رداً إلى نسي وكفر . (٢) أي يمنع الاسم من الصرف للصفة وزيادة الألف والنون ، بشرط أن لا يكون المؤنث في ذلك مخموماً بتاء التأنيث نحو عطشان وغضبان ، لأنك تقول : امرأة عطشى وغضبي ، ولا تقول عطشانة ولا غضبانة ، فإن كان المؤنث على فعلانة صرف ، فتقول : رأيت رجلاً عطشاناً وامرأة سيفانة . (٣) مثاله : حيان - الكبير اللحية - لا مؤنث له ، فمن لم يشترط لمنع صرف (فعلان) إلا انتقاء (فعلانة) منعه من الصرف كما تقدم ، ومن اشترط وجود (فعلى) تحقيقاً ، صرفه ، والصحيح عند المؤلف الأول ، لأنه (رحمه الله) أورد الثاني بصيغة التضعيف «قيل» وقال الأشموني والصحيح منع صرفه وعلق عليه الصبان بقوله : هذا يخالف قول أبي حيان : إن الصحيح فيه صرفه لأننا جهلنا النقل فيه عن العرب ، والأصل في الاسم الصرف ، فوجب العمل به اه . قال الصبان : «فهذه المسألة مما تعارض فيها الأصل والغالب فتنبه» أي لأننا لو فرضنا له مؤنثاً لكان فعلى أولى به من فعلانة ، لأن باب فعلان فعلى ، أوسع من باب فعلانة ، والتقدير في حكم الوجود . (راجع الأشموني والصبان ج ٣ ص ١٥١) . (٤) أحمر ممنوع من الصرف للوصف الأصلي ووزن الفعل ، لأن هذا الوزن أصل في الفعل وهو به أولى ، لأن أوله زيادة تدل على معنى في الفعل دون الاسم ، وما كانت زيادته لمعنى أصل لغيره .

أن يخصه (١) ، أو في أوله زيادة الفعل غير قابل للتاء نحو أحمد (٢) و «العدل» ومنه وزن مثني وثلاث (٣) .
و «العجمة» شرطها أن تكون علماً في الأصل زائداً على ثلاثة أحرف أو متحرك الوسط (٤) .
و «التأنيث» لفظي ومعنوي بشرط العلمية ، وشرط تحتم تأثيره في المعنوي العجمة (٥) ، أو زيادته على ثلاثة أحرف خلافاً لابن الأنباري (٦) أو تحرك الوسط ، أو أن يكون امم بلدة عند الفراء ، أو أن يكون مؤنثاً في الأصل

(١) نحو أحيمر وأبيض من المصغر ، فإنه لا ينصرف ، مع أنه ليس على وزن أفعل ، لكنه على وزن متأصل في الفعل كأبيطر مضارع يطر - إذا عاج الدواب - ، ولهذا قيل إن الأولى تعليق المنع على وزن الفعل الذي هو به أولى لا على وزن أفعل . (٢) أحمد كأجر في كون الزيادة في أوله تدل على معنى في الفعل دون الاسم . (٣) على وزن مفعل وفعل ، وهو إلى الأربعة بالاتفاق نحو قوله تعالى : « أولي أجنحة مثني وثلاث ورباع » وفي الباقي على الأصح ، وهي معدولة من الفاظ العدد الأصول مكررة ، فأصل جاء القوم أحاد جاؤوا واحداً واحداً ، وكذا الباقي ، فعدل عن هذا المكرر إلى أحاد اختصاراً وتخفيفاً (راجع تنمة البحث في منار السالك إلى أوضاع المسالك ج ٢ ص ٢٦٢) . (٤) المراد بالأعجمي ما عدا العربي ، قال ابن مالك رحمه الله :

والعجمي الوضع والتعريف مع زيد على الثلاث صرفه امتنع
(٥) العجمة لا تستقل بالمنع في مثل ماء وجور من الثلاثي (اسما بلدتين) ولكن انضمامها إلى العلمية والتأنيث يحتم المنع بهما ، فهي مقوبة للتأنيث لا غير .
(٦) هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري ، من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة ، ومن أكثر الناس حفظاً للشعر والأخبار ، توفي سنة ٣٢٨ هـ .

سُمي به مذكر عنده، وتعلب^(١) .

و «المعرفة» بشرط العلمية، والتركيب بلا نسبة^(٢) بشرط العلمية، او اذا نكرة^(٣) ما فيه علمية مؤثرة اجري له إذا سمي بالوصف الأصلي . او اذا نكرة^(٤) الوصف الأصلي المسمى به فالاعتماد انه يجري ايضاً إلا اذا كان اعتبار الوصفية من وجه كأحمر إذا سمي به رجل احمر^(٥) . قاله الفراء وابن الأنباري . ويقاس عليه سكران إذا سمي به رجل مدمن، وقد يجري غير المجري للضرورة^(٥)، او للتناسب^(٦)، إلا اسم التفضيل الذي بعده «من»^(٧) والمجري

(١) ابو العباس احمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني، إمام الكوفيين في النحو واللغة، كان راوية للشعر، مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة، ثقة حجة، ولد ومات في بغداد (٢٠٠ - ٢٩١ هـ) . (٢) المراد بالتركيب بلا نسبة هو تركيب المزج بأن يجعل الاسمان اسماً واحداً، لا بإضافة ولا بإسناد، بل ينزل عجزه من الصدر منزلة تاء التأنيث . (٣) كذا بخط المؤلف ولعله : وإذا نكر ما فيه علمية الخ . . . وإذا نكر الوصف الخ . . .

(٤) قال الأشموني : « . . . والثالث إن سمي بأحمر، رجل احمر، لم ينصرف بعد التنكير، وان سمي به اسود او نحوه انصرف، وهو مذهب الفراء وابن الأنباري» وانظر هذا البحث في الأشموني والصبان عند قول ابن مالك رحمه الله :

(. . . واصرفن ما نكرا من كل ما التعريف فيه أثرا)

ص ١٢٨ ج ٣ (٥) كقول امرئ القيس : « ويوم دخلت الخدر، خدر عنيزة» وعنيزة ابنة عمه وهنا الشاهد، لأنه صرف للضرورة، مع أنه يمنع من الصرف للعلمية والتأنيث . (٦) كقراءة نافع والكسائي : «سلاملاً وقواريراً» . (٧) قالوا لأن حذف تنوينه لأجل (من) فلا يجمع بينهما، ومذهب البصريين جوازه لأن المانع له إنما هو الوزن والوصف كأحمر لا (من) ، بدليل صرف : (خبر منه وشر منه) لزوال الوزن .

قد لا يجرى اضطراراً^(١) واختياراً هو اختيار ثعلب . والمنقوص نحو جوار
ليس تنوينه للإجراء وقد يجري المنقوص مجرى الصحيح نحو قاضٍ إذا سمي
به مؤنث .

محمد بهجة البيطار

(يتبع)

مطابقاً

(١) قال الأشموني : واجاز ذلك الكوفيون والأخفش والفارسي ، وأباه
مائر البصريين والصحيح الجواز ، واختاره الناظم لثبوت سماعه ، (وذكر
شواهد له) وإلى ما تقدم أشار ابن مالك بقوله :
ولا اضطرار أو تناسب صرف ذو المنع ، والمصروف قد لا ينصرف

البلاغة بين اللفظ والمعنى

« من عصر الجاحظ الى عصر ابن خلدون »

اختلف القدماء في تعريف البلاغة وتحديد مفهومها . ذلك لأنها في حقيقتها ليست إلا الجمال في الكلام ، أو كما قال أحد الباحثين في البلاغة قديماً : « هي أداء كنهه ما في نفس المتكلم الى السامع بأجمل عبارة » ، والجمال يقر بوجوده دائماً ويختلف في تعريفه وتحديد درجته وفي وضع القواعد له ؛ وكان عصرها الرئيسيان عندهم اللفظ الفصيح والمعنى الشريف ، وكان بعضهم يرجع جانب المعنى كما كان بعضهم يرجع جانب اللفظ ، على ان هذا الاختلاف كثيراً ما كان ظاهرياً شكلياً فقط ، وكثيراً ما كانوا متفتحين في فهم وتدقيق الكلام البليغ والحكم عليه ؛ وإنما كان يرجع الاختلاف في مثل هذه الحالات الى ان بعضهم كان يدخل في عنصر اللفظ ، ما يجعله بعضهم تابعاً في حقيقته الى المعنى . فالوسائل البلاغية التي تدخل في تحسين نظم الكلام يعدها الجاحظ وغيره اموراً لفظية ، ويأبى عبد القاهر الجرجاني إلا ان تكون اموراً معنوية . وليس هنا مكان التفصيل في هذا ، وسأأتي في مناسبة ، واكتفي الآن منه بالإشارة . وقد يكون هذا الاختلاف أكثر اصالة واعمق عند آخرين ، فيرى بعضهم ان الشأن كله في البلاغة للمعنى الكريم الجميل ، من حكمة وغيرها ، بينما يرى بعضهم الآخر ان الشأن كله للفظ فيولونه العناية ولا يكون المعنى عندهم إلا تبعاً له ، ونرى غير اولئك وهؤلاء قوماً يرون ان البلاغة لا تتحقق إلا بكامل العنصرين اللفظ والمعنى ، وان الذي يوفق بينهما هو حسن السبك وجودة النظم .

وكل تعريف من التعاريف التي اوردوها - وسنراها عند الكلام على كل من المؤلفين الذين سيتناولهم البحث - بل كلها مجتمعة لا تنفي في بيان ما تقصده من

م (٨)

— ٤٣٣ —

لفظ البلاغة وما تفهمه منه الآن ، باعتبار أنها جمال الأداء في الكلام الأدبي من شعر وثر . والتعريف الشائع في كتب البلاغة المتداولة بين أيدينا الآن ، وهو ان البلاغة موافقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته ، تعريف ناقص لا يفي بالغرض ؛ فهو غير جامع ولا مانع وليس إلا وصفاً واحداً من جملة اوصاف يجب ان تتوفر لتكوّن عناصر الكلام البليغ - باعتباره مرادفاً للجميل - وهذا التعريف يمكن ان يدخل في الأدب ما ليس منه ، فالنص العلمي الفصيح الكلمات الموافق لمقتضى الحال باعتبار انه يقال في مناسبة علمية ، كالنصوص التي تتحدث عن شرح نظريات الطبيعة والكيمياء ، ليست نصوصاً ادبية ، ولم تتوفر فيها عناصر البلاغة ، برغم انها فصيحة وافقت مقتضى الحال ، وجملة آيات من القرآن الكريم او قصة مترجمة لتولستوي او قصيدة للبحري ، توصف بالبلاغة ، ولكن موافقة مقتضى الحال والفصاحة ليسا كل ما فيها ، بل فيها عناصر اخرى ربما كانت اهم منها ولم يشر اليها هذا التعريف في كثير ولا قليل ، وربما كان هذا التعريف « البلاغة هي اداء كنه ما في نفس المتكلم الى السامع بأجمل عبارة » خيراً منه ، واكثر دلالة على المراد بلفظ البلاغة .

ونحن الآن ، وبعد ان مضت على هؤلاء المؤلفين الذين ندرسهم قرون عديدة نضج خلالها الفكر وتطور وتقدم كثيراً ، وبعد ان انصلنا بأفاق جديدة أطلعتنا على ألوان من الآداب الغربية والشرقية لم يكونوا يعرفونها ، كفن القصة وفن الأدب التمثيلي ؛ لم نعد نكتفي بمفهومهم للبلاغة ولا نقنع بتعريفهم ، بل اتسع مفهومنا عن البلاغة او فن القول الجميل ، وأصبحنا ندرك منها عناصر بارزة تفصل الكلام فيها ، وكانوا هم إما بين مكثف بالاشارة اليها باختصار ، أو مهمل لها تماماً ، وذلك كعنصري العاطفة والخيال .

والواقع أننا الآن لا نعد القطعة الادبية قد استوفت جمالها إلا إذا حوت عناصر اربعة هي الفكرة والعاطفة والخيال والأسلوب وكانت فيها هذه العناصر

قوية متناسبة وننظر الى هذه القطعة - صغرت أو كبرت - على أنها صورة لتجربة نفسية للأديب ترجع في كل الأحوال الى تفاعل نفس الأديب مع الطبيعة التي لا تفارقه ، ونرى أن هذا الأديب تزداد بلاغته كلما ازدادت قدرته على نقل هذه التجربة الخاصة به اليها بحيث يجعلنا نعيش نفس تلك اللحظة التي عاشها ونشعر بنفس التجربة ، وعلى هذا فهو مضطرب ، في اظهار الفكرة التي عصفت بـ عقله والعاطفة التي حركت شعوره فألهب فيضها خياله الى ان يجمع من مرئياته الماضية المختزنة في ذاكرته ولاشعوره صوراً واضحة متصلة تساعد على ابراز كل المشاهد المادية والحالات المعنوية بأمانة ، وانما يبرزها مستعينا بالأسلوب الخاص به ، والذي هو قطعة من نفسه ، بل هو صورة عنها ، واضح بوضوحها ، مرتبك بارتباكها ، مظلم بإظلامها ، راقص بطربها ، باكٍ بغمها وكدرها . ومن هنا كان لكل أديب أسلوب غير أسلوب الآخر ، والفاظ خاصة به غير الفاظ الآخر ، وكانت الألفاظ بصورة خاصة صورة لمزاج الأديب ، نغمة اذا كان كبير النفس او متكبراً متعظماً ، سهلة اذا كان دمث الأخلاق ، موسيقية اذا كان مرحاً نشيطاً يرى الدنيا له ضاحكة ، وانما يشرق ضحكها من نفسه .

والفكرة في البلاغة العربية والنقد الأدبي العربي لم ينظر اليها على أنها تنتظم الموضوع من أوله الى آخره ، لأن القصيدة العربية نفسها لم يكن لها فكرة عامة ، وسور القرآن الكريم كلها - الا بعض سور منه فقط - لم تكن تدور حول فكرة واحدة عامة تنتظمها ، وانما كانت القصيدة مجموعة افكار ، قد تكون متباينة وقد تكون غير مترابطة ، جمع بعضها الى جانب بعض وكان لهذا كل بيت مستقلاً بفكرة بل كثيراً ما يشتمل البيت على معنيين ويعتبر لذلك أبلغ ، وكذلك الأمر اذا كثرت فيه التشبيهات ولم يحتاج معناه الى ان يكمل في البيت الثاني وذلك لأن العقل العربي يمتاز بالتعبير عن فكرته بايجاز ، ويميل الى ذلك ، ويكره الاسهاب .

والعاطفة لم يفردها البلاغيون في البحث ولم يجعلوها ضمن أبحاثهم ، كما أن النقاد لم يوفوها حقها ، والشاعر العربي في التعبير عن عاطفته مثله في التعبير عن فكرته يميل الى الايجاز وعدم اللف والدوران ؛ واخيال الخالق الواسع مفقود عند العرب الأقدمين ، ولم يعرفوا الا اخیال التصويري القريب المتناول الذي يقتصر على التشبيه والاستعارة وقد سماه بعض من تكلموا في البلاغة بصور تأدية المعنى - كعبد القاهر - أو بالتصوير - كالجاحظ -

والأسلوب عبر عنه العرب بالنظم تارة أو بالسبك أو بالتأليف أحياناً أخرى وجعلوه قائماً على علم النحو وعلم المعاني بما فيه من تقديم وتأخير وإيجاز وإطناب وفصل ووصل كما جعلوه متصلاً بعلمي البيان والبديع . وجعلوا وظيفته تأدية المعاني بترتيب الألفاظ ترتيباً مخصوصاً مراعى فيه قواعد علم النحو بمعناه الواسع ، كما فهمه عبد القاهر الجرجاني - وصنرى ذلك - وجعلوا للألفاظ وظيفة مزدوجة : من حيث نطقها مفردة ، وتلاؤها مجتمعة وموسيقاها - وهذا ما عبروا عنه بالفصاحة - ومن حيث حسن وضعها في مواضعها لتدل على المعاني ، وقالوا ما معناه ان أسلوب الكلام يجب ان يختلف باختلاف المقام ، وكان قسم كبير منهم يقول ان البلاغة الإيجاز ، وذلك لفكرهم الإيجازي كما قدمت .

فلا بد اذن حين مقارنة تعاريفهم للبلاغة وعلاقتها باللفظ والمعنى بما نفهمه نحن الآن من لفظ « البلاغة » من مراعاة طبيعة الأدب العربي نفسه الذي يتطلب وضع قواعد بلاغية خاصة لتلائمه ، ولا يمكن ان تنطبق عليه قواعد البلاغة والنقد الحديثة انطباقاً تاماً او واسعاً ، لانفراده عن الآداب الأخرى بصفات مميزة فارقة ، والا وقعنا في الخطأ ، وكل ما يجب ان نعمله هو أن نستأنس بقواعدنا الحديثة استئناساً يكمل ما كان في امكان العرب ان يكملوه في تعاريفهم البلاغية ، ولا نجور فنكلف قوماً بما لم يكن مستطاعاً في زمانهم .

وكانت تدور المعركة بين فريقين منهم - ولا سيما بين عبد القاهر وخصومه -

حول نظم الكلام ، هل يراعى فيه ترتيب المعاني في النفس فتكون المعاني النحوية - وبالتالي الألفاظ - خدماً لتأديتها وصوراً لترتيبها في النفس ، أم تراعى فيه الألفاظ باعتبار تلاؤمها في النطق وفي الموسيقى ، وسنرى كيف يشن عبد القاهر لذلك حرباً شعواءً على خصومه . وبلاحظ ان المؤلفين قد اختلفوا في مدلولات الفاظ الفصاحة والبلاغة والبيان ، وكثيراً ما كان أحدهم يقصد باحداها ما يقصد غيره بالأخرى مما سيبين في حينه كما يلاحظ ان مما يعلق الباحث عدم تنظيم هذه الأبحاث وغيرها في كتب هؤلاء المؤلفين ، وكثير منهم يكررون الحديث فيها أكثر من مرة ، ويضطربون فيها ، فينقضون ثانياً ما اقروه أولاً ، وكثيراً ما يأخذ أحدهم عن الآخر شيئاً دون ان يعمل فكره فيما يأخذ فيأتي بعد صفحات بتقيضه بعد أن كان قد حبذه - كأبي هلال العسكري مثلاً - وأظن ان العامل في هذا الاضطراب هو اختلاف الامثلة البليغة التي تعرض لهم ، من حيث تناسب عناصر البلاغة فيها كثرة وقلة ، فقد تغلب فيها عناصر اللفظ او عناصر المعنى او العاطفة . وهذا يتطلب مرونة في قواعد البلاغة ، ولما كان أكثر هؤلاء المؤلفين يوردون اقوال من سبقوم فيتعرضون لها بالنقد او الموافقة ، او يتركونها بدون تعليق ، ويذكرون في ثنايا ذلك او بعده او قبله آراءهم الخاصة دون ان يتبعوا في ذلك نظاماً ، آثرت في دراسة رأي المؤلف أن اذكر الآراء التي ذكرها لغيره ، وما اخذ منها وما تعلق به عليها ، ثم رأيه صريحاً - اذا ذكره - ، وردّه على من يخالفه بعد ذكر نظرية المخالف ، ثم اورد تقدي رأيه . وابدأ بالجاحظ .

* * *

الجاحظ

توفي عمرو بن بحر الجاحظ في سنة ٢٥٥ هـ وهو أسبق المؤلفين الذين سندرست هذا البحث في كتبهم زمننا ، وكتابه البيان والتبيين فيما وصل الينا ، هو الكتاب الأول الذي يتناول ما يتصل بعلم البلاغة من الأبحاث في اللغة العربية ، ولبني

هو الوحيد بين كتب الجاحظ التي يتناول فيه مثل هذه الأبحاث فقد تناولها أيضاً في كتابه الحيوان الذي أورد فيه خلاصة رأيه في البلاغة . وسبق هذا الكتاب عهداً يظلمنا على الأفكار الأولى التي قيلت في هذا الموضوع والتي هي مستمدة من واقع الحال والبيئة ومفهوم أهل ذلك العصر عن روح البلاغة فهو يصور أذن مرحلة من مراحل تطور مفهومها الذي لا شك في أنه اختلف وسيختلف باختلاف الزمان والبيئة . ذلك لأن نظرة الناس للجمال سواء المادي منه والمعنوي ليست ثابتة . فعصر يرى ادبائه أن جمال الكلام في الإيجاز ، وعصر تكون البلاغة فيه في الاطناب وقوم يفضلون جانب المعنى وآخرون يؤخذون بجمال اللفظ ، وقد يكون رأي الأديب في البلاغة رد فعل قوي لفكرة في البلاغة سائدة في عصره قد وصلت الى حد المبالغة ، وخشي منها على الذوق الفني والجمال الأدبي ، فيناصر الفكرة المعاكسة بفريزته . وذلك يؤدي الى حفظ التوازن نوعاً ما في الأذواق العامة .

على أن كتاب الجاحظ إذا كان له ميزة التقدم ففيه سيئة الاستطراد وعدم التنظيم ، فهو يأخذ في الفكرة وبعيد ، ويتكلم عنها في عدة أماكن ، ويفصل بين فصولها والأحاديث عنها بأحاديث غريبة لا صلة لها بها ، ويتمع الباحث في تتبعه ودراسة فكرة معينة عنده ، وهذا شأن الجاحظ في كل كتبه وفي كل الأبحاث التي يتناولها فيها ، وذلك راجع الى أنه كان كدائرة معارف ثقافية وأدبية في عهده ، فيها كثير من التفكير كما فيها جانب عظيم من الفوضى وعدم التجريد والتحديد والتنظيم والى أنه كان يعمد الى خلط الجدل بالملز ، ولهذا لا نراه في كتابه يأخذ فكرة معينة فيشبعها بحثاً وينتهي منها ثم ينتقل الى غيرها وإنما يستطرد خلال الحديث عنها الى غيرها في أحاديث طويلة تنسي القاري ما كان فيه أولاً وما هو بصدد تمحيصه ودرسه . وكان عصر الجاحظ عصر ازدهار علم الكلام والخطابة العباسية كما كان عصر ازدهار الكتابة في قصور الخلفاء وكان

الجاحظ شديد الاتصال بهذا الوسط ، ولهذا نراه يتحدث عن آراء هؤلاء المتكلمين والخطباء والكتاب في البلاغة المتعلقة بالخطابة والكتابة أكثر مما يتحدث عن البلاغة في الشعر . والمقاييس البلاغية وإن كانت في الجانبين متقاربة إلا أن كثرة حديثه في جانب الكتابة والخطابة له صلة بحياته العقلية والفنية متكافئاً وكتابياً . ولهذا نراه يمدح المتكلمين من الكتاب كثيراً ويرى أن طريقةتهم في الكتابة هي المثلى .

ولما كان كتاب الجاحظ فاتحة لغيره من الكتب في الحديث عن البلاغة فإننا نرى أن المصطلحات المستعملة في هذا الفن لم تكن قد حددت مفاهيمها بعد بدقة ، ولذلك نرى أن الجاحظ يستعمل كثيراً ألفاظ البلاغة والفصاحة والبيان كترادفات تدل على معنى واحد بينما نراها في العصور المتأخرة قد تمايزت مدلولاتها ولم يعد من داع لأن يلتبس معنى أحدها بمعنى الآخر فكثيراً ما يستعمل الجاحظ الفصاحة بمعنى البلاغة . والمثال على عدم استقرار هذه المعاني الاصطلاحية عنده استعماله المتعددة لكلمة بيان في كتابه البيان والتبيين^(١) ففي ص ٨ و ص ٤٠ و ص ٤٣ من الجزء الأول يستعمل كلمة بيان في مقابل كلمة العبي وبمعنى سلامة النطق وحسن تأدية الحروف وفي ص ٩ و ص ٤٣ من نفس الجزء يستعملها بمعنى الفهم والافهام وفي المعنى الذي استعملها فيه القرآن من إظهار الضمير والتعبير عن النفس في قوله : « خاق الانسان علمه البيان » . وفي ص ٥٩ من الجزء الأول يستعمل الكلمة بمعنى البلاغة حينما يورد إجابة جعفر بن يحيى لمن يسأله ما البيان يجواب ينطبق على ما يراد بالبلاغة ، ويؤيد الجاحظ هذا المراد بإيراده أن جواب جعفر منطبق على قول الأصمعي في البلاغة . وفضلاً عن هذا فإننا لا نراه يتحدث عن كل ما تبحث فيه كتب البلاغة المتأخرة من تشبيه واستعارة وجناس وحشو أو يعقد لها فصولاً خاصة وذلك لأن هذه الأبحاث

(١) ملاحظة : أشرت الى أمكنة وأزمنة طبع الكتب التي استعيت منها في نهاية البحث عند ذكرني المراجع ولهذا لن أذكرها مع المراجع في خلال البحث .

لم تكن قد نضجت بعد ، ثم لأن غرضه من كتابه لم يكن يستهدف شرح مثل هذا ، وإنما هو مجرد عرض لآراء ، وأفكار أدبية سريعة في بداية مراحلها ينقصها العمق والتوجيه . وأكثر ما نراه يولع به في كتابه وبوليته العناية هو الحديث في فصاحة الألفاظ ، وكيف يجب أن تخلو من التعقيد والتنافر وعدم الألفة والفراية والسوقية ثم الاكثار من مدح الايجاز والوضوح ومراعاة المقام في الكلام وإعطاء كل موضوع ما يلائمه من الألفاظ . وقيل التمرض لرأي الجاحظ نفسه في البلاغة بين اللفظ والمعنى يحسن ايراد ما ذكره هو من أقوال الناس قبله في البلاغة وفي اللفظ والمعنى بصورة خاصة ، وذلك بأكثر ما يمكن من الاختصار ، ليستأنس بها ويتبين مدى تأثيره بعصره وبما حفظه ورواه سواء أكان هذا التأثير إيجابياً أم سلبياً .

ذكر الجاحظ في (ص ٢٦ ج ١) من البيان والتبيين رأي معاصره ابي داود ابن جرير في الخطابة المستحسنة وخلاصته أن تلخيص المعاني رفق وأن الواجب ترك الغريب وان يهأ الخطابة تخير اللفظ .

وذكر في (ص ٤٩ ج ١) قولاً لابراهيم بن محمد في البلاغة بتلخيص في أنها حسن التأدية بحيث لا يفهم السامع من سوء إفهام الناطق ولا الناطق من سوء فهم السامع .

وأورد للبلاغة اربعة تعاريف لأربعة رجال من أمم مختلفة ، لثقافتها اتصال وثيق بالثقافة العربية حينئذ ، وهي الفرس واليونان والروم والهند (ص ٤٩ ج ١ من البيان والتبيين) فقال : « قيل للفارسي ما البلاغة ؟ قال معرفة الفصل من الوصل ، وقيل لليوناني ما البلاغة ؟ قال تصحيح الأقسام واختيار الكلام وقيل للرومي ما البلاغة ؟ قال حسن الاقتضاب عند البداهة والغزارة يوم الاطالة ، وقيل للهندي ما البلاغة ؟ فقال وضوح الدلالة واتمهاز الفرصة وحسن الاشارة » . ثم قال وقال بعض أهل الهند : « جماع البلاغة البصر بالحجة والمعرفة بموضع الفرصة ، ثم قال

- أي بعض أهل الهند - : ومن البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة أن تدع الافصاح بها الى الكتابة عنها اذا كان الافصاح أوعر طريقة وربما كان الاضراب عنها صفحاً أبلغ في الدرك وأحق بالظفر .

وبذكر (ص ٥٢ ج ١ البيان والتبيين) الصحيفة الهندية التي دفعها ابن الأشمث للتراجمة ليرجموها الى العربية وفيها صفات الخطيب الحسن وتتلخص في أن يكون حائزاً على الصفات الشخصية من نفسية وجسمية التي تعينه على الخطابة والتأثير في الناس وأن يكون متخير اللفظ بلائم بين المقام والمقال ، لا يدقق المعاني كل التدقيق ولا ينقح الألفاظ كل التنقيح الا حين الكلام مع الفلاسفة ، وأن يحسن لفظه تأدية معناه ، ويكون كلامه حسن الارتباط خالياً من التناقض ، ولفظه موثقاً وأن يفهم كل قوم بقدر طاقتهم .

وبذكر رأى ابراهيم بن هاني (ص ٥٢ ج ١ : البيان والتبيين) في اللفظ والمعنى ومؤداه أنه ليس من لفظ يسقط أبداً ولا من معنى يبور أبداً حتى لا يصلح لمكان من الاماكن .

ونرى في (ص ٥٤ ج ١ من نفس المرجع) أعرابياً يعرف البلاغة بأنها الایجاز في غير عجز ، والاطناب في غير خطل .

ويصف ثمامة بن أشرس جعفر بن يحيى بالبلاغة (ص ٥٨ ج ١) فيقول إنه لا يرتقب لفظاً قد استدعاه من بعد ، ولا يلتمس التخلص من معنى قد استعصى عليه طلبه .

ويصف جعفر بن يحيى البيان (ص ٥٨ ج ١) بما معناه أنه كمال التأدية مع الوضوح ، وعدم التكلف والتعمق الكثير ، والاستغناء عن التأويل ، ويعلق على ذلك الجاحظ بأنه هو معنى نفس قول الأصمعي : « البليغ من طبق المفصل وأغناك عن المفسر » ثم نرى ثمامة في نفس الصفحة يمدح كلام أم جعفر بأنه بالنسبة الى كلام ابنها « أجود اختصاراً وأجمع للمعاني » فلا يخرج كلامه عن معنى الایجاز الذي

نرى ثامة بعد ذلك في ص ٦٣ ينصح الأديباء ان يأخذوا به قائلاً: « ان استطعتم ان يكون كلامكم كله مثل التوقيع فافعلوا » .

ويسأل رجل عمرو بن عبيد عن البلاغة (ص ٦١ ج ١ البيان والتبيين) فيعرفها أخيراً - بعد ان يجيب عنها متجاهلاً بعدة اجوبة لا تتعلق بمراد السائل ولا بمنها المتداول متبعاً في ذلك اسلوب الحكيم - بأنها تحبير اللفظ في حسن الافهام . ومما ذكره في صفتها قوله : « وتزيين تلك المعاني في قلوب المرئيين بالألفاظ المستحسنة في الآذان ، المقبولة عند الأذهان ، وينصح بان لا يطول الكلام لأن طوله يدعو الى التكلف .

وفي ص ٦٣ من نفس الجزء يذكر قول بعضهم ، ومعناه ان الكلام البليغ يتصف بحسن التعبير وبالوضوح وهو : « لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه فلا يكون لفظه الى سمك أسبق من معناه الى قلبك » . واورد الجاحظ ان ابن المقفع سئل عن البلاغة فقال - (ص ٦٤ ج ١ البيان والتبيين) : انها اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة وأن الایجاز هو البلاغة - الا في مواقف الخطبة بين السماطين واصلاح ذات البين فالاطالة بغير خطر ولا املال - وان البلاغة ايضاً في دلالة صدر الكلام على حاجة المتكلم وفي اعطاء كل مقام حقه . واورد كلام بشر بن المعتز فيما يجب ان تتوفر في الكلام ليكون بليغاً (ص ٦٥ ج ١ البيان والتبيين) ومؤداه ان الكلام يجب ان يسلم من التوعر والتعقيد الذي يستهلك المعاني ويشين الألفاظ وان حق المعنى الشريف ، اللفظ الشريف وان يكون اللفظ رشيحاً عذباً ونخباً سهلاً والمعنى ظاهراً مكشوفاً وقريباً معروفاً وان مدار شرف المعنى على الصواب فلا يرفعه انه من كلام الخاصة ولا يضيئه أنه من كلام العامة ، وان يوافق المقال وان تبلغ من بيان لسانك وبلاغة قلمك ان تفهم العامة معاني الخاصة وتكسوها الألفاظ التي تفهمها العامة ولا يحتقرها الأكفاء ، وان تضع كل كلمة في موضعها دون اكراه لها .

ويقول إن البليغ إنما يرزق ذلك موهبة لأن الشيء يحن الى ما يشاكله ، ويجب عليه أن يوازن بين أقدار المعاني وأقدار المستمعين وان يجعل لكل مقام مقالاً .
 وذكر ما عابه الأصمعي على شعر الحطيئة (ص ١١٥ ج ١ اليان والنبين)
 من الصنعة وتفضيله شعر النابغة الجعدي لأنه طبعي خال من الصنعة فيه قرط
 بآلاف وخمار بوافٍ - على حد تعبير الأصمعي - ، ثم عاد الى ذكر رأي الأصمعي
 هذا مرة ثانية (في الجزء الثاني من البيان والتبيين ص ٦) وعلق عليه بأنه يخالف
 رأي الرواة والشعراء .

وأورد (في ص ١٤١ ج ١ من نفس المرجع) قول بعض الربانيين في بعض مواعظه
 محذراً من تأثير الكلام البليغ في إضلال الناس وقد جاء في جملته : « والمعاني
 اذا البست الألفاظ الكريمة ، وأليست الأوصاف الرفيعة ، تحولت في العيون
 عن مقادير صورها ، وأربت على حقائق اقدارها ، وصارت الألفاظ بمعنى المعارض ،
 وصارت المعاني في معنى الجوارى » .

وقد أورد الجاحظ كل هذه الأقوال السابقة التي اختصرتها من دون ان
 ينقدها أو يعلق عليها ، ولم يذهب الى انكار أي قول منها ، او الانتقاص منه
 فكأنه يوافق على ما تضمنته .

وإذا تأملنا ما ورد في تعاريف وأوصاف البلاغة السابقة نجدها اما تعاريف هبيمة عامة
 لا يبين العناصر التي اذا توفرت في الكلام كان بليغاً ، واما وصف ناحية او نواح
 من البلاغة تنطبق على كلام دون كلام ، او تعريف لها من حيث غرضها وفائدتها
 أو وصف عمل من جملة أعمال اذا قام بها البليغ في نظم كلامه استطاع أن
 يجعله بليغاً . ولم يحتم أي واحد منهم حول ما ندركه نحن من مفهومها الآن وهو
 أنها الجمال في القول وأن علم البلاغة هو درس فن القول وبيان مواطن الجمال فيه ،
 والأسباب والوسائل التي تساعد على ايجاده ، كما أن كل هذه الأقوال لم تتعرض
 الى جوهر النظرية التي نحن في صدد دراستها الآن . فلم تبين فيما اذا كان
 موضع الجمال في الكلام هو الألفاظ على حدة أو المعاني على حدة أو كلاهما معاً .

صحيح أن بعضها امتدح جمال الألفاظ وخلوها من التنافر ، ووضوح المعاني وصلواتها من التعقيد ، وحسن السبك وجودة تأديته للمعنى ، ولكنها على كل حال لم تبين قيمة احد الطرفين بالنسبة الى الآخر وتناولت الكلام عنها باختصار وإيهام . فمن المسلم به أن للكلام عنصرين في جملة عناصره هما اللفظ والمعنى وأنها إذا حسنته حسن ولكن هذه المادة التي هي المعنى والتي يبر عنها بالألفاظ المنظومة وفق ترتيب معين بدونه لا يكون الكلام دالاً ولا جميلاً ، لم تناقش قيمتها بالنسبة الى الصورة التي ظهرت فيها ، ولم يبين فيما اذا كان الجمال في سبك الكلام راجعاً الى ترتيب المعاني في النفس ، أم الى توالي الألفاظ في الجرس كما لم يبين فيما اذا كان ترتيب الألفاظ تابعاً لترتيب المعاني الجزئية التي تنتظم المعنى الكلي أم تابعاً لمراعاة انسجام هذه الألفاظ بعضها مع بعض مع قطع النظر عن معانيها . وهذا هو أساس نظرية عبد القاهر التي دعنا الى معالجة هذا الموضوع .

هذه الأحكام المبهمة الساذجة في وصف الكلام البليغ وتحديد معنى البلاغة بصورة تقريبية كانت مبنية على الذوق الأدبي الصرف السريع ، ولم تكن مبنية على دراسة علمية محصية ! وربما كانت لهذا خيراً من دراسات المتأخرين التي جمدت البلاغة في قواعد مينة نظرية ، تعب الذهن في دراستها وحفظها ، بدون أن تساعد على تذوق الأدب او انشائه بل ربما كانت شراً على من يأخذ نفسه بها إذا لم يكن ممن يتمتعون أنفسهم بدراسات نصوص . كثيرة من الأدب الرفيع . واذا أردنا أن نرسم صورة عامة للبلاغة من مجموع هذه النصوص ، وهي الصورة التي يظهر ان الجاحظ قد ارتضاها لأنه اوردها كما قلنا دون أن ينكرها ، قلنا أن البلاغة معنى شريف بتلاوم مع لفظ شريف جميل بحيث يكون منها كلام خال من التعقيد والتوعر والتنافر ، مناسب لمقتضى الحال من حيث الابعاز والاطناب واختيار الألفاظ والمقام ، واضح الغرض جميل الصور والأسلوب خال من الألفاظ السوقية والغريبة والمعاني المبتذلة قريب من الفهم بعيد من التكلف خال من التناقض وضعت اللفظة فيه موضعها وكانت لصقاً وطبقاً للمعنى الذي وضعت له .

وإذا قسنا هذه الصورة التي رسمناها واستخرجناها من جميع ما ذكره الجاحظ من أقوال سابقه في البلاغة بما نعرفه الآن من عناصر الجمال في القول ، وجدناها تفقد عنصرين هامين هما عنصر العاطفة التي لم يثيروا اليها من قريب ولا بعيد ، وعنصر الخيال بنوعيه التأليفي والتصويري القائم على التشبيه والذي اشار اليه بعضهم في قوله « وان يتوفر في الكلام حسن الصورة » - اذا كان يقصده بذلك أيضاً - ثم نجد أنهم لم يولوا الفكرة العامة الموجبة لوضع القطعة الأدبية اي اهتمام . ومن البدهي ان لا ترسم هذه الاقوال المرتجلة المختصرة طريقة مفصلة لأداء الفكرة العامة وكيفية اخراجها خصوصاً وأن علم البلاغة حين تم وضعه في العصور التي تلت ذلك لم تول هذه الناحية جانباً من الاهتمام وانما اهتمت فقط بكيفية اداء الجملة القصيرة ومقارنة الجمل القصيرة بعضها ببعض من حيث البلاغة . والنص الوحيد الذي فتح جانب اللفظ من بين النصوص السابقة دون أن ينص صراحة على تقديمه على المعنى هو نص احد الربانين الذي سبق ذكره [وذكره الجاحظ (ص ١٤١ ج ١ من البيان والتبيين)] فجعل المعاني تزيد على حقائق اقدارها إذا هي كسبت الألفاظ الكريمة وألبست الأوصاف الرفيعة .

رأبنا كيف صمت الجاحظ بعد إيراد النصوص السابقة ولم يبد فيها رأياً خاصاً ، ولكننا نراه يخرج عن صمته بعد إيراد نقد ابي عمرو الشيباني لبيتين من الشعر (ص ٤١ ج ٣ من كتاب الحيوان) قال : « وانا سمعت ابا عمرو الشيباني وقد بلغ من استجداته لذين البيتين ونحن في المسجد الجامع يوم الجمعة أن كلف رجلاً حتى احضره قرطاساً ودواة حتى كتبها وانا ازعم ان صاحب هذين البيتين لا يقول شعراً ابداً ولولا ان أدخل في الحكومة بعض الغيب لزعمت ان ابنه لا يقول الشعر ايضاً ، وهما قوله :

« لا تحسب الموت موت البلا وانما الموت سؤال الرجال
كلامها موت ولكن اذا اشد من ذلك على كل حال

ثم قال وذهب الشيخ الى استحسان المعاني ، والمعاني مطروحة في الطريق ، يعرفها المعجمي والعربي والقروي والبدوي وانما الشأن في اقامة الوزن وتخير اللفظ وصحة الطبع وكثرة الماء وجودة السبك وانما الشعر صياغة وضرب من التصوير .
فالجاحظ في تقده هذا يرى المعاني موفورة لكل انسان ويرجح ناحية اللفظ على ناحية المعنى صراحة ، وهو انما يقصد بالمعاني المعاني العامة كوصف الرجل الكريم بالبحر وما اشبه ذلك ولا يريد بها المعاني التفصيلية الجزئية ، ولا هذه المعاني الثانية التي يسميها عبد القاهر الجرجاني معنى المعنى والتي هي الصور التي يبرز فيها المعنى البدائي في ثوب قشيب مزركش ، الا ان الجاحظ اجمل ولم يفصل ويؤخذ عليه على كل الأحوال اهماله جانب المعنى الذي هو في الحقيقة ، بالنسبة للألفاظ ، كالروح بالنسبة الى الجسم ، وانما وضعت الألفاظ لتدل على المعاني ، الا انه يجب ان لا يغيب عن بالنا ان الجاحظ في هذا النص يضع في جانب اللفظ اموراً اخرى كصحة الوزن وكثرة الماء وجودة السبك ويضيف الى ذلك حكمه بان الشعر صياغة وضرب من التصوير فهو قد راعى اذن في جمال القول الفني ناحية اخیال بذكره التصوير وناحية الأسلوب والنظم بذكره السبك والصياغة ثم راعى بقوله كثرة الماء ، الذي يعبر به عن الحياة المنبثثة والمنبعثة من خلال القطعة الفنية ، ناحية العاطفة ولكن بكثير من الاختصار والابهام . وهو بدلنا على انه كان يشعر بشيء من جمال ابراز الأديب للعاطفة دون ان يحسن التعبير عنه . وهو ما كان يعبر عنه غيره بقوله : ان هذا الكلام له ماء وروث .

وفي هذا النص نرى الجاحظ خلافاً لبشر بن المعتز وغيره من الذين ذكر آراءهم في البلاغة ينجاز الى جانب اللفظ وينصره ولا يبقى آخذاً بأرائهم من أن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف كما قال بشر - فيكون اللفظ مع اعطائهم قيمة كبيرة ، له تابعاً للمعنى وكل ما نصحوا به هو أن يحسن اختياره بحيث يحسن تأدية المعنى ويكون فصيحاً ، ولكنه يحمل على المعنى وينكر أن يكون له

شأن . وإنما استفزه الى ان يجور عليه مبالغة ابي عمرو الشيباني في نصرته بحيث عد من القول الجميل ما ليس منه مجرد أن معناه تضمن حكمة يرغم أنها كانت جافة لم يحسن تصويرها ولا سبكها ولا اختيار الفاظها . ولكن الجاحظ لم ينصر اللفظ هذه النصره إلا في هذا المكان . أما في غيره فهو يوجز في تعريف الكلام البليغ ولكنه غالباً يقرن حسن اللفظ بحسن المعنى ففي ص ٤٢ من الجزء الأول من البيان والتبيين يقول ما معناه أن حسن الكلام يزداد كلما كان المعنى أظهر ، وذلك يدرك بوضوح الدلالة وحسن الاختصار ودقة المدخل ، وفي ص ٤٧ من نفس الجزء يقول ما خلاصته أن أحسن الكلام ما كان موجزاً واضح المعنى صادراً عن شعور صادق شريف المعنى بليغ اللفظ صحيح الطبع بعيداً عن الاستكراه مصوناً عن التكلف وحينئذ يؤثر في السامع فهو يخرج من القلب ليقع في القلب ويصنع فيه ما يصنعه الغيث في التربة الكريمة ونرى في هذا الوصف إدراك الجاحظ لأثر العاطفة وصدق الاحساس في تكوين القول الجميل ، وقد راعى فيه جانب المعنى وقسطاً من جانب الأسلوب ولكنه لم يذكر جانب الخيال بخير أو شر . وفي ص ١٩٦ من نفس الجزء يتكلم عن الكتاب فيقول إنهم ينتخبون الألفاظ وينتخبون المعاني وانهم يأخذون جانب الألفاظ العذبة والمخرج السهلة والطبع الممكن - يريد به الموهبة الخاصة بالأديب - والسبك الجيد والكلام الذي له ماء ورونق ، فجمع بين اختيار اللفظ واختيار المعنى ولم يهمل الأخير . وفي ص ٤ من الجزء الثاني من البيان والتبيين نراه يعطي للمعاني قيمتها أيضاً الى جانب الألفاظ ووضوح الدلالة بحيث لا يجهد المستمع نفسه لفهم ، ويقول إن هذا يدرك بعدم التكلف فإن كلام الأعراب إنما حسن لأنه خلا من الألفاظ المسخوطة والمعاني المدخولة والطبع الرديء والقول المستكراه ، وكل هذه الصفات الرديئة تكثير بين المتكلمين أهل الصنعة ، ونراه (في ص ٨١ من الجزء الأول من البيان والتبيين) يمدح الإيجاز فيقول : « وهم يمدحون الخذق والرفق والتخلص الى حبات

القلوب والى إصابة عيون المعاني» فيقولون : «أصاب الهدف وقرطس وأصاب القرطاس ورمى فأصاب العزة وأصاب عين القرطاس إذا بلغ النهاية في الإصابة» .
وفي كل هذا نراه لا يخرج عما ذكر من أقوال سابقه في البلاغة .
ثم نراه يذكر (ص ٤٨ من نفس الجزء) حقيقة نفسية هي أن المعنى الخبير واللفظ الدني، أسرع حفظاً من اللفظ الشريف والمعنى الرفيع وينصح بحسن الاختيار حين الحفظ لأن ما يكتب بمجالسة السهلاء في ساعة لا تمحوه مجالسة أهل الفضل سنين .

ويذكر في ص ٤٣ ج ١ من البيان والتبيين أن المعاني لا تنهاى بعكس أسماء المعاني - أي الألفاظ فهي محدودة ويذكر في ص ٧٥ من نفس الجزء أن الأسماء لا تستوعب المعاني لهذا ينبغي حسن الاختيار ، ويجب اعطاء كل موضوع الألفاظ التي يستحقها ويقول (في ص ٨١ من نفس الجزء) أنه قد يحتاج إلى السخيف من الألفاظ للسخيف من المعاني ، وفي سبيل هذه الفكرة - فكرة تلاؤم الألفاظ مع المعاني والمواضيع التي هي لها لأجلها يقول في ص ١٢ من نفس الجزء إن القرآن قد استعمل ألفاظاً دون مرادفاتها في مواضع دون أخرى (وذلك لتأدية هذه اللفظات نبرات ومعاني إضافية كامنة فيها تتلاءم مع الموضوع الذي تقال فيه ومع مكانها من الجملة) وضرب مثلاً على ذلك استعمال القرآن اللفظي المطر والغيث في موضعين مختلفين من حيث المقام وقال في نفس الصفحة مأموداه إن العامة لا تصلح حكماً في انتخاب الألفاظ لفساد ذوقها فقد تأخذ اللفظ القبيح وتترك الجميل كما قد يشتهر عندها من لا يستحق الشهرة .

وميل الجاحظ إلى ناحية اللفظ في جمال الأداء يظهر في حملته على تناثر الألفاظ في الشعر والنثر وضربه أمثلة من الشعر عليها (ص ٣٧ ج ١ من البيان والتبيين) وفي قوله بضرورة تلاؤم الألفاظ بعضها مع بعض في الكلام ليكون مسبوها سبكاً واحداً جميلاً (نفس الصفحة والجزء السابقين) ثم كلامه في الحروف التي لا يتلاءم بعضها مع بعض وذكرها بالتفصيل (ص ٣٩ من نفس الجزء) ، ويظهر

تفضيله ناحية اللفظ أيضاً في إحصائه على امتداحه في كل مناسبة فهو يقول بأن الكتاب هم أمثل الناس طريقة لأنهم قد التمسوا من الألفاظ ما خلا من التوعر والوحشية والسوقية الساقطة (ص ٧٦ من الجزء الأول : من البيان والتبيين) ثم يكرر ذلك (في ص ٨ من نفس الجزء) فيقول إن اللفظ يجب أن لا يكون عامياً سافطاً سوقياً وكذلك يجب أن لا يكون غريباً وحشياً إلا حين الكلام مع الأعراب الذين فطروا على ذلك ويظهر في هذا القول فكرة ملائمة المقال للمقام . ويعود (في ص ١٤٢ من نفس الجزء) الى الإلحاح على هذا المعنى فينصح بتجنب السوقية وعدم الإبهغال في تهذيب الألفاظ وتوخي غرائب المعاني ، وأن ينتخب المتكلم الحالة الوسطى ويرجع (في ص ٣ من الجزء الثاني من البيان والتبيين) بعد ذلك ، فيقول (إن اللفظ يكون حسناً حينما يكون كريماً متخييراً خالياً من الفضول والتعقيد .

ويخالف الجاحظ رأي الأصمعي في الحملة على شعراء الصنعة (ص ٤ ج ٣ من البيان والتبيين) ؛ وذلك على ما يظهر لانحيازه الى جانب اللفظ قراء يستحسن تنقيح ذوي الصنعة لتتاجهم الأدبي .

ويستخلص من كل ما مر في كتابي البيان والتبيين والحيوان للجاحظ أن أحكام المؤلفين في البلاغة حتى عصر الجاحظ كانت بدائية مبهمة مبنية على الذوق تشمل اللفظ والمعنى وعناصر غيرهما ترجع اليهما في غالب الأحيان ، وأنهم لهذه النظرة المجاملة لم يكونوا ينصرون جانباً على آخر إلا ما كان من أبي عمرو الشيباني الذي نصر في إيهام جانب المعنى . فلما جاء الجاحظ توسع في بحث البلاغة إلى درجة ما ، وتعرض لأبحاث النصاحة في عرفنا بصورة خاصة ، كما ناصر جانب اللفظ بمعناه الخاص عنده الذي يشمل جانب الأسلوب وجانبي العاطفة والتصوير أيضاً .

نعيم الحمصي

(يتبع)

م (١)

www.alukah.net

التعريف والنقد كتاب في السياسة

تأليف الوزير ابي القاسم الحسين بن علي المغربي المتوفى سنة ٤١٨ هـ نشره
الدكتور صامي الدهان (ص ١٤٠) مع الفهارس . طبع بالمطبعة الكاثوليكية
في بيروت .

ابتدأ الأستاذ محيي هذه المخطوطة بالشهرة في عالم الأدب بما نشره من ديوان
ابي فراس الحمداني وقد أبرزه في قالب بديع من التحقيق فاستحق ثناء العلماء والأدباء .
والأستاذ الناشر مولع بالبحث عن المخطوطات العربية ينشدها في خزائن الغرب
والشرق وقد رحل كثيراً لتحقيق هذه الأمانة وأخذ صوراً شمسية من نوادر
الكتب والرسائل وهو بعد بعضها لينشرها على هذه الطريقة الأنيقة .

أخذه حب الظفر بالمخطوطات حتى ليثني أثناء البحث في التأليف والمؤلف على
من عاونوه على تبسير مهمته في دور الكتب مبالغة في الاعتراف بجميلهم .
وكتاب السياسة هذا والأشبه به ان يدعى رسالة السياسة لصغر جرمه
مثل سائر الرسائل القليلة التي وضعها قدماء العرب في هذا الفن وهي مفيدة على
شدة اقتضاها . وللمؤلفين بعض العذر في هذا الباب لأن التأليف في السياسة
كان على حالة ابتدائية عند العرب ولم يؤثر لليونان والرومان الا نتف ضئيلة
أيضاً في السياسة ليست حربية بان تعد من التواليف المضممة .

فالشكر للدكتور دهان على ما يتحلف به الخزانة العربية الحين بعد الحين
من منشوراته والرجاء ان تطرد هذه المهمة فيغني مع اهل طبقتة في الشام ومصر
والعراق الآداب والعلوم ويحيي بهذا الامتاع والابداع ما فقد او كاد من تركة
السلف الصالح .

محمد كرد علي

www.alukah.net

— ٤٥٠ —

نظرة عامة

في فكرة الحق والالتزام ، ونظريتي الأموال والأشخاص في الفقه الاسلامي
معالجة بأسلوب الحقوقي الحديث

بقلم مصطفى احمد الزرقاء

استاذ الحقوق المدنية السورية وأحكام الأوقاف في كلية الحقوق بدمشق

طبعة ثانية مريضة منقحة

هذا هو الجزء الثاني من كتاب الأستاذ الزرقا الذي سماه (الحقوق المدنية ،
في البلاد السورية) او هو مدخل للجزء الثاني ، منطوق على ثلاثة فصول ، تبحث
إجمالاً على التعاقب في فكرة الحق والالتزام ، فنظرية الأموال ، فنظرية الأشخاص ،
في الفقه الاسلامي ، على أساس الاجتهاد الحنفي ، وقد وضع المؤلف الكريم
كتابه لطلاب السنين الثلاث من كلية الحقوق السورية ، وجعل اجزائه تسير معاً
في طريق التمام كما قال . ولقد لبس الفقه الحنفي ، بهذا الأسلوب الحقوقي الشهي ،
ثوباً جديداً يزينه في أعين من يميلون النظر فيه ، ويجب اليهم دراسته ، لأنه
« يتفق مع الأذواق الحقوقية الحاضرة في مظهره ، ويحافظ في الأحكام على
أصله وجوهه » .

نعم ان كتاب الفقه في المذاهب الأربعة الذي كانت الفت من اجله لجنة من
أجل علماء الأزهر الشريف وصاغه الأستاذ الجليل « الجزيري » بقلم حديث ، ونسق
جميل ، قد سد فراغاً في عالم الفقه والتأليف ، ولكن كتاب الأستاذ الزرقا يتناز
بما أورده من مصطلحات الفقه القانونية الحديثة ، وما يقابلها من مصطلحاته الشرعية
القديمة ، فقد جمع بين التليد والجديد ، بأسلوب بتذوقه ويستسيغه حماة الفقه
الشرعي ، ودعاة القانون الوضعي ، وهو ما خلا عنه كتاب فقه المذاهب الأربعة ،
لأنه لبس من غرضه في التأليف ، وقد عد الأستاذ الزرقا طائفة من الكتب
التي الفت على هذا النمط الحديث ، بعضها كمل وبعضها لم يكمل .

رتب الأستاذ المؤلف هذا الجزء على ثلاثة فصول ، فالفصل الأول في الحق والالتزام ، وبجمعها أهلية الوجوب في الانسان ، اي صلاحيته للالتزام والالتزام ، أو قابليته لثبوت الحق له وعليه . والفصل الثاني في الأموال وفيه فرعان : حقيقة المال في النظرين الفقهي والقانوني ، وتقسيم المال ونتائجه الفقهية . والفصل الثالث في الأشخاص ، وله كسابقيه فرعان لمحّة عامة ، وتقسيم الأشخاص وبمجمّل احكامهم . ولكل من هذه الفروع أبحاث ، فمنها تقسيم الحق الى عيني وشخصي وأنواع الحق العيني في الفقه الاسلامي كحق الملكية والانتفاع والارتفاق ، والارتهان ، والاحتباس ، والوقفية ، وكحقوق القرار على الأوقاف . وقد فسر الحق الشخصي والالتزام ، بان كل حق شخصي لانسان هو تكليف وعهدة على سواه ، وهذا التكليف قد اصطلح علماء الحقوق على تسميته : التزاماً ، فهو حق اذا نظر اليه من ناحية الطالب ، وهو التزام اذا نظر اليه من ناحية المكلف به . وإن الحقوق المدنية ، أو قسم المعاملات الشرعية تبحث فيما يتعلق بكلّ النوعين من الحق ، الحق العيني ، والحق الشخصي ، وتنظم علائق الناس فيها جميعاً ، وإن مجموعة القواعد والأسس ، التي تنبني عليها أحكام الحقوق العينية ، يسميها علماء الحقوق اليوم (نظرية الأموال) ومجموعة القواعد والأسس التي تنبني عليها أحكام الحقوق الشخصية يسمونها (نظرية الالتزامات العامة) فموضوع نظرية الالتزامات إذن وميدانها إنما هو الحق الشخصي ، وأهم عناصر الأموال - التي يعنى التشريع الوضعي القانوني باحكامها هي العقارات ؛ وهذا الجزء الذي نصفه الآن موضوعه الحق الشخصي والأعيان ، أو نظرتنا الأشخاص والأموال كما قال الأستاذ المؤلف .

وقد جاء الأستاذ الزرقا في فصوله الثلاثة ، وفروعها الستة ، ومسائلها المنوعة ، بتعاريف رجال الشرع والقانون وتدقيقاتهم في كثير من المباحث ، وأدار عليها نظر الناقد البصير ، وناقشها مناقشة حقوقية هادئة ، محتبياً بحبوة الأدب والانصاف ، مبتعداً عن طريقي التقليد والاعتساف ، كما فعل في بيان استقلال الشرع الاسلامي ، عن الشرع الروماني ، الذي أجاز قتل المذنب المعسر !! أما الاسلام فقد أوجب

إنظاره الى مبسرة كما قال تعالى « وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ »
 (انظر ص ٣٩) وفي الشرع الروماني كانوا يحاكمون البيائم ويحكمون عليها ، وظل
 ذلك في فرنسا الى القرن الثامن عشر الميلادي !! أما في الأحكام التي أثبتتها
 فقهاء الاسلام ، فانه لازمة للحيوانات والبيائم كما أنها لا أهلية لها ، فلا تثبت عليها
 حقوق (ص ١٢٩) فأين شريعة الرومان من فقه الاسلام ، وأين الثريا من يد المتناول ؟
 وقد أشار الأستاذ المؤلف في مواضع من كتابه الى اختلاف المذاهب في
 المسألة الواحدة ، ودعا الى الأخذ بما كان أقوى دليلاً ، واكثر ملاءمة لحاجة
 العصر ، ومصالحة الأمة ، من مذاهب الأئمة (راجع البحث السادس - في العين
 والمنفعة ١٤٧ - ١٥١) تر فيه نقد نظرية الحنفية في عدم التزام الغاصب بضمان
 أجر المثل من منافع المغصوب ، والأخذ بنظرية الشافعي والحنبلي بالتزام الغاصب
 بأجر مثل المغصوب خلال مدة الغصب ، قائلاً بان الحاق نظرية المنافع بالأعيان
 في المالية والتقوم الذاتي ، هي أحكم وأمن وأجرى مع حكمة التشريع ، ومصالحة
 التطبيق وصيانة الحقوق ، من نظرية فقهاءنا في الاجتهاد الحنفي (قال) وإن تشريع
 عقد الإجارة بنصوص الكتاب والسنة دليل ناطق بان الشريعة الاسلامية قد
 اعتبرت المنافع منقومة في ذاتها ، حتى أقرت التزام البدل في مقابل الانتفاع ،
 كما أقرت التزام الثمن في مقابل امتلاك العين بالشراء ، ثم ختم هذا البحث بقوله :
 ويجب ان بلا حظ أن الاحكام القانونية اليوم لدينا تقضي بضمان اجر المثل للمقاررات
 على من يشغلها بلا عقد ، وعليه عمل المحاكم المستمر .

أقول : لعمرى ان ما جرى عليه المؤلف الزرقا ههنا من بيان الحكم مع دليله
 هو الحق المبين ، وبه تبين وجهات نظر الأئمة ، وما في اختلافهم من اليسر والرحمة ،
 وإنما يرجح قول بعضهم على بعض بقوة الدليل ، وبما ينطبق على مصلحة الأمة ، وحكمة
 التشريع ، ألا وان أئمتنا قد أوصوا بالألا يؤخذ بقولهم حتى يعلم دليلهم ، وقد رأى أهل
 القانون المدني اليوم - الذين قضوا بضمان أجر المثل للمقاررات على من يشغلها بدون عقد -

أن حكمهم هذا قد خرج عن قيود المذهب الحنفي ، ولكنه لم يخرج عن دائرة
 الفقه الاسلامي ، وأن اختلاف علمائنا رحمة ، والأخذ من متنوع مذاهبيهم نعمة .
 وهذا وإن لنا رجاء كبيراً في أخينا الأستاذ الزرقا - وهو سليل علم ديني ،
 وناطقة فقه شرعي - أن يجري في أجزاءه الباقية على هذه الطريقة المثلى ، لتبقى
 حجة هذا الفقه السامعي قائمة على الذين يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ،
 وإن كل من ينهض معك ، أيها الأستاذ الكريم ، بهذا العبء العظيم ، من رجال
 هذه الأمة الايرار ، يتاحيك بما جاء في الكتاب المصون « إني أنا أخوك فلا
 تبتئس بما كانوا يعملون » أم لك الله بمعونته وتوفيقه ، وأثابك خير الثواب .
 وبعد فقد لاحظنا هتات جرت بها أفلام كثيرة ، وهي من الخطأ الشائع في ص ٨
 تتكلم على بعضها ، وفي ص ٩ أفراد الأمة ببعضهم ، وفي ص ٣٨ : وصيانة حقوقهم
 بين بعضهم ، وفي ص ١٧٣ مجموعة الى بعضها » ويقال فيها على هذا الترتيب :
 « بعضها على بعض ، وأفراد الأمة بعضهم ببعض ، وصيانة حقوقهم بينهم ، ومجموعة
 بعضها الى بعض » إذ أن المقصود هو (الكل) لا (البعض) .

محمد بهجة البيطار



ظلال الأيام - أنور العطار

مطبعة البرهاني بدمشق ١٩٤٨ - صفحاته ٢٦ + ١٤٢

تحدث عدد من المستشرقين والشرقيين عن الأدب العربي المعاصر ليصلوا بين حلقات الدراسة في تاريخنا الأدبي؛ وشكوا جميعاً، فيما شكوا منه انصراف شعرائنا المحدثين عن طبع دواوينهم والعناية باخراجها .

وقد قام المستشرق جورج كيهماير منذ عام ١٩٢٥ م بشيء من هذا العبء، فتحدث في مجلة ألمانية^(١) عن شعراء الشام، واختار من شعرهم ونشر بين يديه تراجم كتبها الشعراء أنفسهم في ترجمة حياتهم، وزين هذه الدراسات بصور الشعراء، ونذكر منهم هنا على سبيل المثال الأستاذ خليل مردم بك وشفيق جبزي ومحمد اليزم وبدوي الجبل؛ ولكننا لم نقع منذ ذلك الحين على ما يحقق الرغبة، وبلي النداء، ويستجيب داعي الدراسات التاريخية، ونحن ننتظر أن يجد شعراء دمشق في طبع دواوينهم طباعة حديثة وأن يصدروها بدراسة عن حياتهم تعين الباحث وترشد الدارس كما فعل القرييون لشعرهم وكما فعل أمير الشعراء أحمد شوقي .

و« ظلال الأيام » الذي تحدث عنه اليوم أخرجه الشاعر أنور العطار، ووقر له أكثر الذي يتطلبه الناقد الغربي من الشاعر العربي، فقد بوبه وزينه وقدم له .

أما المقدمة التي كتبها الأستاذ علي الطنطاوي في ترجمة صديقه الشاعر فهي صادقة الرسم، تنم عن حياة الشاعر ومراحل عيشه وتفصح عن الأمل الذي يلف هذه الحياة، والألم الذي يغذيها، والقلق الذي ينتابها، والضجر الذي يصيبها . فهي دليل للدبوان ورفيق للقارئ على مر الصفحات .

وشعر العطار على هذا وذاك صريح جلي، واضح بين، تلمح خلال آياته هذه السمعة تفرق صافية، وتمح الجرح دامياً، وتسمع الأمل صارخاً، وتنبين الوحشة مظلمة والشجو قائماً .

(١) Arabische Dichter Der Gegenwart , von Georg Kampffmeyer . in M . S . O . S . 1925 - 1926 , P . 249 et s .

بفتتح الشاعر بالشكوى والأسى ، ويختتم بالشجو والوحشة ، ويزجي فيها بينهما
بالوعدة والدمعة ، فاسمعه بقول :

ص ٧ : يافرحه العمر عودي غير آيسر وأطعميني في لقبالك أحيانا

٧ : ألي صارخ وجرحي ضري والهوى يأس وجددي عشور

٨ : وبنسي قيثارة نتشكى وأنا الدمع والأسى والشعور

٧٧ : أنا قيثارة تنوح على الله ر ودمع على المدى يترفرق

١٣٧ : أذكر العهد فأبكي أسي

وهو يهذه الدموع يذكرنا بالشعراء الرومانتيكيين في الغرب وتلاميذهم في
الشرق ، الذين يرون أن الألم أستاذ وأن الأسى يفجر بنايع الشعر .
والديوان حافل بأوصاف الطبيعة على عادة الابداعيين أمثال هوغو ولامارتين
وموسه فهو يصف الخريف والربيع ، ويصور المدن والأنهار والجبال والسهول والصحارى .
يبدأ بوصف الخريف ثم يصف دمشق وغوطتها وأذار والحقول فيه ، ويرسم
يردى والصفصاف يستحم في شطآنه ثم يصف دمر وأزهاره وأوراده ، ثم ينتقل
الى لبنان فيصف منه الجبال والوديان .

وهذه موضوعات تعيد الى الذكرى أسماء شعرائنا القدامى الذين وصفوا الطبيعة
وأزهارها كابن خفاجة والصنوبري وكشاجم . والشاعر المطار بفيض حماسة
حين يتطرق الى ذكر الوطن وحماء ، ويشع قدسية حين يستعرض ذكرى النبي
الينيم عليه السلام وأجداد الفتح الاسلامي . ويختتم ديوانه بوصف بغداد والبصرة
ودجلة والفرات وصفاً يقرب التاريخ والوشائج ويبعث الحب وصلة القرني في اللسان
والدم والكربات .

هذه هي أغراض الشاعر في ديوانه وهذه معانيه التي تطرق اليها ، أما أسلوبه
الشعري فكله رقة وحنان . ويخيل لنا أن أولى مزايا الديوان ألفاظه الشعرية
المتخيرة وصوره الناعمة التي تضطر الشاعر مكرهاً الى أن يضحي بالفوص على

المعنى والايغال في الصورة . ولعلنا حين نستعرض هذه الألواح من خلال صفحاته ندلل على شيء مما نقول :

- ص ٢٤ : يستحم الصفصاف في ضفتيه وبناجيه ناعم الفرع لدينا
 مستهاماً يلسل الروح دمعاً وبصاديه عبقرياً مفناً
 وهما في تلازم وعناق يطويان الزمان قرناً فقرنا
 ص ٣٣ : وعلى معطف المروج تراءت قبل للريح تنفج طيبا
 ص ٣٧ : قدماأت الروح عبء الظلام وحتت الى البسمة الضاحيه
 وتشدو الطيور أغاربدها فأختار من فيها القافيه
 ص ٤٥ : في وصف صنين : هو جار النور حط على النيم
 ص ٦١ : في ابنته :

سريرها يهتز في أضلعي تنام في أعطافه هانبه
 إذا تطلعت إلى وجهها رأيت أمي مرة ثابته

ولن نستزيد من هذه الصور وهذه التعابير فالديوان متداول هين يسير ،
 نستطيع أن نرجع اليه فترى آثار العصر والشباب والربوع مجتمعة في طياته .
 وليس يضيره تعابير يأخذها عليه الناقد في مثل قوله : « ولا يخفان بالأغيار »
 وقوله : « تهالك من جهده وارتنح ! » فهي قليلة نادرة بحمد الله تقع في
 كل ديوان .

وقبل أن ننهي الشاعر على باكورة دواوينه نرجو أن يعمد في المستقبل
 الى تأريخ قصائده ، فذلك يعين القارىء والمؤرخ والدارس .
 وهو فاعل إن شاء الله !

الدكتور سامي الدهان

www.alukah.net

آراء وانباء نص حكاة نعلب

بين اللغة والدين !!

كتب حضرة الفاضل (السيد محمود بابلي) الى رئاسة انجمن العلمى بما حاصله :
قرأت نصاً لغويّاً في المعجم المسعى (المنجد) تأليف الأب (لويس معلوف) فاشتبه
أمره على - وهو قوله صفحة ٤٨٨ (الطلقاء : الذين أدخلوا في الاسلام كرهاً)
فكيف يكون ذلك ؟ ومن قواعد الاسلام ان لا اكره في الدين . والمعروف
في كتب السيرة النبوية ان الرسول الكريم حينما دخل مكة فاتحاً خاطب أهلها
قائلاً : ما تظنون انى فاعل بكم ؟ قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم . قال : (اذهبوا
فأنتم الطلقاء) هذا ما كتبه الينا السيد البابلي . ثم قف على عليه فقال : (فهل مفاد
النص الذي نقله صاحب المنجد ان هؤلاء الطلقاء أدخلوا في الاسلام كرهاً ؟
أم ان هناك طلقاء آخرين غيرهم ؟ فمن هم ؟ وفي أي عصر وجدوا ؟ ومن الذي
أكرههم على الاسلام ؟) ا . د .

ولعمري ان قلق المستفهم الفاضل من عبارة المنجد . و ارادته التثبت في فهمها .
والتساؤل عن مغزاها - جديرٌ بالشكر والثناء . والا فان ظاهر قول المنجد
مناقض لآية لا اكره في الدين !!

ومرجع هذا البحث ومصدره أن صاحب (اللسان) الذي إنما الفه لتحديد معاني
الفاظ اللغة نراه يخرج أحياناً كثيرة عن هذا التحديد الى تقول في الدين والأدب
والتاريخ لا فائدة منها في افادة تحديد المعاني . وتفسير المباني . وان كان لها قيمتها
في تقوية ملكة الأدب العربي في نفس المطالع ، وهذا ما جعل بعض الفضلاء يقول :
إن لسان العرب كتاب أدب أكثر مما هو كتاب لغة . ومن هذا القليل نقله
عن نعلب أن لفظ (الطلقاء) يطلق على قوم أكرهوا على الاسلام .

فالامام الجوهرى صاحب الصحاح الذي هو بحق أبو المعاجم - او ابو (المعجميات) على حد تعبير الأب مرمرجي - فسر لنا (الطلاق) بالفجوى والتلميح . لا بالجهر والتصريح فقال مانصه (والظليق الأسير الذي أُطلق عنه إسماره وخلق سبيله) قال هذا ثم سكت فأسكت . وأفهم فما أدهم . أليس علماء العربية قالوا ان وزن (فُعلاء) مقبس في كل ما كان على وزن (فَعْبَل) صفة لمذكر عاقل غير مضاعف ولا معتل نحو كريم كرماء عظيم عظماء أمير أمراء الخ .

اشتهار هذه القاعدة جعل الجوهرى يكتبها بتفسير لفظ (ظليق) عن ذكر جمعه الذي هو (الطلاق) . اما صاحب (اللسان) فبعد ان نقل عبارة الجوهرى المذكورة قال (وفي حديث حنين خرج (ﷺ) ومعه الطلقاء : وهم الذين خلق عنهم يوم فتح مكة وأطلقهم فلم يسترقهم . واحدم ظليق وهو الأسير اذا أُطلق سبيله . وفي الحديث الطلقاء من قريش والعنقاء من ثقيف : كأنه (ﷺ) ميز قريشاً بهذا الاسم أعني (الطلاق) حيث هو أحسن من العنقاء . والطلاق الذين أدخلوا في الاسلام كرهاً حكاها ثعلب : فإما ان يكون من هذا واما ان يكون من غيره) انتهى كلام اللسان . وقوله الأخير (فاما ان يكون واما ان يكون) يدل على ان العبارة التي حكاها عن ثعلب موضع تردد واشتباه . وان نقل صاحب اللسان لها ليس من اللغة ولا فقهها ولا تحديدها معاني الفاظها في شيء ، وانما هو أمر يتعلق باحكام دين الاسلام وحوادث السيرة النبوية : فالظليق الأسير والطلاق الأسارى وهناك أسارى مخصوصون وهم مشركو مكة الوثنيون سماهم النبي «الطلاق» . هؤلاء الطلقاء المعينون أراد ثعلب أن يذكر لنا حكماً دينياً متعلقاً بهم فقال قوله المذكورة في اللسان . والتي تحتاج الى بسط وإيضاح وبيان . ذلك أن النبي (ﷺ) لما من على أسرى قريش بالحربة وأعفاهم من ذل العبودية ليس معناه أنه أعفاهم من كل حكم يتعلق بشركهم ووثنيتهم فيبقون بعد أن منحوا حريتهم عليها أي على الوثنية التي جاء الاسلام لهدمها . وامتاز على جميع الأديان بمطاردتها . وهو (أي الاسلام) ان لم يتيسر له ان يطاردها في العالم كله أمكنه على الأقل ان يطاردها

ويقتلع جذورها من جزيرته وموطن رسالته : أعني بلاد العرب : فهو بعد أن رَفَّه عن الطلقاء وأمنهم عاد فطبق عليهم حكماً آخر من شريعته وهو عرض الاسلام عليهم ما داموا عرباً وما داموا مقيمين في جزيرة العرب وما داموا على غير ديني سماوي يشفع لهم في أخذ الجزية منهم : إذ أن مبدأ الاسلام (لا يجتمع في جزيرة العرب دينان) فان أحب أولئك الطلقاء الإقامة في الجزيرة وأسلموا كان بها ، والا كان لهم الجلاء عنها . وهذا (اي الجلاء أو خوف الجلاء) جعل اكثرهم يلجأون الى الاسلام فأسلموا . وقد أراد (ثعلب) أن يعبر عن اسلامهم الذي أُلجأوا اليه فعبر عنه بالإكراه مذ قال : والطلاق (اي من اسارى قريش) هم الذين أدخلوا (أي في آخر الأمر) في الاسلام كرهاً (أي إجاء) وذلك بسبب تطبيق حكم الاسلام على وثنيي العرب بأن لا يبقوا على وثنيتهم أو يخرجوا من دار الاسلام . وهذا كما تفعل اليوم حكومات اوربا التي تؤلف منها الكتلة الغربية الديمقراطية منذ تطارد الشيوعيين في عقر دارها . فينسلوا لواداً منها أو يخضعوا لقوانينها التي لا تقر الشيوعية المتطرفة ولا ترفق بها . مالنا وللشيوعية هذه (الولايات المتحدة) كانت لا تجيز الإقامة لأحد في بلادها إذا كان من يؤمن بعقيدة تعدد الزوجات . فهل الوثنية التي جاء محمد (ﷺ) لمحوها أخف شراً من تعدد الزوجات في نظر العقلاء المنصفين ؟ عبارة ثعلب جاءت غير واضحة وجاء صاحب اللسان فنقلها ذبلاً لكلامه وتردد في فهمها مذ قال : (فاما ان يكون وإما أن يكون) هذا الغموض فيها أضعف ثقة علماء اللغة بها . وجملهم يتحامون نقلها الى معاجمهم : فلم يذكرها الزمخشري صاحب (الاساس) ولا الفيومي صاحب (المصباح) ولا ابن الأثير في معجمه (النهاية) الذي ألفه لتحديد معاني الألفاظ الواردة في كتب السنة والحديث . ولم يذكرها الفيروزآبادي صاحب (القاموس) وإنما ذكرها شارحه الزبيدي في مستدركاته . ولما جاء واضع المعاجم البيروتية المعاصرون أهملها منهم صاحب (محيط المحيط) والبستاني

صاحب (البستان) والشرتوني صاحب (أقرب الموارد) ثم عاد هذا فذكرها في (الذيل) حتى جاء الدور أخيراً للآب لويس معلوف صاحب (المنجد) . ومنجده إنما وضعه للشداقة وطلاب المدارس - الذين يراعى في معاجمهم الاختصار والاقتصار - فاهتم بها ونقلها الى منجده مبتورة مما قبلها : يلمأرى فيها من الطرافة والغرابة والنص على الاكراه في الدين مع ان المسلمين يقولون إنه (لا اكراه في الدين) . نعم لا اكراه في الدين أيها المنتصون وكل ما في الأمر ان عرب الجاهلية مكلفون أن يخلعوا ربقة الوثنية إذا أحبوا الإقامة في جزيرة العرب . ومن تصفح كتب السيرة لا يجد أثراً لما دُوممه عبارة (ثعلب) المحكية في اللسان . وإنما يجد ما يؤيد قولنا من أن الطلقاء أحرار في الخروج من جزيرة العرب اذا بقوا مصريين على وثنيتهم وعبادة أصنامهم : ورد في تاريخ الطبري عند ذكر أخبار فتح مكة وقوله (ﷺ) لمشركيها (اذهبوا فأنتم الطلقاء) ما خلاصته :

هرب (صفوان ابن أمية) أحد سادات قريش بعد فتح مكة الى جدة ليركب منها البحر الى اليمن فعظم أمر خروجه على (عمير بن وهب) فجاء النبي (ﷺ) وأخبره بخبر صفوان فأرسله النبي اليه مؤمناً له . وأعطاه عمامته الشريفة علامة على ذلك الأمان . فذهب اليه عمير وعاد به الى مكة فلما دخل على النبي قال له صفوان : إن عميراً هذا يزعم انك قد آمننتي . قال صدق . قال فاجعلني في أمري بالخيار شهرين . قال أنت فيه بالخيار اربعة أشهر اه . والخيار الذي طلبه إنما هو بين ان يذهب الى اليمن بوثنيته وبين ان يبقى مع أبناء جلدته العرب ويدخل في دينهم : دين التوحيد ، فلم يكن بهذا مكرهاً على الاسلام وإنما الاكراه أن يضبط الوثني ثم يقال له إما أن تسلم او تقتل وحاشا ان يقع مثل هذا في الاسلام .

هذا ما رأينا ان نقوله في تاويل عبارة ثعلب التي نقلها صاحب المنجد وعسى

ان يجد فيها حضرة السائل الأديب مقنعاً .

المغربي

ثلاث رسائل من منشوراتنا العربية

هذه ثلاث رسائل من منشوراتنا العربية :

(١) نظرية الاسلام السياسية (٢) منهاج الانقلاب الاسلامي (٣) الدين القيم
 نبعث بها اليكم لتروا فيها رأيكم وتلاحظوها بعين النقد وتنوهوا (Review)
 بها في مجلتكم الزاهرة . ويسرنا كثيراً اذا نبهتم على ما تقع عليه أنظاركم فيها
 من الهفوات والأخطاء اللغوية والنحوية ، فاننا ، وإن لم نأل جهداً في ابرازها في
 حلقة من الفصحى قشبية ، لا نأمن على انفسنا الوقوع في الأخطاء وعلى اقلنا ان نزل
 قدمها بعد ثبوتها ، بما عسى ان يكون قد لصق بها من محاورات الهندستانية
 وما يظهر في الجرائد العربية السائرة من الهفوات اللغوية والأساليب الركيكة .
 هذا ، وهذه الرسائل ألفت بالاردية ، ثم قام بتعريبها هذا العاجز وزملاؤه
 وستاؤها رسائل اخرى معربة من الاردية ومؤلف بعضها بالعربية من غير ترجمة .
 وبما أن هذه الرسائل عاجت المسائل السياسية والمواضيع العمرانية والاقتصادية ،
 اضطررنا فيها الى استخدام المصطلحات الحديثة الشائعة بالانكليزية وغيرها من
 لغات العالم المتحضرة . وقد اقتبست لغتنا الاردية مئات بل ألواناً من هاتيك
 المصطلحات في شتى العلوم ، وعني اهلياً بتأليف المعاجم الخاصة لهذا الغرض ،
 والحق أنهم وفوا هذه المسألة حقها من العناية والاهتمام ، بحيث لا يجد الكاتب
 الذي يعالج هذه الموضوعات ويعني بالبحث فيها بالاردية كثيراً عناء ومشقة ، بل
 يجد الأمر سهلاً والسبيل ممهداً ، والطريق معبداً . لكن الأسف ، كل الأسف ،
 ان الكاتب المستعرب الذي يريد ان يتناول هذه الموضوعات والمسائل ويعالجها
 بالعربية تأليفاً او تعريباً ، يلقى عرق القربة بهذا الصدد لأن مالكي ازمة البيان
 وفرسان مضماره ، لم يفرغوا للآن من وضع معجم جامع لمصطلحات علوم السياسة
 والاقتصاد والعمران والفلسفة وغيرها . ومن هنالك لكم ان تقدروا العناء الذي
 كابدناه في تعريب هذه الرسائل وما تجشمناه من المشاق في البحث والتحقيق في
 شأنها . ولا ندري الى اي حد نجحنا في جهودنا ومساعدتنا ؛ ولا نعرف مدى

ما قدر لنا بلوغه من الصحة والدقة في هذا الباب . والأمر في هذا الى حضراتكم ، ارباب البيان وحملة الأقلام من ابناء العرب ، والرأي رأيكم ، جهابذة النقد وأسائذة الحل والعقد من اهل اللغة وعلمائها . وهانحن نبعث اليكم بغير من للمصطلحات وبعض الاستعمالات الدقيقة التي وردت في هذه الرسائل الثلاث ، وقد شفعتها بما يرادفها في الانكليزية والاردية ، ليسهل على الناقد تعيين المعاني المرادة منها ، وكذلك ذكرنا بازاء كل كلمة رقم الصفحة التي وردت بها من هذه الرسائل . فلئامول ان تنشروا هذه الكلمة في مجلثكم الزاهرة ، مضافاً اليها الفهرس الذي ذيلناها به ، وتفضلوا علينا بابداء رأيكم في شأنها والتنبه على مواضع الخطأ والضعف منها . وانما سألتناكم نشرها في المجلة لما عسى ان يبدي فيها بعض قرائكم الأفاضل من الملاحظات مما يمكن لنا ان نستفيد منها وننتفع بها في تعريفنا للرسائل الأخرى من هذا الباب وتأليف ما يماثلها من الكتب في مثل هذه المواضيع . نكتب هذا ونحن اكثر الناس علماً بقصورتنا في الانشاء العربي واعرفهم بضعفنا في الملكة اللغوية لبعدنا عن ميد العروبة واللغة الكريمة ومنبت ارومتها . اما غرضنا من نشر هذه الرسائل ، فهو تبين محاسن الاسلام ، ونشر مزاياه وبث تعاليمه في لغات العالم كلياً - حسب ما يبناء في الصفحة الثالثة من الغلاف - وسنفر ذلك مقالاً خاصاً ، ان شاء الله تعالى ، تناول الكلام فيه عن الدعوة وعمما قامت له «الجماعة الاسلامية» التي أسس بنيانها في الهند منذ ثمانى سنوات ، سنة ١٣٦٠ هـ ، وقد بدأت تؤتى أكلها وشرعت تظهر ثمراتها الشبية للعيان . ولنشر كتابها وتعميم صوتها وابلاغ دعوتها الى العالم الاسلامي عامة وبلاد العرب خاصة تأست «دار العروبة للدعوة الاسلامية» فرعاً لها منذ اربع سنين . وهانها منشورات دار العروبة ، بدأت تتحلى بالطبع وتنتشر ، فنلت اليها الأنظار . والنية معقودة على اصدار مجلة شهرية مسماة «بالهدى» حينما تسمح لنا به الظروف . والموعد ليس يبعيد ان شاء الله تعالى .

راولندي (باكستان)

مسعود الندوي

متمد «دار العروبة للدعوة الاسلامية»

نظرية الاسلام السياسية			ص	س
الانكليزية	العربية	الاردية		
Dictatorship	السيطرة (الديكتاتورية)	دكتيتر شپ	٩	٤
Domination of man over man	الوهية الناس على الناس	انسان پر انسان کی خدائی	١٥	١٦
Communist Party	الحزب الشيوعي	کميونسٹ پارٹی	١٠	١٧
Political Bureau	المكتب السياسي	سياسی مجلس	١١	١٧
Farm	المزرعة	فارم	١٣	١٧
Representation	التثيل	نمائندگی	١	١٨
Community	جماعة	جماعت	٣	١٨
Fascist Great Council	المجلس الفاشي الكبير	فاشست گرانڈ کونسل	٨	١٨
Democracy	الديمقراطية	ديمو کريسي	١٣	١٨
Personality	الشخصية	شخصيت	١	٢٠
Charter	المنشور العام	چارتر	٢	٢٣
Powers	الحقوق	اختيارات	١١	٢٣
Sovereignty	الحاكية	حاكيت	٧	٢٤
State	المملكة	رياست	١٠	٢٥
Government	الحكومة	حکومت	١٥	٢٥
Priest Class	السنة	مخصوص مذهبي طبقه	١٤	٢٦
Paramountcy	السلطة القاهرة	اقتدار اعلى	١١	٢٧
Limited popular Sovereignty	سلطان منحصر في دائرة محدودة	محدود عمومی حکومت	١٠	٢٧
Executive	الهيئة التنفيذية	عامله	١٣	٢٧
Popular sovereignty	سلطان للجمهور	عمومی حاکيت	١٧	٢٨
Prohibition Lan	قانون منع الخمر	قانون منع شراب	٥	٣٠
Divine Limits	حدود الله	حدود الله	١٤	٣١

الانكليزية	العربية	الاردية	ص	ص
Regulations	القوانين الفرعية	فروعى قاعدي	١	٣٢
Personal liberty	الحرية الشخصية	شخصي آزادي	١٠	٣٢
Capitalism	الرأسمالية	سرمایه داري	١٣	٣٢
Family life	الحياة العائلية (البيئية)	عائلي زندگي	١٥	٣٢
Constitution	الدستور	دستور	١٦	٣٣
Social Justice	العدالة الاجتماعية	اجتماعي عدل	١٧	٣٥
Negative	السلبية	سلبی	١١	٣٦
Positive	الايجابية	ايجابی	١٣	٣٦
Political Power	القوة السياسية	سياسی طاقت	١	٣٧
Public opinion	الرأي العام	رائي عام	٤	٣٧
Social Influence	التفوذ الاجتماعي	جماعتي اثر	٤	٣٧
Totalitarian	المهيمنة	مهم گير	١٦	٣٧
Authoritarian	الاستبدادية	استبدادی	١٧	٣٧
Ideological State	المملكة الفكرية والحزبية	جماعتي اور مسلکی زبانت	٦	٣٨
Rights and Privileges	الحقوق والامتيازات	حقوق و مراعات	١٦	٣٩
Fundamental theory	النظرية الاساسية	بنیادی نظريه	٧	٤٠
Theory of State	نظرية المملكة	نظريه ربانت	١٤	٤٠
Popular Vicegerency	اخلافة العمومية	عمومي خلافت	٩	٤١
Social life	الحياة الاجتماعية	اجتماعي زندگي	٥	٤٢
Personal ability	الكفاءة الشخصية	شخصي قابليت	٧	٤٢
Social status	مكانة الرجل في المجتمع	معاشرتي مرتبه	٥	٤٣
Regimentation	التقييد الاجتماعي	خابطه بندي	٤	٤٥
Vote	التصويت	١٠: ووت	١٠	٤٦

م (١٠)

الانكليزية	العربية	الاردنية	ص	ص
Individuality	الفردية	انفراديت	١٤	٤٦
Socialism	الاجتماعية	اجتماعيت	١٤	٤٦
Harmony	التوافق	موافقت	٦	٤٧
Conception	التصور	تصور	١٥	٤٧
Minority	الاقلية	اقليت	١٣	٤٩
Majority	الأغلبية	اكثريت	١٣	٤٩
Condidature	الترشح	اميدواري	٥	٥٠
Electoral propagande	الدعاية الانتخابية	انتخابي بروبيگندا	٥	٥١
Judiciary	القضاء	عدالت	١١	٥١

* * *

منهاج الانقلاب الاسلامي

الانكليزية	العربية	الاردنية	ص	ص
Process	العمل	عمل	٣	٣
Loose - thinking	الاحاديث الواحية	خام خيالى	١١	٣
Artificial means	الطرق المصطنعة	مصنوعي طريقى	٦	٤
Pre - requisites	امور بدائية لازمة	ابتدائى لوازم	٩	٤
Premises	القضايا	مقدمات	١١	٤
Determinism	الجبر	جبريت	١٢	٥
Ideological State	الحكومة الفكرية	اصولى حكومت	٦	٧
Nationality	القومية	قوميته	٧	٧
Nationalism	القومية	قوم پرستى	٧	٧
Nationalistic Ideology	الفكرة القومية	قوم پرستانه طرزفكر	١٤	١٠
French Revolution	الثورة الفرنسية	اتقلاب فرانس	٧	٨

الانكليزية	العربية	الأردنية	ص	ص
Central Authority	الزعامة المركزية	مركزى اقتدار	١٤	١٠
National Guards	الحامية	نیشنل گارد	١٤	١٠
National Militia	الجنود القومي	قومی ملیفيا	١٥	١٠
Majority Rule	الحكم للأغلبية	اقتدار اکثریت	١٧	١٠
National Individuality	الخصائص القومية	قومی انفرادیت	٢	١١
National Minority	الاقلية القومية	قومی اقلیت	٣	١٢
Secular State	المملكة اللادينية	دینوی حکومت	٣	١٥
International Politics	السياسة الدولية	بین الاقوامی سیاست	٩	١٧
Utilitarianism	المذهب المنفعي (مذهب المنفعة)	افادی ذہنیت	١٥	١٧
Values	الأقدار (القيم)	قدرین	١٧	١٨
Intellectual leadership	سلطان السمو الفكري	عقلی و ذہنی ریاست کاسک	١٤	١٩
Mass Movement	الحركة العمومية	عمومی تحریک	١٢	٢٢
Utilitarian Morals	الأخلاق المنفعية	افادی اخلاقیات	٣	٢٣
Pragmatism	الفلسفة العملية	مصلحت پرستی	٢	٢٤
Plan	المشروع	منصوبه	١١	٣٠
Technique	منهاج العمل المخصوص	مخصوص طریق کار	٥	٣٤
Economic exploitation	الاستغلال الاقتصادي	معاشی انتفاع	٤	٢٧
Capitalists	الماليون	سرمایه دار	١٣	٢٧
Independent	المستقل بامرہ	خود مختار	١٦	٢٨
Irresponsible	غير مسؤول	غير ذمہ وار	١٧	٢٨
Superficial reformation	الاصلاح الظاهري	ظاهری اصلاح	٤	٣٩
Realism	الشعور بالحقيقة	حقیقت پسندی	١٦	٣٩
Hard fact and stark reality	الحقيقة الثابتة	امت اور اتل واقعہ	٤	٣٩

		٤٦٨	
الانكليزية	العربية	الاردنية	ص س
His Majesty	صاحب الجلالة	هنر مجستي	٨ ٤٠
His Holiness	صاحب قداسة	هنر هولي نس	١٠ ٤٠
His Highness	صاحب سمو	هنر هائي نس	١١ ٤٠
His Lordship	صاحب سيادة	هنر لار دشب	١٣ ٤٠
Reconstruction	التشكيل الجديد	تعمير جديد	١٢ ٤٢
Jurisdiction	السلطان	حدود اختيارات	٤ ٤٤
Metaphysical propositions	قضية تبحث في ما وراء الطبيعة (المسائل الالهية)	ماوراء طبيعت مسائل	٤٣
Abstract Idea	الفكرة المحضة	مجرد تخيل	١٦ ٥٦
Administrative, educati- onal, judicial, economic, cultural, and financial policy	النظم الادارية والتعليمية والقضائية والاقتصادية والمالية والاجتماعية	١٧ انتظامي، تعليمي، عدالتى معايشي، معاشرتي، مالى بالنسي	٥٦
Bloodless Revolution	الاتقلاب السلمي	غير خونى انقلاب	١٤ ٥٨
* * *			
الدين القيم			
الانكليزية	العربية	الاردنية	ص س
Laws of Nature	قوانين الطبيعة	قانون طبيعت	١٤ ٧
Observations and Experiments	المشاهدات والتجارب	مشاهدات وتجارب	١٦ ٧
Looseness in thought and deed	الفوضى الفكرية والعملية	آوار كى فكري وعمل	٣ ٨
Personal Behaviour	الشؤون الشخصية	شخصى يرتاؤ	٤ ١١
Administration	ادارة المملكة	ملكى انتظام	٩ ١١
International relations	العلاقات الدولية	بين الاقوامى ربط وتعلق	١٠ ١١

الانكليزية	العربية	الاردنية	س	ص
Geographical blocks	الدوائر الاقليمية	جغرافي حلقى	٣	١٥
Racial circles	الدوائر النسلية	نسلى دائرى	٣	١٥
Psychological	النفسية	نفسياتى	١١	١٥
Essence of Humanity	جوهر الانسانية	جوهر انسانيت	١٩	١٥
Sexual differences	الفوارق العنفيه	جنسى اختلاف	١١	١٦
Element	العنصر	عنصر	١٢	١٦
Regulative laws	القوانين المؤثرة العاملة	كارفرما قوانين	١٩	١٨
Measure	المقياس	آله پچائش	٤	١٩
Component Elements	العناصر التركيبية	عناصر تركيبى	١٦	٢١
Environments	المحيط الكونى	كائناتى ماحول	١٠	٢١
Humanity at large	الانسانية الكبرى	انسانيت كبرى	١٢	٢٢
{ Universal and eternal principles	مبادئ عالمية خالدة	همه گيرازلى وابدى اصول	١٦	٢٥
Characterless opportunist	الذي لامبداله ولا غاية	بى اصولاء، ترا ابن الوقت	٨	٢٧
General will	المشيئة العامة	خواهشى عام	١١	٣٠
Ultimate problems	المسائل النهائية	مسائل عاليه	١٤	٣٠
Social Life	الحياة الاجتماعية	مجلسى زندگى	١٣	٤٩
National Behaviour	الخطة القومية	قومى طرز عمل	١٤	٤٩

www.alukah.net

النهضة العربية في العصر الحديث

— حقائق تاريخية عنها —

مقدمة البحث

رد على كاتب فرنسي

وجد الأستاذ الرئيس محمد كرد علي في مجلة « لاروس » الباريزية مقالاً لكاتب فرنسي عن « العالم العربي » جاء فيه حقائق ، وجاءت فيه تمويهات ، أملت بها عليه الأهواء السياسية ، منها ما يتنافى وأبسط المعلومات الجغرافية ، مما دعا الأستاذ الرئيس الى الدفاع عن « الحقائق الموهمة » برد مقتضب ولكنه مفحم ، ظهر منشوراً في الجزء الرابع من مجلة انجمن العلمي العربي (تشرين الاول ١٩٤٨) تحت عنوان « تمويه الحقائق » ومما جاء فيه قول الرئيس :

ومن أغرب التويه الذي وقع لهذا الكاتب : ان نصارى لبنان وسورية هم الذين بعثوا النهضة العربية ثم تولت مصر الى كبرها ، وهي نعمة طالما ردها بعض جهلة اللبنانيين ، فزعموا ان لبنان سبق مصر التمدن وانه هو الذي علمها ومدنها ، مع ان مصر تقدمت لبنان الى العلم بنحو جيلين . والدليل ان مدارس الطب واللغات والترجمة والادارة والصنائع والهندسة في مصر أنشئت قبل انشاء الجامعات الأميركية والبيسوعية في بيروت باكثر من خمسين سنة ، وما كان في لبنان ولا في سورية وفلسطين قبل ان تنهض مصر من بقم للعلوم المادية وزنا . وبينما كانت كتب الطب والزراعة والحيوان والنبات والكيمياء والفنون الحربية والتاريخ والجغرافيا وغيرها تتناقلها الأيدي في العالم العربي ، وهي من تعريب المصريين الذين تعلموا في أوروبا على عهد حكومة محمد علي الكبير - كان ابن لبنان لم يصل الى اكثر من السواعية » اهـ .

راهب تفضيه الحقائق

وكان الأب بوحننا الفاخوري البولسي ممن قرأ رد الأستاذ الرئيس ، فغضب

من الحقائق تنشر، وفيها انتقاص مما يدعيه أمثاله، وكان غضبه مقالاً نشره في «مجلة المسرة» التي تصدرها في حريصا «لبنان» البطيرية الكاثوليكية، بلغ اثنتي عشرة صفحة من العدد التاسع الصادر في تشرين الثاني سنة ١٩٤٨ . وجاء محشواً بمثل هذه الجمل والألفاظ :

١ - لم ينزه قلمه - يريد الأستاذ الرئيس - عن الطعن باللبنانيين في شيء أو كثير من الاحتقار والازدراء .

٢ - دبدنه التحرش بلبنان واللبنانيين .

٣ - كتابة بتأبها كل من اطلع على حقيقة التاريخ، وترفع عن الأوهام والعصبية .

٤ - في كلام الأستاذ من «تمويه الحقائق» ومن التعريض بالكرامات ما يدعو الى تفنيده وتمييز غثه من سمينه .

٥ - وانا لنعجب اشد العجب من ان «عالمًا» من علماء العربية، و«مؤرخًا» من مؤرخي العرب، و«رئيسًا» للمجمع العلمي العربي يجرؤ على مثل هذه الكتابة، والمناداة بأراء بعيدة عن الصواب... كذا!

٦ - من أين استقى الأستاذ معلوماته؟ أمن اقوال بعض الجرائد، أم من

وحي الوم والعاطفة الهاجئة، أم من بعض «كتاتيب القرية»؟ ...!

٧ - وفي هذا القول أيضاً اندفاع عاطفي أكثر مما فيه علم حقيقي .

ونحن اذ نذكر هذه الجمل يخاطب بها الأستاذ الرئيس مثل الأب فاخوري،

ثم عليها من الكرام فهي دون ما يجب الاهتمام له من «عالم» او «مؤرخ»

فضلاً عن «رئيس مجمع علمي»، ويميزنا الرد على ماني المقال من «تمويه جديد للحقائق» .

الحقائق التي تضمنها رد الأستاذ الرئيس

تفحنت الفقرات التي أغضبت الأب فاخوري من رد الأستاذ الرئيس على

الكاتب الفرنسي الأمور التالية :

١- ان مصر تقدمت لبنان الى العلم بنحو جيلين :

- ٢ - ما كان في لبنان ولا في سورية وفلسطين ، قبل ان تنهض مصر ، من يقيم للعلوم المادية وزنا .
- ٣ - بينما كانت كتب العلوم تنشر في مصر لم يكن الرجل العادي في لبنان يهتم لاكثر من الكتب الكفنية .
- تحديد البحث الذي سنعالجه

هذا هو الموضوع الذي أضرمه الأب بوحنا فاخوري ، ووجب علينا بذلك ان نبحث عن الحقيقة لعرضها سافرة فتكون فصل الخطاب في هذا الموضوع الدقيق . ونحن سنفرد بحثاً خاصاً للكلام عن الحقائق التي تضمنها كلام الأستاذ الرئيس ، ثم نعالج في بحث آخر المظاهر المختلفة للنهضة العربية التي جاء الأب فاخوري على ذكرها ، وسنخصص بحثاً ثالثاً للكلام عن الفكرة العربية في دولة محمد علي ، ثم نختم كلامنا ببيان حدود الخدمات التي أداها اللبنانيون لآداب اللغة العربية كما يعترف بذلك المنصفون .

* * *

المبحث الأول

اثبات الحقائق بالأرقام

أسبقية مصر الى العلم

لم يطلق الأستاذ الرئيس قوله : « ان مصر تقدمت لبنان الى العلم بنحو جيلين » اطلاقاً بلا حجة ، بل أردفه بالسند القوي ، وألحقه بالدليل الواضح الذي لا غموض فيه ولا لبس ، اذ قال مباشرة بعد جملة المذكورة : « والدليل ان مدارس الطب واللغات والترجمة والادارة والصنائع والهندسة في مصر أنشئت قبل انشاء الجامعات الاميركية واليسوعية في بيروت بأكثر من خمسين سنة » .

وأنا لا أعتقد ان صحة هذا الدليل الذي قدمه الأستاذ بتطرق اليها أدنى شك عند أقل الناس الملمين بتاريخ التعليم في مصر وفي سورية ، ونظرة واحدة الى تواريخ

انشاء المدارس في عهد محمد علي تكفي برهاناً لغير المكابرين ، وهذا جدول
باسماء تلك المدارس وسنة افتتاح كل منها :

- ١ - مدرسة الموسيقى العسكرية انشئت سنة ١٨٢٤
- ٢ - مدرسة الحرية التجهيزية ١٨٢٥ = =
- ٣ - مدرسة اركان الحرب ١٨٢٥ = =
- ٤ - مدرسة الطب والصيدلة ١٨٢٦ = =
- ٥ - مدرسة الكيمياء العملية ١٨٢٩ = =
- ٦ - مدرسة المشاة ١٨٣١ = =
- ٧ - مدرسة الفرسان ١٨٣١ = =
- ٨ - مدرسة المدفعية ١٨٣١ = =
- ٩ - مدرسة البحرية ١٨٣١ = =
- ١٠ - مدرسة طب الحيوان ١٨٣١ = =
- ١١ - مدرسة التعدين ١٨٣٤ = =
- ١٢ - مدرسة الهندسة ١٨٢٤ = =
- ١٣ - مدرسة الزراعة ١٨٣٧ = =
- ١٤ - مدرسة الولادة ١٨٣٧ = =
- ١٥ - مدرسة الادارة والحسابات ١٨٣٧ = =
- ١٦ - مدرسة الألسن والترجمة ١٨٣٧ = =
- ١٧ - مدرسة الصنائع والفنون ١٨٣٩ = =
- ١٨ - مدرسة القوابل ١٨٤٢ = =

هذه هي المدارس التي افتتحها محمد علي لتدرس العلوم المختلفة باللغة العربية ،
وقد بلغ عدد تلامذتها سنة ١٩٣٩ ما يقرب من « ٩٠٠٠ » تلميذ^(١) ، كانوا
تباشير النهضة العربية بما اكتسبوه من علم وثقافة شهد بلدريتها الرفيعة كثير

(١) راجع : تاريخ التلميم في مصر وتاريخ الأدب العربية .

من الأجانب ، ونقل وشلاّ منها لمعرفة ذلك المستوى الذي أوجده محمد علي في مدارس أحب ان تكون نواة نهضة الأمة العربية بأمرها . قال «سكوت» في كتابه عن مصر^(١) : «وكان طلبة مدرسة المدفعية يتعلمون الحساب والهندسة والجبر والرسم والاستحكامات ولغة أجنبية ، فاما الانكليزية او الفرنسية او الايطالية ، أما اللغة التركية فكان الجميع يتعلمونها على السواء» . وقد حضر الأمير بوكرموسكو الألماني بعض التارين الحربية ، ومما وصفها به قوله : «ولا أذكر مطلقاً اني رأيت قبل اليوم تمريناً يقوم به طلبة ما بهذا المستوى النادر^(٢)» .

أما مستوى مدرسة الطب فيكفي أن نذكر ان مديرها الطبيب الفرنسي «كلوت» أحب اثبات مقدرة طلابه فاستصحبهم معه في احدى السنوات الى باريس وجعلهم يؤدون امتحاناتهم مع الطلبة الفرنسيين في جامعة باريس سواء بسواء . وحتى مدرسة الموسيقى لم تعدم من يشهد بمهارة طلابها فقد ذكر «سانت جون» ان بعض كبار الأجانب قد زاروها «واعجبوا ببراعة تلاميذها في فهم الموسيقى الغربية ، وعزف أدق القطع لأمهر الموسيقيين الايطاليين والفرنسيين^(٣)» .

ان كل هذه المدارس التي أنشأها محمد علي ، تم افتتاحها كلها خلال الربع الثاني من القرن التاسع عشر ، بينما يعرف أقل الناس اطلاقاً على تاريخ تأسيس الجامعتين الامريكيتين واليسوعية في بيروت ان الأولى أسسها المبشرون الامريكيون سنة ١٨٦٦ ، وان الثانية أسسها الآباء اليسوعيون سنة ١٨٧٤ ؛ وما أظن أحداً يماري في هذه الحقائق الثابتة وهي تعطي الدليل القاطع على صحة ما أورده الأستاذ الرئيس ، نحن لا نشك مطلقاً بثقافة الأب فاخوري وسعة اطلاعه ، ولا نشك أبداً بأنه يعرف كثيراً من الأدلة التي تؤيد كلام الأستاذ الرئيس ، كما أننا لا نشك انه قرأ كتب جرجي زيدان وقوله : «وظلت مدرسة الطب المصرية

(١) الجزء الثاني ص - ٢٣١ عن ثابت .

(٢) في كتابه عن مصر ص - ١٧٦ عن ثابت .

(٣) في كتابه ج ٢ ص - ٤٠٠ عن ثابت .

وحيدة في العالم العربي نحو اربعين سنة ربثاً أنشئت المدرسة الكمية الاميركية في بيروت^(١) .

تأخر ظهور العلوم المادية في لبنان

وقال الأستاذ الرئيس في رده: «وما كان في لبنان ولا في سورية وفلسطين قبل ان تنهض مصر من بقيم للعلوم المادية وزناً» وقوله هذا لا يحتاج الى دليل وقد قدمنا الكلام عن المدارس التي افتتحت في عصر محمد علي لتدريس العلوم المادية ، من طب وهندسة ورياضيات ، والتي أمدت مصر بعلماء عاملين يوم لم يكن في سورية ولا في لبنان علماء عاملون ! وهل يمكن القول بأسبعية لبنان في العلوم المادية ولم تكن الجامعتان الأميركية واليسوعية قد افتتحتا عندما كانت مدارس مصر تخرج الأطباء والمهندسين والضباط ؟ ولم يقل أحد بأنه كان في لبنان قبل هاتين الجامعتين مدارس للطب او للهندسة ، الا ان يكون هذا من قبيل «الاهام» التي يجب أن يترفع عنها «العلماء» و «المؤرخون» ؛ وجميل هذا الاستشهاد بكلام المؤرخ المحقق جرجي زيدان الذي استند الأب فاخوري كثيراً الى أقواله في ازرد على الأستاذ الرئيس ، ولكنه ما نقل عنه الا ما يرضي كبرياءه ورغباته ، قال زيدان^(٢) :

« للمدارس الحديثة في سوريا تاريخ يختلف عن تاريخ المدارس في شقيقتها مصر . فقد علمت ان الباعث على انشاء المدارس المصرية رغبة محمد علي في النهوض بالأمة المصرية واحياء آداب اللغة العربية ، أما سوريا فكان الباعث على انشاء المدارس فيها على الأكثر منافسة الارساليات الدينية او البعثات التبشيرية » .
ولقد عدد زيدان المدارس التي كانت في لبنان قبل سنة ١٨٦٠ ، اذ بدأت النهضة الحقيقية^(٣) ؛ على حد قوله ، فكانت كلها من مدارس الكهننة والارساليات

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ ص ٣٧ .

(٢) » » » ج ٤ ص ٤٦ .

(٣) » » » ج ٤ ص ٤٧ .

الدينية والتبشيرية الأجنبية ، وأقدم المدارس التي يمكن أن تذكر في تاريخ النهضة العلمية يعود تاريخها الى سنة ١٨٣٤ يوم افتتح الآباء العازاريون مدرسة «عنيطورا» وتبعهم سنة ١٨٣٥ القس «طمصن» بفتح مدرسة في «بيروت» ثم في «عبيه» سنة ١٨٤٧ ، وفي هذه السنة نفسها فتح الآباء العازاريون مدرسة «غزير» ، وبكفي للمقارنة ان نذكر ان مجموع المكاتب الابتدائية التي انشئت في القطر المصري من سنة ١٨٣٣ حتى سنة ١٨٣٦ بلغ ٦٧ مكتباً^(١) . وفي تقرير رسمي مرفوع من قبل مدير ديوان المدارس سنة ١٨٤١ ان مدارس الحكومة الابتدائية موزعة في القطر المصري على الشكل التالي :

٣	مدارس بالقاهرة فيها	٦٠٠	تلميذ
١	مدرسة بالاسكندرية فيها	٣٠٠	تلميذ
١	مدرسة باسيوط فيها	٢٠٠	تلميذ
٤٥	مدرسة بالأقاليم في كل منها	١٠٠	تلميذ
٥٠٠		٥٥٠٠	

وفي سنة ١٨٣٦ - ١٨٣٧ الدراسية كان في كل من القاهرة والاسكندرية مدرستان ثانويتان فيها ٢٠٠٠ طالب ، وفي سنة ١٨٣١ - ١٨٣٢ الدراسية كان عدد تلامذة معهد الطب ٣٠٠ ، تلك المدرسة التي أمدت الجيش المصري خلال خمس سنوات منذ تأسيسها بنحو من ١٥٠ طبيباً^(٢) .

ولست أدري بمدى كل هذا أبقى الأب فخوري على اعتقاده بان العلوم المادية في لبنان كان لها شأن موزون قبل ان تعنى بها مصر ، وقبل أن يأمر محمد علي بفتح أبواب المدارس من أجل «تعليم وتثقيف أبناء العباد^(٣)» ؟ !
حال لبنان عندما بدأت مصر بنشر الكتب العلمية

يذكر الاسناذ الرئيس في كلامه كتب الطب والزراعة والحيوان والنبات

(١) تاريخ التعليم في عصر محمد علي ص ١٨٩ .

(٢) تاريخ التعليم في عصر محمد علي ص ٢٦٥ .

(٣) دفتر ٥٨ مبة رقم ٥٩٢ ال المحرم آغا في ١٩ ذي القعدة ١٢٤٩ راجع تاريخ التعليم

والكيمياء والفنون الحربية والتاريخ والجغرافيا، التي نشرت بمصر يوم كان لبنان فقيراً من كتب هذه العلوم لعدم وجود المدارس التي تدرسها، أو وجود علماء يمتنون بها، وكل من ينصفح تاريخ الحركة العلمية في مصر يعرف قيمة الكتب التي طبعت في عصر محمد علي والتي أخذت بحق تصل حاضر الأمة العربية بماضيها بعد ان انقطعت عن العلوم المادية زمناً طويلاً .

ويكفي أن نذكر ما اتصل بنا من أسماء الكتب العلمية التي أشار إليها الأستاذ الرئيس وطبعت في عهد محمد علي، والتي سبق انتشارها بين ابدي القراء في العالم العربي انشاء الكيتين الاجنبيتين في لبنان بنحو ربع قرن أو يزيد . ونحن لا ندعي استقصاء كل ما طبع من الكتب العلمية في مصر ايام حكم محمد علي، وما على الراغبين في الاستقصاء الا الرجوع الى الكتب التي عاجلت هذا الموضوع أو زيارة المكاتب العامة ليتحققوا بانفسهم ويلمسوا بايديهم آثار تلك النهضة العجيبة، وسنذكر فيما يلي المطبوعات سنة فسنة :

سنة ١٨٣٢ (١٢٤٨ هـ)

١ - القول الصريح في علم التشريح

٢ - المنحة في سياسة الصحة

٣ - قانون الصحة

سنة ١٨٣٣ (١٢٤٩ هـ)

٤ - رسالة في علم البيطارية

٥ - التوضيح لألفاظ التشريح (في علم البيطرة)

سنة ١٨٣٤ (١٢٥٠ هـ)

٦ - رسالة في الطاعون

٧ - رسالة في علاج الطاعون

٨ - متهى الأغراض في علم شفاء الأمراض

سنة ١٨٣٥ (١٢٥١ هـ)

- ٩ - رسالة فيما يجب اتخاذه لمنع الجرب والداء الفرنجي
 ١٠ - مبلغ البراح في علم الجراح
 ١١ - كتاب التشريح العام
 ١٢ - التحفة الفاخرة في هيئة الأعضاء الظاهرة

سنة ١٨٣٦ (١٢٥٢ هـ)

- ١٣ - نبذة في تطعيم الجدري
 ١٤ - دستور الأعمال الاقرباينية لحكام الديار المصرية

سنة ١٨٣٧ (١٢٥٣ هـ)

- ١٥ - نبذة في أصول الفلسفة الطبيعية
 ١٦ - نبذة في التشريح المرضي
 ١٧ - كتاب الاقرباين
 ١٨ - قانون تعليم العساكر الجهادية المشاة

سنة ١٨٣٨ (١٢٥٤ هـ)

- ١٩ - الأزهار البديعة في علم الطبيعة
 ٢٠ - كتاب الأربطة الجراحية
 ٢١ - الدراسة الأولية في الجغرافية الطبيعية

سنة ١٨٣٩ (١٢٥٥ هـ)

- ٢٢ - زهرة الأنام في التشريح العام
 ٢٣ - الأصول الهندسية
 ٢٤ - تحفة الرياض في كليات الأمراض
 ٢٥ - المادة الطيبة البيطرية

سنة ١٨٤٠ (١٢٥٦ هـ)

- ٢٦ - المعجالة الطيبة فيما لا بد منه لحكام الجهارية

- ٢٧ - منتهى البراح في علم الجراح
 ٢٨ - روضة الازكيا في علم الفسيولوجيا
 ٢٩ - ضياء النبرين في مداواة العينين
 ٣٠ - ثمرة الاكتساب في علم الحساب
 ٣١ - كتاب الجبر والمقابلة

سنة ١٨٤١ (١٢٥٧ هـ)

- ٣٢ - الدر اللامع في النبات وما فيه من المنافع
 ٣٣ - نزهة المحافل في معرفة المفاصل
 ٣٤ - الأقوال المرضية في علم بنية الكرة الأرضية

سنة ١٨٤٢ (١٢٥٨ هـ)

- ٣٥ - نزهة الرياض في علم الأمراض
 ٣٦ - طالع السعادة والاقبال في علم الولادة وامراض النساء والأطفال في جزأين
 سنة ١٨٤٣ (١٢٥٩ هـ)

- ٣٧ - رسالة في مرض الحمى
 ٣٨ - نبذة في تطعيم الجدري
 ٣٩ - روضة النجاح الكبرى في العمليات الجراحية الصغرى
 ٤٠ - أحسن الأغراض في التشخيص ومعالجة الامراض في اربعة مجلدات
 ٤١ - رضاب الغايات في حساب المثلثات
 ٤٢ - افاضة الأذهان في رياضة الصبيان

(يتبع) الدكتور عدنان الخطيب



فهرس الجزء الثالث من المجلد الرابع والعشرين

الصفحة

للطبريرك مار اخناطيوس افرام الأول	• • • • •	الألفاظ السريانية في المعاجم العربية (٦)	٣٢٦
للأستاذ محمد كرد علي	• • • • •	كنوز الأجداد (١٢)	٣٤٣
للأب مرجعي الدومنكي	• • • • •	تحقيقات مجمية (٤)	٣٥٥
للأستاذ ا. ج. اريري	• • • • •	جزء من رواية ابي عمر الزاهد غلام ثعلب (٢)	٣٧٢
للأب يوسف نصر الله	• • • • •	دراسات لما قبل التاريخ في سوريا	٣٨٥
للأستاذ عبد القادر المغربي	• • • • •	مخطوطة رسالة المآخذ	٣٩١
للدكتور مصطفى جواد	• • • • •	القول الناجع في الفلظ الشائع	٣٩٥
للأستاذ محمد بهجة البيطار	• • • • •	الموفي في النحو الكوفي	٤١٧
« نعيم الحمصي »	• • • • •	البلاغة بين اللفظ والمعنى	٤٣٣

التعريف والنقد

للأستاذ محمد كرد علي	• • • • •	كتاب في السياسة	٤٥٠
« محمد بهجة البيطار »	• • • • •	نظرة عامة في فكرة الحق والالتزام	٤٥١
للدكتور سامي الدهان	• • • • •	ظلال الأيام	٤٥٥

آراء وأبناء

للأستاذ عبد القادر المغربي	• • • • •	نص حكاة ثعلب بين اللغة والدين	٤٥٨
« مسعود الندوي »	• • • • •	ثلاث رسائل من منشوراتنا العربية	٤٦٢
للدكتور عدنان الخطيب	• • • • •	النهضة العربية في العصر الحديث	٤٧٠